جامعة آل البيت
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
قسم اللغة العربية وآدابها

رسالة ماجستير بعنوان

السُّور المسبِّحات دراسة تداولية

The Praise suras a Pragmatics Study

إعداد الطالب

محمد شمخي جبر

الرقم الجامعي

1320301016

إشراف

الأستاذ الدكتور حسن خميس الملخ

قدمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في اللغة العربية

الفصل الدراسي الأول

2016/2015

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الكهف: ١٠٩

تفويض

أنا، **محمد شمخي جبر** أفوّض جامعة آل البيت بتزويد نسخ من رسالتي للمكتبات أو المؤسسات أو الهيئات أو الأشخاص عند طلبهم حسب التعليمات النافذة في الجامعة .

التوقيع :

التاريخ :

الإقرار

أنا :محمد شمخي جبر **الرقم الجامعي :1320301016**

التخصص : اللغة العربية وآدابها **كلية : الآداب والعلوم الإنسانية**

أقر بأنني قد التزمت بقوانين جامعة آل البيت وأنظمتها وتعليماتها وقراراتها السارية المفعول المتعلقة بإعداد رسائل الماجستير وأطاريح الدكتوراه عندما قمت شخصياً بإعداد رسالتي الموسومة ب :

"السور المسبِّحات دراسة تداولية"

بما ينسجم مع الأمانة العلمية المتعارف عليها في كتابة الرسائل والأطاريح العلمية، وأقر كذلك بأن رسالتي هذه غير منقولة، أو مستلة من رسائل، أو أطاريح، أو كتب، أو أبحاث، أو أي منشورات علمية تم نشرها،أو تخزينها في أي وسيلة إعلامية، وتأسيساً على ما تقدم فإنني أتحمل المسؤولية بأنواعها كافة فيما لو تبين بخلاف ذلك، بما فيه حق مجلس العمداء في جامعة آل البيت بإلغاء قرار منحي الدرجة العلمية التي حصلت عليها، وسحب شهادة التخرج مني بعد صدورها دون أن يكون لي أي حق في التظلم أو الاعتراض أو الطعن بأي صورة كانت في القرار الصادر عن مجلس العمداء بهذا الصدد .

توقيع الطالب :..... **التاريخ : / / 2015م**

قرار لجنة المناقشة

"السور المسبِّحات دراسة تداولية"

The Praise suras a Pragmatics Study

إعداد الطالب

محمد شمخي جبر

الرقم الجامعي

1320301016

إشراف

الأستاذ الدكتور حسن خميس الملخ

أعضاء لجنة المناقشة		التوقيع
أ.د. حسن خميس الملخ	(مشرفاً ورئيساً)	
د. محمود رمضان الديكي	(عضواً)	
د. حسين أحمد كتانة	(عضواً)	
د. خلود إبراهيم العموش	(عضواً/ خارجياً)	

قدمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها

نوقشت هذه الرسالة وأجيزت بتاريخ 16/ 11/ 2015م

الإهداء

إلى الذي لا تفيه الكلمات والشكر والعرفان بالجميل أبي الحبيب أطال الله في عمره.

إلى من ركع العطاء أمام قدميها وأعطتنا من دمها وروحها وعمرها حبا وتصميما ودفعـــا لغـــد أجمل أمي الحبيبة أطال الله في عمرها.

إلى رياحين حياتي إخوتي وأخواتي.

إلى من تجرعت معي كأس الصبر مُرّاً علقماً زوجتي الغالية (أم مصطفى).

إلى قرة عيني ونور حياتي ولدَيَّ (مصطفى و مرتضى).

إليكم جميعا أتقدم بجهدي هذا ومن الله التوفيق.

الشكر والتقدير

الحمد لله حمدا يليق بشأنه، وبجلال عظمته، أحمده حمد عبد معترف بقصور ذاته، عن القيام بحمده، وأشكره على نعمه وآلائه، وأستعينه بالصبر على بلائه، وأفضل الصلاة والتحية على أشرف الكائنات، ومنتهى وجود الممكنات محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وبعد.

فبحمد الله وفضله تم هذا العمل، الذي لا أبتغي به سوى وجهه الكريم ورضاه العميم وثوابه المقيم، أشكره سبحانه وتعالى، فله مناط الشكر أولاً وآخراً.

الشكر عرفان للفضل وحفظ للجميل فلقد كان لجهد شيخي المبجل الأستاذ الدكتور حسن خميس الملخ، وزرعه الثقة في الباحث الأثر الأكبر في إنجاز هذا العمل، فله من الباحث كل الشكر الذي لا يوفيه حقه مهما نمقت فيه من الكلم، لقد كان أبا وأخا كبيرا حريصا على إخوته باذلا لهم من علمه وجاهه، صبورا على عنتي وتقصيري، أبقاه الله لنا، فله مني أخلص الدعوات.

كما يتوجه الباحث بالشكر الجزيل والعرفان بالفضل للأساتذة أعضاء لجنة المناقشة لما بذلوه من عناء القراءة والمناقشة والتقويم، مما سيضفي على البحث كثيراً من النضج والسداد.

ومن الوفاء ألا أنسى الأستاذ الدكتور محمد الدروبي عميد كلية الآداب السابق لما أبداه من عون صادق، وبما غمرنا به من حب ومودة فله مني كل الاحترام والتقدير.

والنَّصفَة تقتضي هنا أن أقف وقفة خاصة لكل أساتذة قسم اللغة العربية، وفاءً لحسن صنيعهم واعترافا بوافر فضلهم فلهم من الباحث الشكر والتقدير.

ختاماً فإن بدرت مني زلة أو عثرة فإني أطمع من البارئ عز وجل غفرانها لي، وأعلن توبتي عنها، وتراجعي عن كل ما يقدح كتابه الشريف الخالد، وحسبي في كل ذلك إخلاص النية وسلامة القصد، فمهما بذل الباحث جهده في التحليل واستخلاص النتائج، فإنه إنسان مجبول على النقص والسهو تمرُّ به العثرات والهفوات، وإن كان يسعى إلى الكمال، فإن وُفِّقَ فلله الحمد والشكر، وإن أخفق فما أبرئ نفسي.

وآخر دعوانا أن الحمدُ لله رب العالمين، وصلّى الله على رسوله الأمين، وأهل بيته الطاهرين وأصحابه المخلصين.

قائمة المحتويات

الموضوع	الصفحة
الآية القرآنية	ب
تفويض	ج
الإقرار	د
قرار لجنة المناقشة	هـ
الإهداء	و
الشكر والتقدير	ز
فهرس المحتويات	ح
الملخص باللغة بالعربية	ط
المقدمة	1
التمهيد: اللسانيات التداولية : مفهومها ، ونشأتها	
المبحث الأول : التداولية : المفهوم والتطور والإجراء	4
المبحث الثاني : السور المسبّحات	28
الفصل الأول: أفعال الكلام في السور المسبحات دراسة تداولية	
المبحث الأول: مفهوم الفعل الكلامي ونشأته وتطوره	37
المبحث الثاني: أقسام الفعل الكلامي	41
المبحث الثالث : أفعال الكلام في السور المسبحات	48
الفصل الثاني: الحوار الحجاجي في السور المسبحات دراسة تداولية	
المبحث الأول: مفهوم الحوار	93
المبحث الثاني: مفهوم الحجاج	98
المبحث الثالث : الحوار الحجاجي في السور المسبحات	104
المبحث الرابع : الاستلزام الحواري	125
الفصل الثالث: القرينة السياقية في السور المسبحات دراسة تداولية	
المبحث الأول: السياق لغة واصطلاحاً	131
المبحث الثاني: أركان السياق وأنواعه	134
المبحث الثالث: القرينة السياقية في السور المسبِّحات	145
الخاتمة	167
المصادر والمراجع	172
الملخص باللغة الإنجليزية	185

الملخص

السور المسبِّحات دراسة تداولية

إعداد الطالب

محمد شمخي جبر

إشراف

الأستاذ الدكتور حسن خميس الملخ

تعد التداولية مفهوماً لسانياً حديثاً، ظهر في العقود الثلاثة الأخيرة في الولايات المتحدة الأمريكية، يهتم هذا العلم بدراسة كيفية فهم الناس بعضهم بعضاً، وبطريقة إنتاجهم لفعل كلامي تواصلي في موقف كلامي ملموس يفهم عن طريق فهم المعاني؛ فالتداولية من الدروس الحديثة التي تمتلك كمّاً كبيراً في مواضيعها، إلا أنها غير محددة المعالم؛ فقد اختلف في تحديد طبيعتها ونوعها، وسبب هذا الاختلاف يعود إلى بدايات هذا العلم، إذ كانت التداولية في بداياتها تغترف من كل العلوم؛ فلهذا لم تكن ذات طابع تخصصي، والسبب الثاني يعود إلى تداخل التداولية بالعلوم الأخرى، لكن مع هذا الاختلاف يمكن القول: إن التداولية علم يدرس اللغة في سياقاتها الواقعية، لا في حدودها المعجمية أو تراكيبها النحوية .

ولما كانت التداولية علماً يدرس اللغة في سياقات واقعية الاستعمال جاءت هذه الدراسة لتوضيح هذا العلم الحديث وأبعاده.

وكانت السور المسبِّحات موضوع الدراسة التي منها يمكن التوصل إلى أهم الأبعاد التداولية.

وقد وقف الباحث على أهم الأبعاد التداولية الواردة في السور المسبِّحات التي تمثلت بالأفعال الكلامية، والحجاج، والاستلزام الحواري، والقرينة السياقية.

وقد اقتضى البحث أن يكون في تمهيد وثلاثة فصول.

التمهيد: حاول الباحث فيه أن يحدد مفهوم التداولية ونشأتها وجذورها وتطورها وعلاقتها بالعلوم الأخرى، ومعرفة أهم الأفكار التداولية عند النحاة والبلاغيين القدامى، وكذلك تطرق البحث في التمهيد إلى معنى التسبيح والمسبحات، وما السور المسبِّحات ؟ ولماذا سميت بهذا الاسم ؟ وكم عددها ؟ وأين نزلت ؟ .

الفصل الأول: كان بعنوان الأفعال الكلامية في السور المسبحات، ففي هذا الفصل جرى التعرف على أفعال الكلام من حيث النشأة، والتطور وقد اعتمد الباحث تقسيم (أوستين) و (سيرل) لمعرفة أقسام الفعل الكلامي، فدرست الأفعال الكلامية الموجودة في السور المسبحات.

الفصل الثاني: كان بعنوان الحوار الحجاجي، وقد خصصه الباحث لدراسة الحوار الحجاجي في السور المسبِّحات بعد معرفة ماهية الحوار والحجاج.

الفصل الثالث: كان بعنوان القرينة السياقية في السور المسبحات، وفي هذا الفصل تطرق الباحث لتعريف السياق وأنواعه، وأركانه، ومن ثم تناول البحث أثر القرينة السياقية في ألفاظ السور المسبحات.

وخلصت الدراسة إلى خاتمة تضمنت أهم النتائج التي توصل إليها الباحث.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين على ما أولى من سوابغ النعم، وهدانا لخير الأديان، وأكرمنا بإنزال القرآن، وأنطقنا بأشرف لسان، وشرفنا ببعثة خير إنسان محمد بن عبد الله (صلى الله عليه وسلم).

كانت اللغة، وما تزال، مجالَ أبحاثِ عدّةِ علومٍ، بل إنها أساس في حياة الإنسان؛ إذ بها يعبّر البشر عن أفكارهم، وعما يريدون، ومن هنا ظهرت عدة دراسات أعطت للغة أهمية، وجعلت دراستها ومعرفة خصائصها وجواهرها، لها مجالا، ولعل أهمّها اللسانيات التي شغلت كثيراً من العلماء والمفكرين والفلاسفة، حتى غدت علم العصر؛ فهي تدرس اللغة دراسة علمية ولعل الاهتمام باللسانيات في العصر الحديث مردّه إلى رغبة الإنسان في تلمُّس أسرار اللغة، والوقوف على تجلياتها، فهي قنطرتنا للتواصل والألسنة، وبها نعبّر عن أفكارنا وننسج مشاعرنا، وهي الوسيط في التبادل الكلامي. كانت وماتزال الشغل الشاغل للإنسان، فتراه دائب البحث في أعطافها ويستلهم معاشه منها، ولعل التداولية أحدث تمظهر للسانيات؛ إذ تسعى التداولية لأن تتجاوز حدود الخطاب لتصير نظرية عامة للفعل والنشاط الإنساني، شغلها الشاغل إنما هو دراسة اللغة في المقام، الذي يهتم بما يفعله المستعملون بالألفاظ.

فالمقصد الأساس من استعمال اللغة التواصل بين المتعاملين بها، وهذا التواصل يتحول إلى تداول معرفي منوط بالرسالة اللغوية في شكلها النمطي والصرفي والتركيبي والصوتي، والبعدين الحقيقي والمجازي.

والتداولية فرع من فروع اللسانيات العامة الحديثة، يبحث في كيفية تحليل المتلقي بامتياز عناصر الموقف الكلامي والمرسل وماهية الرسالة اللغوية معرفيا ولغويا، وهي تعد من العلوم اللسانية الحديثة التي تحمل بين طياتها مفهوما قديما، فإذا رجعنا قليلا إلى الوراء فسنرى كيف تمثل القدماء هذا المفهوم في التراث العربي على نحو ما في أنساق بلاغية ونحوية وكلامية وغيرها.

تهتم التداولية بدراسة كيفية فهم الناس بعضهم بعضا وبطريقة إنتاجهم لفعل تواصلي أو فعل كلامي في إطار موقف كلامي ملموس أو محدد يتم فيه التعامل مع المعاني، فهي فعل تواصلي؛ لذا فإنها تركز دائما على دراسة الأساليب الكلامية.

ويدرس هذا البحث ظاهرة لافتة في سور القرآن الكريم، وهي ظاهرة السور المسبِّحات التي تبدأ بكلمة (سَبَّحَ، ويسبح، سَبِّحْ، سبحان) بقصد دراستها دراسة تداولية حديثة، وهذه السور هي :(الإسراء، والحديد، والحشر، والصف، والجمعة، والتغابن، والأعلى).

وتتكون هذه الدراسة من تمهيد وثلاثة فصول وخاتمة، أما التمهيد فكان في مبحثين تناول المبحث الأول المفهوم والتطور والإجراء، حيث التداولية في المعاجم العربية وورود لفظة التداولية في القرآن الكريم، ونشأة التداولية، ومهامها وعلاقتها بالعلوم الأخرى، وتناول هذا المبحث أيضاً أهم الأفكار التداولية عند العرب، وكان المبحث الثاني في السور المسبحات، تناول هذا المبحث معنى التسبيح والمسبحات، وما السور المسبِّحات وما عددها وعدد آياتها ومكان نزولها والمناسبة بين فواتح هذه السور وخواتيمها.

أما الفصل الأول فكان في الأفعال الكلامية، وهو في ثلاثة مباحث، تناول المبحث الأول مفهوم الفعل الكلامي ونشأته وتطوره، بينما تناول المبحث الثاني أقسام الأفعال الكلامية بحسب تصنيف (أوستين) و(سيرل)، أما المبحث الثالث فكان دراسة تطبيقية حول أفعال الكلام في السور المسبحات.

والفصل الثاني كان في الحوار الحجاجي، وهو في أربعة مباحث، تناول الأول منها مفهوم الحوار لغة واصطلاحاً وتناول أيضاً ورود الحوار في القرآن الكريم وأهداف الحوار وأركانه، أما المبحث الثاني فتناول مفهوم الحجاج لغة واصطلاحاً، وتناول أيضاً الحجاج في القرآن وأهم مميزات الحجاج والروابط والعوامل الحجاجية في اللغة العربية، وتناول المبحث الثالث دراسة تطبيقية حول الحوار الحجاجي في السور المسبحات، أما المبحث الرابع فتناول الاستلزام الحواري في السور المسبحات.

أما الفصل الثالث فكان في القرينة السياقية في السور المسبحات، وهو في ثلاثة مباحث تناول الأول منها مفهوم السياق لغة واصطلاحاً، وتناول المبحث الثاني أركان السياق وأنواعه، بينما تناول المبحث الثالث دراسة تطبيقية حول أثر القرينة السياقية في تحديد دلالة اللفظ، وفي توجيه دلالة العلاقات التركيبية وفي دلالة التكرار.

وانتهت الدراسة بخاتمة تضمنت أهم النتائج التي توصل إليها البحث.

التمهيد

إن المقصد الأساس من استعمال اللغة التواصل بين المتعاملين بها، لأن اللغة هي أداة الاتصال بين الناس وهي السبيل للتعارف والتفاهم بين الأفراد والجماعات، وبهذه اللغة تمكن الإنسان من نقل جميع أفكاره إلى الآخر، وبها استطاع أن يعبر عن أحاسيسه ومشاعره، فهي إذن أداة للتواصل بين المتكلمين بها، وهذه الصفة التواصلية عبر عنها ابن جني بقوله " أمّا حدُّها – اللغة – فإنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم "[1].

وهذا التواصل يتحول إلى تداول معرفي منوط بالرسالة اللغوية في شكلها النمطي والصرفي والتركيبي والصوتي. ومن هنا ظهرت دراسات عديدة أعطت للغة أهمية كبيرة وجعلت دراستها ومعرفة مكنوناتها وجواهرها لها مجالا، ولعل أهمها اللسانيات التي شغلت كثيرا من العلماء والمفكرين والفلاسفة حتى أصبحت أهمَّ علوم العصر الذي نعيش فيه ، فهذا العلم يدرس اللغة دراسة علمية دقيقة.

إن الاهتمام باللسانيات في عصرنا الحاضر سببه حاجة الإنسان إلى اكتشاف الجديد من المعاني، والوقوف على خفايا اللغة وأهم تجلياتها، ولعل التداولية أحدث تمظهر للسانيات لأنها فرع من فروع اللسانيات العامة الحديثة يبحث في كيفية تحليل المتلقي بامتياز عناصر الموقف الكلامي، والمرسل، وماهية الرسالة اللغوية معرفيا ولغويا.

(1) ابن جني، أبو الفتح عثمان، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، دار الهدى للطباعة، بيروت ، ط2 ، 1952 م ، ج1 / ص 32 .

المبحث الأول :-

أولا:- التداولية : المفهوم والتطور والإجراء

1- التداولية لغةً :

ورد مفهوم التداول في المعجمات اللغوية ، تحت الأصل العربي في الجذر اللغوي (دول) وله معانٍ كثيرة .

وجاء في معجم مقايس اللغة لابن فارس (ت 395 هـ).

(دول)، الدال والواو واللام، أصلان: أحدهما : يدل على تحويل شيء من مكان إلى آخر،والآخر، يدل على ضعف واسترخاء.

أما الأول: فقال أهل اللغة: اندال القوم، إذا تحولوا من مكان إلى مكان. ومن هذا الباب تداول القوم الشيء بينهم: إذا صار بعضهم إلى بعض، والدُّولة والدَّولة: لغتان، ويقال بل الدُّولة في المال والدَولة في الحرب، وإنما سميا بذلك من قياس الباب؛ لأنه أمر يتداولونه، فيتحول من هذا إلى ذاك ومن ذاك إلى هذا [1].

وجاء في معجم أساس البلاغة للزمخشري (467- 537) في مادة (دول) دالت له الدولة، ودالت الأيام بكذا. وأدال الله بني فلان من عدوهم : جعل الكَرّة لهم عليه : وعن الحجّاج : إن الأرض ستدال منا كما أدلنا منها، وفي مثل " يدال من البقاع كما يدال من الرجال " وأديل المؤمنون على المشركين يوم بدر، وأديل المشركون على المسلمين يوم أحد . والله يداول الأيام بين الناس مرّة لهم ومرّة عليهم، وتداولوا الشيءَ بينهم، والماشي يداول بين قدميه : يراوح

(1) ابن فارس، أحمد بن زكريا القزويني الرازي، معجم مقاييس اللغة، اعتنى به، محمد عوض مرعب ، فاطمة محمد أصلان، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1،2000 :مادة (دول).

بينهما. وتقول دواليك، أي: دالت لك الدولة كرة بعد كرة. وفعلنا ذلك دواليك، أي: كرّات بعضها في أثر بعض [1].

وجاء في لسان العرب لابن منظور (ت 711هـ)، تداولنا الأمر، أخذناه بالدول وقالوا دواليك أي : مداولة على الأمر ... ودالت الأيام أي دارت، والله يداولها بين الناس، وتداولته الأيدي أخذته هذه مره وهذه مرة [2].

ومما تقدم يلاحظ الباحث أن معاني الجذر اللغوي (دول) في معجماتنا تنحصر في التحول والتبدل والانتقال من حال إلى حال ، فضلا عن ذلك، فإن التداول هو تفاعل،وكل تفاعل ينبغي له طرفان أو أكثر، ولا وجود لمفهوم لساني للتداول في معجماتنا لأن التداولية نفسها لم تكن قد نشأت.

التداولية في القرآن الكريم :

وردت تجليات الجذر (دول) في عدة مواضع في القرآن الكريم وسيتناول البحث هذه المواضع وبيان معناها اللغوي.

قال تعالى :﴿ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾ ﴾ (الحشر: 7)" دولة بالضم، وكذا بالفتح ما يدول أي ما يدور للإنسان من الغناء والجد والغلبة ... وقيل هي بالضم ما يتداول كالغرفة اسم ما يغترف، وبالفتح مصدر بمعنى

(1) الزمخشري:جار الله أبو القاسم محمود بن عمر، أساس البلاغة ، دار صادر، بيروت ، ط1 ، 2009 م، مادة (دول) .

(2) ابن منظور : محمد بن مكرم بن علي ، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط3،1414هـ ، مادة (دول) .

التداول : وقيل المعنى كي لا يكون شيئا يتداوله الأغنياء خاصة بينهم ويتعاورونه، فلا يصيب أحدا من الفقراء "[1].

وجاء أيضا **قوله تعالى** ﴿ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾ ﴾ (آل عمران:140) " قيل نداولها بين الناس من فرح وغم وصحة وسقم وغنى وفقر، والدولة الكرَّة"[2].

يلاحظ الباحث أن معنى (التداول) تركز على معنى التحول والانتقال والدوران، ومعنى هذا هو عدم الثبوت والاستقرار.

التداولية اصطلاحا

عند تعريف اي مصطلح لا بد من معرفة أجزاء هذا المعرف وما مجالاته واتجاهاته، ولما كان للتداولية اتجاهات عديدة فقد ساد الغموض تعريفها، ولهذا " لم يتفق بعد على صيغة موحدة جامعة مانعة لتعريف التداولية" [3].

وهي من الدروس الحديثة التي تمتلك غزارة في مواضيعها، إلا أنها غير واضحة المعالم[4].

فقد كانت في بداياتها تغترف من كل العلوم أي أنها لم تكن ذات طابع تخصصي، فمن خلال ما يحيط بها من علوم نفسية، واجتماعية، وفلسفية، وتاريخية، وثقافية، ودينية ...[5] أخذت تستلهم بداياتها . كذلك تداخل التداولية مع بعض العلوم التي لها علاقة باللغة جعل من الصعب أن ينجح الباحثون في الوصول إلى تعريف جامع مانع لها. " لكن استطاع عدد من الباحثين أن

---

(1) الألوسي، شهاب الدين، السيد محمود، روح المعاني، في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط1 ، دت ، ج8 ، ص49.

(2) القرطبي، أبو عبد الله، محمد بن أحمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، تصحيح: الشيخ هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، ط2، 2003، ج4 ، ص218.

(3) شاهين، أحمد فهد صالح، النظرية التداولية وأثرها في الدراسات النحوية المعاصرة، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، 2015، ص 8.

(4) انظر، فرانسواز، أرمينكو، المقاربة التداولية، ترجمة، سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، الرباط ، 1986، ص7.

(5) انظر شاهين، أحمد فهد صالح، النظرية التداولية ، ص8.

يقدموا تعريفات كثيرة للتداولية، ليس منها تعريف سلم من المآخذ، وقد يناقض بعضها بعضا. ومن هذه التعريفات:

التداولية: "هي دراسة الأسس التي نستطيع بها أن نعرف لِمَ تكون مجموعة من الجمل شاذة تداولياً أو تعد في الكلام المحال؟ كأن يقال مثلا: **أرسطو يوناني لكني لا أعتقد ذلك.**

أو يقال : **آمرُك بأن تخالف أمري.** أو يقال : **الشمس لو سمحت تدور حول الأرض.**

التداولية: دراسة اللغة من وجهة نظر وظيفية، وهو نوع من التعريف يحاول أن يوضح جوانب التركيب اللغوي بالإحالة إلى أسباب غير لغوية.

التداوليـــة: دراسة كل جوانب المعنى التي تهملها النظريات الدلالية، فإذا اقتصر علم الدلالة على دراسة الأقوال التي تنطبق عليها شروط الصدق، فإن التداولية تعني ما وراء ذلك، مما لا تنطبق عليه هذه الشروط.

التداولية:هي دراسة جوانب السياق التي تُشَفَّرُ شكليا في تراكيب اللغة، وهي عندئذ جزء من مقدرة المستعمل.

التداولية:– فرع من علم اللغة يبحث في كيفية اكتشاف السامع مقاصد المتكلم (Speaker Intentions) أو هو دراسة معنى المتكلم (Speaker Meaning) فقول القائل **أنا عطشان** مثلا قد يعني: **أحضر لي كوبا من الماء،** وليس من اللازم أن يكون إخبارا بإنه عطشان؛ فالمتكلم كثيرا ما يعني أكثر مما تقوله كلماته، وإذا كان ذلك كذلك فكيف يمكن للناس أن يفهم بعضهم بعضا ؟ "[1]

(1) نحلة، محمود أحمد، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2002، ص 11–13 .

ولو عدنا إلى الاسم الأجنبي للتداولية(Pragmatics) لوجدنا أن لفظة التداولية تعود إلى أصل يوناني، إذ اشتقت من الكلمة اليونانية، براغما، أو براجما (pragma)، التي تعني العمل[1].

أما مصطلح التداولية (Pragmatics) . بمفهومه الحديث فيعود إلى الفيلسوف الأمريكي تشارلز موريس (Charles Morris)[2] الذي استخدمه سنة 1938 دالا على فرع من فروع ثلاثة اشتمل عليها علم العلامات أو السيميائية (Semiotics)[3].

وهذه الفروع هي :

1-علم **التراكيب (Syntax أو Syntactic):** وهو يُعنى بدراسة العلاقات الشكلية بين العلامات بعضها مع بعض.

2-علم الدلالة (semantics): وهو يدرس علاقة العلامات بالأشياء التي تدل عليها، أو تحيل إليها.

3-علم التداول أو الاستعمال اللغوي: وتهتم بدراسة علاقة العلامات بمفسِّريها.

فبحسب (موريس) فإن التداولية جزء من السيميائية أو علم العلامات، ثم تطورت التداولية في العقد السابع من القرن العشرين على يد ثلاثة من الفلاسفة في جامعة أكسفورد، وهم (أوستين) (JL.Austin) و(سيرل) (J.R.Searle) وجرايس (H.P. Grice).

وهؤلاء من فلاسفة اللغة الذين كان اهتمامهم بكيفية توصيل معنى اللغة الإنسانية الطبيعية بواسطة إخبار مرسِل رسالة إلى مستقبِل يفسّرها، وهذا من صميم عمل التداولية لكن الغريب في ذلك عدم استعمال مصطلح التداولية في أبحاث هؤلاء الفلاسفة الثلاثة[4].

و (Pragmatique) في مفهومها العام عند الغرب تعني دراسة اللغة حال الاستعمال.

---

(1) مغنية، محمد جواد،مذاهب فلسفية وقاموس مصطلحات، دار ومكتبة الهلال، بيروت، د ط، دت، ص..140

(2) هو سيميائي أمريكي من مؤسسي السيميائية الأمريكية، إلى جانب بيرس ، وهو الذي قسم الدراسات اللغوية انطلاقا من ارتباط العلامات فيما بينها .

(3) نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، ص9.

(4) انظر، نحلة، آفاق جديده في الدرس اللغوي المعاصر، ص9.

" تهدف إلى دراسة الظواهر التابعة للمكون التداولي من مكونات اللغة التي سبق ذكرها، وعليه تعرف بأنها دراسة اللغة حال الاستعمال، أو دراسة الاستعمال اللغوي، ويأتي هذا التعريف تميزا لها عن الدراسة البنيوية التي تهتم باللغة كنظام "[1].

أما الدكتور مسعود صحراوي فيقول عن التداولية؛ " فالتداولية ليست علما محضا بالمعنى التقليدي، يكتفي بوصف وتفسير البنى اللغوية ويتوقف عند حدودها وأشكالها الظاهرة، ولكنها علم جديد للتواصل يدرس الظواهر اللغوية في مجال الاستعمال ويدمج من ثم مشاريع معرفية متعددة في دراسة ظاهرة التواصل اللغوي وتفسيره "[2].

وإذا أمعنا النظر في التعريفات السابقة وجدناها تجتمع على حقيقة وعلى معنى واحد؛ هو أن التداولية تعني دراسة اللغة في الاستعمال أي " هي دراسة اللغة في سياقاتها الواقعية لا في حدودها المعجمية أو تراكيبها النحوية. فهي دراسة الكلمات والعبارات والجمل كما نستعملها ونفهمها لقصدها في ظروف ومواقف معينة، لا كما نجدها في القواميس والمعاجم"[3]. وقد انصب اهتمام التداولية " على دراسة التواصل اللغوي رَصْداً للموقف اللغوي، وتشكيلاً للمفهوم وتأويلاً للرسالة اللغوية المنطوقة والمسموعة والمكتوبة"[4]

" من أهم الملاحظ التي تشد انتباه الدارس حين يراجع التعريفات المتفاوتة للتداولية، يجد أنها تمتاز بعنصر أساسي، فرغم ذلك الاختلاف في المفاهيم، إلا أن تلك الوجوه المختلفة لتعريف التداولية اللغوية، تتفق من حيث اعتمادها على فكرة رئيسة، ألا وهي فكرة استعمال اللغة في السياق "[5].

---

(1) الصبيحي، محمد الأخضر، مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه، منشورات الاختلاف ،الدار العربية للعلوم، دط، 2008، ص48.

(2) صحراوي، مسعود، التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار الطليعة، بيروت، ط1، 2005 ، ص 16.

(3) مزيد، بهاء الدين محمد، تبسيط التداولية من أفعال اللغة إلى بلاغة الخطاب السياسي، دار شمس للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1 ، 2010 ، ص18.

(4) الملخ، حسن خميس، التداولية ظِلال المفهوم وآفاقه، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2015، مقدمة الكتاب .

(5) شاهين، النظرية التداولية، ص11.

2- نشأة التداولية

يظن بعض الباحثين في الدرس اللغوي المعاصر أن نشأة التداولية جاءت نتيجة أعمال فلاسفة اللغة المنتمين إلى التراث الفلسفي في جامعة أكسفورد، وهم أوستين (J.L. Austin) وسيرل (J.R. Searle) وجرايس (H.P.Grice).

إلا أن البحث في أصول التداولية يصل بنا إلى حقيقة ترجح أن الأرض التي نبتت عليها التداولية هي الفلسفة التحليلية، لأنها الينبوع المعرفي لأول مفهوم تداولي وهو الأفعال الكلامية"[1] وسيحاول الباحث التعرف على هذا الينبوع المعرفي بمختلف اتجاهاته واهتماماته وقضاياه "لأن الفلسفة التحليلية هي السبب في نشوء اللسانيات التداولية "[2].

في بدايات القرن العشرين ظهر اتجاه فلسفي بزعامة الفيلسوف الألماني "غوتلوب فريجه " (Gottlob Frege) (1848 – 1925) في كتابه " **أسس علم الحساب** " ميز فريجه في كتابه بين مقولتين لغويتين تتباينان مفهوميا ووظيفيا وهما: اسم العلم والاسم المحمول، وعماد القضية الحملية.

"وحين تكون القضية دالة على علاقة واحدية نسميها قضية حملية، وحين تدل على العلاقات الأخرى نسميها قضية علاقية وليست حملية "[3].

لقد ميز الفيلسوف الألماني " فريجه " بين اسم العلم والاسم المحمول، ومن الأمور التي ميز بينها هذا الفيلسوف تميزه بين المعنى والمرجع محدثا قطيعة معرفية ومنهجية بين الفلسفتين القديمة والحديثة، كما أنه جمع بين بعدين تداوليين مهمتين هما: الإحالة والاقتضاء[4].

---

(1) صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص17.
(2) المرجع السابق.
(3) زيدان، محمود فهمي، في فلسفة اللغة، دار النهضة العربية، بيروت، 1985، د ط ، ص 12.
(4) انظر: صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص20.

واعتبر الألفاظ (كل، وبعض، وواحد، واثنان) لا معنى لها إذا دخلت على عَلَـم، بـل العكس؛ فعند دخولها على عَلَمٍ قد تفسد المعنى، فلا يمكن القول: كل محمد، أو بعض، محمد، أما إذا دخلت على محمول فإنها تأتي بمعنى جديد فنقول مثلا : كل متعلم، كل موظف.

وتعدّ هذه المباحث عند الفلاسفة ذات قيمة عالية وتعد ثورة وانقلابا فلسفيا جديدا[1].

وقد سار الفيلسوف النمساوي (لودفيـغ فيتغنـشتاين) (Wittgenstein) علـى نهـج (فريجه) حيث انتقد مبادئ (الوضعية المنطقية) وقام بتأسيس (فلسفة اللغـة الطبيعيـة) هـذه الفلسفة التي تحدث فيها عن طبيعة اللغة وطبيعة المعنى في كلام الإنـسان العـادي الطبيعـي، وذهبت هذه الفلسفة إلى أن المعنى ليس ثابتا ولامحددا.

ومن هنا يمكن القول: إن ما بين (فريجه) و(أوستين) تتموقع أعمال (لودفيغ فيتغنـشتاين) التي ستقود إلى نشأة التداولية، إضافة إلى أن أعمال فريجه ستؤدي إلى الفصل الواضح بين اللغة العلمية واللغة العادية، لذا يمكن القول إن فريجه هو الذي وضع حجر الأساس لعلم الدلالة ومـن ورائها التداولية[2].

وقد تأثر بالتجديد الفلسفي الذي جاء به (فريجه) عدد مـن الفلاسـفة مـنهم هوسـرل (Husserl) وكارناب (Carnap) وفيتغنشتاين (Wittgenstein) وأوستين (Austin) وسـيرل (Searle) وغيرهم .

إن الذي يجمع هؤلاء الفلاسفة حقيقة مشتركة مفادها أن فهم الإنـسان لنفـسه وعالمـه يرتكز في المقام الأول على اللغة، فهي التي تعبر له عن هذا الفهم، وتلك رؤية مـشتركة بـين جميع تيارات الفلسفة التحليلية واتجاهاتها.

---

(1) صحراوي، التداولية عند العلماء العرب ، ص 28.

(2) انظر، بلانشيه، فيليب، التداولية من أوستين إلى غوفمان، ترجمة صابر الحباشة، دار الحوار، سـوريا، ط1 ،2007، ص30.

ويمكن إجمال سمات الاتجاه التحليلي بما يلي[1]:

1- ضرورة التخلي عن أسلوب البحث الفلسفي القديم، وخصوصا جانبه الميتافيزيقي.

2- تغير بؤرة الاهتمام الفلسفي من موضوع" نظرية المعرفة" إلى موضوع " التحليل اللغوي ".

3- تجديد بعض المباحث اللغوية، ولاسيما مبحث "الدلالة " والظواهر المتفرعة عنه.

وهناك تيارات فرعية للاتجاه التحليلي من هذه التيارات تيار اللغة الاعتيادية وتيار اللغة الاصطناعية وتيار أفعال اللغة.

إن نقطة الانطلاق الفعلية للتداولية يمكن أن تكون قد انبثقت من أعمال فلاسفة اللغة خصوصا بعد مناقشات أوستين (Austin 1950) في جامعة هارفارد.

ولا بد من أن نذكر أنه لم يكن يفكر في تأسيس فرع آخر للسانيات، وإنما اعتمد تأسيس اختصاص فلسفي جديد هو (فلسفة اللغة).

لقد وضع أوستين وتلميذه (سيرل) نواة التداولية، وطورا من وجهة نظر تحليلية مفهوم (الفعل اللغوي) وفي عام 1957 نشر الفيلسوف (بول غرايس) مقالاً في الدلالة كان له أهمية تاريخية، وبعد مضي عشر سنوات ألقى (غرايس) محاضرات وليام جيمس، هذه المحاضرات التي لم تسمح فقط بإحداث تقدم في مستوى معرفتنا باللغات الطبيعية ، وإنما أحدثت تغيرا طال حتى هندسة اللسانيات.

إن اكتشاف الأبعاد التداولية للغة فتح آفاقاً أرحب، وأنتج أسئلةً جديدةً ستكون سبباً للاعتراف بالتداولية على اعتبارها من البحوث اللسانية الأكثر حداثةً، إذ بدأت تتلألأ في سماء الدرس اللساني مقولاتٍ تداوليةٍ جديدة، مثل: البؤرة، والاقتضاء، والاستلزام الخطابي[2].

(1) صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص22.
(2) انظر، البستاني، بشرى، التداولية في البحث اللغوي والنقدي، مؤسسة السياب، لندن، ط1، 2012، ص36.

وأخيراً لا بد من القول: إن التداولية نشأت من أعمال فلاسفة اللغة، وإن الفلسفة التحليلية هي المصدر الأول للمفهوم التداولي، وإن فريجه هو من وضع حجر الأساس لهذا العلم والـذين تأثروا به ساروا على نهجه.

3- مهام التداولية

أصبحت التداولية مفهوما لسانياً قادراً على التحليل اللغوي، إذ وصل إلى المـضمون أو المعنى تاركاً وراءه الشكل أو الصورة ، وهذا المنهج ذهب بعيداً حين درس اللغة في الاستعمال اللغوي وكيفية فهم الناس بعضهم بعضاً بطريقة إنتاجهم لكل فعل تواصلي أو كلامي في موقـفٍ معينٍ. " تهتم الدراسات التداولية (البراغماتية pragmatics) بتتبع المعنى عبر مجموعـة مـن العناصر التي تسهم بشكل ساطعٍ أو باهتٍ في إبرازه، وذلك بالنظر إلى منتجه ومتلقيه وسـياقاته المختلفة التي قيلت فيه والغاية التي من أجلها أنشئ الكلام "[1].

إن التداوليةَ مشروعٌ حدودهُ واسعةٌ واهتماماتهُ كبيرةٌ، هذا العلم يهتم بكثير مـن الأسـئلة التي عجزت عن الإجابة عنها كثير من العلوم.

تتلخص مهام التداولية في عدة عناصر هي :-

1- دراسة اللغة في مقاماتها الاستعمالية، أي دراستها أثناء التلفظ بها باعتبارها كلامـاً محـدداً صادراً من متكلمٍ محددٍ، وموجهاً إلى مخاطبٍ معينٍ بلفظٍ محددٍ في مقامٍ تواصلي محدد لتحقيـق غرض تواصلي محدد، " فالتلفظ هو النشاط الرئيـسي الـذي يمـنح اسـتعمال اللغـة طابعهـا التداولي"[2]. وذلك على اعتبار أن اللفظ يتحول باللغة إلى وجود بالفعل بعـد أن كـان وجـوده بالقوة[3].

(1) خالد العيساوي، الخطاب الإشهاري بين البعد التداولي وسلطة النص، بحث منشور، ضمن كتاب التداوليـة ظلال المفهوم وآفاقه.

(2) الشَهري، عبد الهادي بن ظافر، استراتيجيات الخطاب: مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحـدة، بيروت، ط1،2004، ص27.

(3) انظر، لهويمل، باديس، التداولية والبلاغة العربية، مجلة المخبر، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، جامعة محمد خيضر، بسكرة ، الجزائر، العدد السابع ، 2011 ، ص162.

2- دراسة شروط نجاح العبارات وصياغة شروط ملاءمة الفعل لإنجاز العبارة ومدى ملاءمة كل ذلك لبنية الخطاب ونظامه " إن أحد مهام التداولية أن تتيح صياغة شروط إنجاح إنجاز العبارة، وبيان أي جهة يمكن بها أن يكون مثل هذا الإنجاز عنصرا في اتجاه مجرى الفعل المتداخل الإنجاز الذي يصبح بدوره مقبولا أو مرفوضا عند فاعل آخر، وبهذا الاعتبار فإن المهمة الثانية تقوم على صياغة مبادئ تتضمن اتجاهات مجاري فعل الكلام المتداخل الإنجاز الذي ينبغي أن يستوفي في إنجاز العبارة حتى تصبح ناجحة، والمهمة الثالثة: أنه لما كانت معطيات التجربة متاحة بأوسع ما تكون في صورة العبارة فقط فيجب أن يكون من الواضح في التداولية، كيف تترابط شروط نجاح العبارة فعلاً إنجازياً ومبادئ فعلٍ مشترك الإنجاز التواصلي مع بنية الخطاب وتأويله "[1]: فالتداولية هنا تجعل المتكلم حرا في اختيار ألفاظه، وتضمن له عدم فشل عباراته اللغوية، فهي أي التداولية تعالج أسباب فشل الدراسات البنيوية، وذلك بمراعاتها السياقات التي ترد فيها الجمل والعبارات. فالتداولية عند (فان دايك) تدرس الضوابط التي بواسطتها يكون ضمان نجاح وفعالية ومناسبة كل استعمال لغوي تبعا لما يتطلبه كل موقف تواصلي[2].

3- " بيان أسباب أفضلية التواصل غير المباشر وغير الحرفي على التواصل الحرفي المباشر"[3] فالتداولية تسعى أيضا لمعرفة كيف يستطيع التواصل الضمني (غير الحرفي) أن يكون أفضل من التواصل الحرفي المباشر في الاستعمال.

4- " شرح أسباب فشل المعالجة اللسانية البنيوية الصرْفه في معالجة الملفوظات "[4] ، وهنا تقوم التداولية بشرح الأسباب التي أدت إلى فشل المعالجة اللسانية البنيوية الصرفه في معالجة الملفوظات.

---

(1) فان دايك، النص والسياق، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي التداولي، ترجمة، عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق، المغرب دط، 2000، ص256.

(2) انظر، لهويمل، باديس، التداولية والبلاغة العربية ، ص163.

(3) صحراوي، التداولية عند العلماء العرب ، ص27.

(4) المرجع السابق ، ص 7.

وقد جاء في كتاب (التداولية: ظلال المفهوم وآفاقه) تحديد أهم الوظائف التداولية [1].

1- دراسة استعمال اللغة، فلم يعد الأمر أبدا متعلقا بدراسة البنية اللسانية المنعزلة عن الممارسة، بل بدراسة اللغة عند الاستعمال في الأوضاع والمقامات المختلفة، أو بعبارة أخرى أصبحت التداولية جسرا للانتقال من دراسة اللسان إلى دراسة الكلام.

2- دراسة ظواهر التعيين والإحالة التفسيرية، التي افتقدتها المعالجة اللسانية البنيوية الصرفة في معالجة الملفوظات التي كانت سببا في فشلها .

3- الاهتمام بدراسة أفعال الكلام ومعرفة الأغراض المستهدفة من إنجازها.

4- دراسة مجالات الترابط بين البنية اللسانية ووظيفتها التداولية.

5- شرح كيفية جريان العمليات الاستدلالية في معالجة الملفوظات.

واعتبارا بهذه الوظائف تحاول التداولية الإجابة عن مجموعة من الأسئلة والاستفسارات المهمة التي سنتطرق إليها وفق الشكل الآتي[2].

من يتكلم ؟

إلى من يوجه الكلام ؟

ماذا يريد أن يقول بالضبط عندما يتكلم ؟

كيف يتكلم المتكلم بشيء ويريد قول شيء مخالف ؟

ما مصدر غموض الكلام، وما مصدر وضوحه ؟

فالتداولية اليوم تقدم لنا طريقة منظمة لدراسة المعنى بعلاقته بالمقام، ويرى بعض الباحثين أن للمعنى مستويات ثلاثة: " المعنى اللغوي وهو المعنى المأخوذ مباشرة من دلالة الكلمات والضمائر والجمل، ومعنى الكلام وهو المعنى السياقي، ثم المعنى الكامن أو الموجود بالقوة (force) وهو معنى المتكلم.

---

(1) الملخ، التداولية ظلال المفهوم وآفاقه ، ص.96

(2) فرانسواز، أرمينيكو، المقاربة التداولية، ص7 . ينظر ، محمود طلحة، مبادئ تداولية في تحليل الخطاب الشرعي عند الأصوليين، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2014، ص17.

ولإيضاح ذلك نسوق المثال الآتي : إذا قال لك شخص في سياق محدد: أهذه سيارتك ؟ فالسياق الذي ألقي فيه السؤال لا يدع مجالا للشك في أن (هذه) تشير إلى شيء محدد هو السيارة، وأن الضمير (الكاف) يشير إليك، وعلى الرغم من أنه ليس هناك مشكلة في فهم معنى الكلام (وهو المستوى الأول من معنى الكلام) فإنك حتى هذه اللحظة قد لا تكون وصلت إلى معنى المتكلم أو فهم القوة (force) التي تكمن خلف هذا السؤال: هل المتكلم يريد إجابة عن سؤاله بنعم أو لا أو أنه يخرج عن هذا المعنى الحقيقي إلى معنى آخر هو التعبير عن اللوم لأن سيارتك سدت طريق المرور على السيارات الأخرى ؟ وهذا هو معنى المتكلم "[1].

ولهذا فإن تعريف التداولية :- دراسة اللغة في الاستعمال أو في التواصل، يعد الأقرب للقبول،وذلك لأنه إشارة بأن المعنى ليس مرتبطا بالمتكلم وحده وحتى السامع، بل إن المعنى أو معرفة المعنى هي عملية تداول اللغة بين المتكلم والسامع في سياق معين قد يكون هذا السياق مادياً ، أو اجتماعياً، أو لغوياً، حتى نصل إلى المعنى الموجود في الكلام[2].

ثانيا :- التداولية وصلتها بالعلوم الأخرى

أ- علاقة التداولية بعلم التركيب (النحو العربي)

"علم التركيب (Syntax): يعنى بدراسة العلاقات الشكلية بين العلامات بعضها مع بعض"[3].

أي أن علم التركيب يركز على ضبط تراكيب الجملة الداخلية؛ إذ يركز تركيزا خاصا على العلاقة القائمة بين عناصر الجملة بعضها مع بعض، هذه العناصر تسيرها قواعد معينة تقوم بضبطها ولا يمكن الخروج عنها ،أما إذا خالفنا هذه القواعد فستكون النتائج الدلالية غير

(1) نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص13.
(2) المرجع السابق ، ص14.
(3) المرجع السابق، ص9.

مقبولة، فالتقديم والتأخير، والحذف، والعلامات اللغوية المختارة وموافقتها للبنية الدلالية، كل هذه تقوم على أساس قواعد النحو والسياق النحوي[1].

ومن هذا المنطلق فإن سلامة تراكيب اللغة العربية واستقامتها يقوم بها النحو العربي لأن هذا النحو نشأ على حقائق ثابتة وضع النحاة عليها أحكامهم المعيارية التي تستند إلى عناصر متعددة منها المنقولة ومنها المعقولة.

إن النحويين يعتمدون تحليلهم للجملة على المعنى العام الذي يتكون من خلال ترتيب الكلمات بعضها ببعض.

لكن مع هذا فإن علم النحو لا يهمل التحليل التداولي؛ " فالعلاقات القواعدية التي تسيطر على نص ما، وتتحكم في عملية البناء اللغوي، من خلال ترابط عناصره التركيبية، ليست إلا خطوة أولى في عملية التفسير، والفهم التداولي، المرتكز بالأساس على مجموعة من العناصر التي تقتضي بالمحلل اللغوي أن يتجاوز حدود المادة اللغوية، إلى ما يحيط بها من ملابسات عامة وقرائن خارجية "[2].

فعملية التحليل التداولي تحتاج إلى المعنى النحوي؛ "إذ إن البعد التداولي حاضر بمجرد ما ندخل مفهوم القاعدة، فالقاعدة تأتي دائما لاستعمال ما "[3].

ولتوضيح ذلك نسوق المثال الآتي :-

أنا عطشانُ:

تتكون هذه الجملة وبحسب المستوى النحوي من (مبتدأ وخبر)، المبتدأ هو الضمير المنفصل (أنا)، والخبر كلمة (عطشان) فإذا نظرنا إلى الدلالة المعجمية لهذه الجملة لا يمكن أن

---

(1) السياق النحوي :- هو عبارة عن شبكة العلاقات القواعدية التي تحكم بناء الوحدات اللغوية داخل النص، وفيها تقوم كل علاقة بمهمة وظيفية تساعد على بيان الدلالة، من خلال القرائن النحوية مثل الإعراب، وهو قرينة سياقية تتعاون جاهدة مع غيرها في رسم شبكة البيانات. (عبد الجليل، عبد القادر ، علم اللسانيات الحديث ، نظم التحكم وقواعد البيانات ، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان ط1 ، 2002 ، ص546.

(2) شاهين، النظرية التداولية، ص425.

(3) فرانسواز، أرمينيكو، المقاربة التداولية ، ص33.

نصل إلى المعنى المراد، لكن إذا اعتمد المخاطب على التفكير التداولي في تحليل تركيب هذه الجملة يمكن أن يصل إلى معانٍ واضحة، مثل : إن المتكلم بحاجة إلى ماء، أو إنه صائم ويشعر بالعطش، أو عدم توفر الماء، أو غير ذلك من المعاني التي يمكن أن تفهم من السياق [1].

ب- علاقة التداولية بعلم الدلالة (Semantics)

علم الدلالة :- عُرف علم الدلالة بعدة تعريفات، فقد عرفه بعضهم بأنه " دراسة المعنى " أو " العلم الذي يدرس المعنى " أو " ذلك الفرع من علم اللغة الذي يتناول نظرية المعنى " أو " ذلك الفرع الذي يدرس الشروط الواجب توافرها في الرمز حتى يكون قادرا على حمل المعنى "[2].

وعلم الدلالة :- " يدرس علاقة العلامات بالأشياء التي تدل عليها، أو تحيل إليها"[3] إذا عدنا إلى تعريف التداولية نجد تشابها واضحا بين العلمين، إذ إن التداولية تهتم بدراسة المعنى، لأنّ العامل المشترك بينهما هو دراسة المعنى، فكلاهما يهتمُّ بدراسة المعنى، لكن يجد الباحث فرقا واضحا بينهما والسبب في ذلك هو أن التداولية تهتم بدراسة المعنى، في الاستعمال اللغوي، إذ تراعي ظروف المتكلم ومقاصده والسياق المناسب لهما بينما يدرس علم الدلالة المعنى بمعزل عن السياق[4].

ومن هنا يلاحظ الباحث مدى التقارب والتداخل بين العلمين، إذ تسعى الدلالة إلى تفسير الكلمات والعبارات وتوضيحها، بل تسعى أيضا إلى توضيح المعنى الحرفي دون الاهتمام بالسياق الذي قيلت فيه هذه الكلمات وإلى مقاصد المتكلمين ،"ثم إن الفرق بين المعاني اللغوية، ومقاصد المتكلمين (أو مراداتهم) وثيق الصلة بالفرق بين علم الدلالة، وعلم التخاطب، فالمعاني اللغوية (التي هي معانٍ وضعيةٌ تفهم من مفردات اللغة، وتراكيبها) تنضوي في إطار اهتمامات

(1) انظر، شاهين، النظرية التداولية، ص27.
(2) أحمد مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتب ، القاهرة ، ط5، 1998، ص11.
(3) نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص9.
(4) علي، محمد محمد يونس، مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، دار الكتاب الجديدة المتحدة بيروت ، ط1، 2004، ص6.

علم الدلالة؛ لأن استنباطها لا يحتاج إلى عناصر خارج البنى اللغوية. أما مقاصد المتكلمين فلا يمكن التوصل إليها إلا بمعرفة السياقات التي قيل فيها الكلام، ومعرفة المخاطِب والمخاطَب وإعمال القدرات الاستنتاجية التي يمتلكها المخاطب عند التعامل مع الكلام"[1].

وبعد كل هذا يرى الباحث عدم وجود فوارق جوهرية بين العلمين، بل يمكن القول إن التداولية ابتدأت من حيث انتهت الدلالة[2].

ج- علاقة التداولية بالأسلوبية (Stylistique)

بين التداولية والأسلوبية أشياء مشتركة، فكلاهما منهج يبحث في المعنى، لكن المناهج تختلف فيما بينها بطبيعة تحليل النصوص؛ فمنها " ما يعتمد القواعد اللغوية في التحليل اللغوي كالأسلوبية، ومنها ما يعتمد السياقات، وملابسات تتعلق بتحليل اللغة من خلال الاستعمال الخارجي كالتداولية "[3].

الأسلوبية منهج يقوم بتحليل النصوص الأدبية ويبين خواصها الفنية والجمالية، إن هذا المنهج ينظر إلى النص من الداخل وفي جمالية هذا القول أو ذاك، لذا نجد أن المحلل في منهج الأسلوبية عليه أن يكون على قدر كبير من المعرفة بالتراكيب اللغوية والخصائص الصوتية من مثل معرفته بالحروف المهموسة والمجهورة وحروف الترقيق والتفخيم .

وقد عرف (جاكبسون) الأسلوبية بقوله : " إنها بحث عما يتميز به الكلام الفني عن بقية مستويات الخطاب أولا، وعن سائر أصناف الفنون الإنسانية ثانيا "[4] فمن هذا التعريف نجد أن

(1) علي، محمد محمد يونس، مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب ، ص15.
(2) انظر: لعور، آمنة، الأفعال الكلامية في سورة الكهف، دراسة تداولية، رسالة ماجستير، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر،2011 ، 42.
(3) شاهين، النظرية التداولية، ص30.
(4) المسدي، عبد السلام، الأسلوبية والأسلوب، الدار العربية للكتاب، ليبيا، ط3، 1982، ص37.

جوهر عمل الأسلوبية يقوم على خصوصية العمل الفني؛ فالأسلوبية بهذا المعنى تقوم باستبعاد اللغة العامية والشفوية، وتستبعد كل كلام غير فني من عملها لأنها لا تعمل إلا على الكلام الفني.

ويمكن أن يلخص الباحث ما سبق حول علاقة التداولية بالأسلوبية، إن البحث الأسلوبي يركز على لغة النص ومواطن الجمال فيه، مستبعدا كل التأثيرات الخارجية على النص " إذ تتفق كل الاتجاهات الأسلوبية على أن المدخل في أية دراسة أسلوبية ينبغي أن يكون لغويا، فالأسلوبية تعني دراسة نص الخطاب الأدبي من منطلق لغوي "[1] أما التداولية فتدرس اللغة أثناء الاستعمال، فهي أي التداولية تدرس النص والخطاب في علاقته بالسياق الخارجي.

د- التداولية وعلاقتها بعلم النحو الوظيفي (Functional Grammar)

قبل أن نبين العلاقة بين التداولية والنحو الوظيفي لابد من تعريف النحو الوظيفي، فالنحو الوظيفي " هو النحو الذي يراعي معايير إنجاز الكلام في طبقات مقامية معينة "[2].

يعدّ الباحث الهولندي (سيمون دايك) مؤسس النحو الوظيفي وتعد نظريته التي ظهرت في السبعينيات من أهم النظريات اللسانية التي احتلت مكانة متميزة بين النظريات اللسانية والنحوية، فقد قسم (سيمون) التراكيب إلى ثلاثة مستويات في التحليل وهي[3] :-

	أكل	محمد	التفاحة
1. المستوى النحوي:	فعل	فاعل	مفعول به
2. المستوى الدلالي:	فعل	عامل	هدف
3. المستوى التداولي:	مسند	متمم	

(1) سليمان، فتح الله أحمد، الأسلوبية، مدخل نظري ودراسة تطبيقية، مكتبة الآداب، القاهرة ، دط ، 2004 ، ص36.

(2) السيد، عبد الحميد، دراسات في اللسانيات العربية، بنية الجملة العربية، التراكيب النحوية والتداولية ، دار حامد، عمان ، الأردن ، ط1 ، 2004 ، ص146.

(3) أحمد يحيى، الاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة، مجلة عالم الفكر، مجلد 20 ، العدد، 34، ص95.

تقوم النظرية الوظيفية على اعتبار الوظيفة الأساسية للغة الطبيعية هي التوصيل ، إذ يعد النحو الوظيفي من الروافد المهمة للدرس التداولي إلى جانب الفلسفة، إذ تشترك التداولية مع النحو الوظيفي في اهتمامهما بوصف الكفاءة التبليغية (Competence Communicative) للمتكلم والسامع وتفسيرها " وبما أن موضوع النحو الوظيفي وصف الملكة التبليغية وتفسيرها، فإنها أفادت مما أفادت منه عملية التبليغ بصفة عامة، ومن الدراسات التداولية الحديثة بصفة خاصة؛ إذ أدرجت في وصفها مفاهيم كثيرة من نظرية الأفعال اللغوية والقوة الإنجازية الحرفية والمستلزمة والاقتضاء والإحالة "[1].

ومن هنا يجد الباحث التداخل والتقابل بين العلمين، ففي بعض الأحيان نجد من يطلق على النحو الوظيفي التداولية أيضا.

ثالثا :- الأفكار التداولية لدى العرب

1- العرب القدامى

إن الحديث عن نظرية تداولية عند العرب القدامى يمكن أن يكون في اتجاهين الاتجاه الأول هو ما نجده عند النحاة من ممارسات تداولية والاتجاه الآخر عند البلاغيين " حيث ارتبطت التداولية بالدرس النحوي والبلاغي في التراث العربي، بداية من سيبويه ومرورا بعبد القاهر الجرجاني، والسكاكي والأستراباذي، والخطيب القزويني "[2] ولا يريد الباحث أن يتكلم عن أسبقية العرب في معرفة هذا العلم حيث يقول (محمد سويرتي) "إن النحاة والفلاسفة المسلمين، والبلاغيين، والمفكرين مارسوا المنهج التداولي قبل أن يذيع صيته بصفته فلسفة

(1) بعيطيش، يحيى، نحو نظرية وظيفية للنحو العربي، أطروحة دكتوراه، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، 2006، ص84.

(2) عبد الفتاح، أحمد يوسف، لسانيات الخطاب وأنساق الثقافة، فلسفة المعنى بين نظام الخطاب وشروط الثقافة، الدار العربية للعلوم، الجزائر، ط1، 2010، ص31.

وعلما، ورؤية واتجاهاً أمريكيا وأوروبيا ، فقد وظف المنهج التداولي بوعي في تحليل الظـــواهر والعلامات المتنوعة (الأيقونات والرموز التصويرية والمعيارية والتشكيلية واللغوية ...)"[1] لكـــن الباحث سيتناول أهم الملامح التداولية عند النحاة والبلاغيين القدامى، حيث لا يمكـــن للبحـــث أن يحصي جميع هذه الملامح والممارسات.

أ- عند النحاة

إن أول نحوي يذكر عند الحديث عن النحاة القدامى وعلم النحو سيبويه، ويذكر كتابـــه، فإلى أي مدى نجد ملامح التداولية في كتاب سيبويه الذي يعدُّ عمدة الدراسات النحويـــة؟ وهـــل اهتم سيبويه بالبعد الداخلي والخارجي للنص ؟

ففي باب الاستقامة والإحالة يقسم سيبويه الكلام على النحو الآتي[2]:-

مستقيم حسن	أتيتك أمس وسآتيك غدا .
محال	أتيتك غدا وسآتيك أمس .
مستقيم كذب	حملت الجبل وسأشرب ماء البحر .
مستقيم قبيح	قد زيدا رأيت .
محال كذب	سوف اشرب ماء البحر أمس .

ففي هذا التقسيم نجد أن أصناف الكلام كلها وصفت ماعدا المحال، فلم يقل محال حـــسن أو محال قبيح ، وهنا يمكن أن نفهم ما كان يقصد به أبو الحسن الأخفش (ت215هـــ) في شرحه لكلام سيبويه وفهمه الدقيق له في قوله: " إن المحال ما لا يصح ولا يجوز أن تقول فيه صـــدق ولا كذب، لأنه ليس له معنى ..."[3].

(1) سويرتي، محمد، اللغة ودلالاتها، تقريب تداولي للمصطلح البلاغي، مقال، مجلة عـــالم الفكـــر، المجلـــس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 000، العدد 34، ص30.

(2) سيبويه، أبو بشر، عمرو بن عثمان بن قنبر، الكتاب، تحقيق وشرح، عبد السلام هارون، مكتبة الخـــانجي، القاهرة ، ط3 ، 1988 ، ج1 ، ص 25.

(3) سيبويه، الكتاب، ج1، ص25 ،(الهامش 1)، انظر، صحراوي، التداولية عند العلماء العرب ، ص52.

إن في هذا التقسيم تشابهاً كبيراً إلى ما جاءت به التداولية، يقول الباحث مقبول إدريس : " جرت العادة أن ينسب اللحن (الخطأ) أو يضاف إلى اللغة، ويقصد به غالبا خرق جانبها النحوي أو الصرفي في بعض الأحيان، غير أني أرى أن هذا اللحن قد يعتري مستويات عدة على جهة التوسع، ومن بينها المستوى التداولي التكلمي ومرجعي في هذا الطرح كلام سيبويه ونظره النحوي"[1].

يلاحظ الباحث من الأمثلة السابقة التي ساقها سيبويه في تقسيمه للكلام أنه كان مهتما بالسياق الخارجي وتأثيراته في فهم الخطاب وهذا هو مفهوم التداولية.

أما القصة المشهورة التي حدثت بين الفيلسوف الكندي والمبرد فهي خير دليل على وعي النحاة بالجانب التداولي، يقول الإمام عبد القاهر الجرجاني : " روي عن ابن الأنباري أنه قال : ركب الكندي المتفلسف إلى أبي العباس وقال له : إني لأجد في كلام العرب حشوا، فقال له أبو العباس : في أي موضع وجدت ذلك ؟ فقال أجد العرب يقولون : (عبد الله قائم)، ثم يقولون (إن عبد الله قائم)، ثم يقولون (إن عبد الله لقائم)، فالألفاظ متكررة والمعنى واحد . فقال أبو العباس: بل المعاني مختلفة لاختلاف الألفاظ ، فقولهم (عبد الله قائم)، إخبار عن قيامه، وقولهم: (إن عبد الله قائم)، جواب عن سؤال سائل، وقوله : (إن عبد الله لقائم)، جواب عن إنكار منكر قيامه ، فقد تكررت الألفاظ لتكرر المعاني . قال فما أحار المتفلسف جوابا "[2].

عند النظر إلى جواب المبرد نجد فهما عميقا للغة إذ بين مواضعها بهذه الدقة المتناهية وكشف دلالات هذه الخطابات، كذلك يجد الباحث المبرد على إدراك واسع بالجانب التداولي، وإن لم يسمه آنذاك. وإن ما يمتاز به الدرس اللغوي القديم دراسة اللغة أثناء الاستعمال فقيمة

(1) مقبول، إدريس، البعد التداولي عند سيبويه، مجلة عالم الفكر، العدد1، مجلد33، 2004، ص246.
(2) الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد، دلائل الإعجاز، مكتبة المدني، القاهرة، ط3، 1992، ص315.

الاستعمال، وما تتداوله العرب في اللغة كان له من الأهمية في تحديد أساليبها وطـرق أدائهـا " واعلم أنك إذا أداك القياس إلى شيء ما، ثم سمعت العرب قد نطقت فيه بشيء آخر على قيـاس غيره، فدع ما كنت عليه، إلى ما هم عليه، فإن سمعت من آخر مثل ما أجزته فأنت فيه مخيـر : تستعمل أيهما شئت "[1].

ومن القضايا التداولية التي أشار إليها النحاة القدامى (الحذف)، فقد ذكر سيبويه الحـذف في كتابه في أكثر من موضع[2]، مبينا أنواعه وأسبابه، ومؤكدا أن الحذف من سـمات العـرب الفصحاء، ففي باب (ما يضمر فيه الفعل المستعمل إظهاره في غير الأمـر والنهـي) يقـول: " وذلك قولك، إذا رأيت رجلا متوجها وجهة الحاج ، قاصدا في هيئة الحاج، فقلـت: مكـة ورب الكعبة . حيث (زَكِنتَ) أنه يريد مكة، كأنك قلت : يريد مكـة والله. ويجـوز أن تقـول: مكـة والله،على قولك: أراد مكة والله، كأنك أخبرت بهذه الصفة عنه أنه كان فيها أمس، فقلـت: مكـة والله، أي أراد مكة إذ ذاك . ومن ذلك قوله تعـالى:﴿ وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ تَهْتَدُواْ ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾ ﴾ (البقرة:135) أي بل نتبع ملة إبراهيم حنيفا ، كأنه قيـل لهم: اتبعوا، حين قيل لهم : (كونوا هودا أو نصارى). أو رأيـت رجـلا يـسدد سـهما قِبَـلَ القرطاس، فقلت: القرطاسَ والله، أي يصيب القرطاس، وإذا سمعت وقع السهم فـي القرطـاس قلت: القرطاسَ والله، أي أصاب القرطاس. ولو رأيت ناسا ينظرون الهلال وأنـت مـنهم بعيـد فكبروا لقلت : الهلالَ وربَّ الكعبة، أي أبصروا الهلال . أو رأيت ضـربا فقلـت علـى وجـه التفاؤل: عبد الله، أي يقع بعبد الله أو بعبد الله يكون. ومثل ذلك أن ترى رجـلا يريـد أن يوقـع فعلا، أو رأيته في حال رجل قد أوقع فعلا، أو أخبرت عنه بفعل، فتقول : زيدا . تريد: اضـرب

(1) ابن جني، الخصائص، ج1، ص125.
(2) انظر، سيبويه، الكتاب، ج1، ص257،295،296،297.

زيدا، أو أتضرب زيدا "[1] وذهب سيبويه في تفسير قولهم مرحبا وأهلا بقوله:" رأيت رجلا قاصدا إلى مكان، أو طالبا أمراً فقلت : مرحبا وأهلا، أي أدركت ذلك، وأصبت، فحذفوا الفعل لكثرة استعمالهم إياه "[2] فسيبويه هنا يعلل الحذف بكثرة الاستعمال، وبهذا التعليل يعتمد سيبويه على بعد تداولي لسياق الحديث، وهذا السياق مرتبط بعلم المخاطب، وما يحمل من معلومات تخص عملية التلفظ، فلو لم تكن هناك معلومات بالسياق الخارجي لأصبح من الصعب تفسير مدلولات الجمل السابقة التي ساقها سيبويه في كتابه.

وقد عد الحذف ابن جني (ت392هـ) بابا قيما من أبواب شجاعة العربية، ففي باب شجاعة العربية يقول " قد حذفت العرب الجملة، والمفرد، والحرف، والحركة. وليس شيء من ذلك إلا عن دليل عليه. وإلا كان فيه ضرب من تكليف علم الغيب في معرفته.

فأما الجملة فنحو قولهم في القسم: والله لا فعلت، وتالله لقد فعلت. وأصله : اقسم بالله، فحذف الفعل والفاعل، وبقيت الحال من الجار والجواب دليلا على الجملة المحذوفة. وكذلك الأفعال في الأمر والنهي والتحضيض؛ نحو قولك: زيدا، إذا أردت: اضرب زيدا أو نحوه. ومنه إياك إذا حذرته؛ أي احفظ نفسك ولا تضعها، والطريق الطريق، وهلا خيرا من ذلك ... ومنه قول التغلبي: إذا ما الماء خالطها سخينا، أي فشربنا سخينا، وعليه قول الله سبحانه وتعالى:﴿وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ (البقرة: 60) أي فضرب فانفجرت، وقوله عز اسمه :﴿ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ ﴿١٩٦﴾ ﴾ (البقرة: 196) أي فحلق فعليه فدية "[3] ومن الأمثلة التي أشار إليها ابن جني في كتابه الخصائص: " كان رؤبة إذا قيل له كيف أصبحت يقول : خيرٍ عافاك الله – أي بخير – يحذف الباء لدلالة الحال عليها

(1) سيبويه، الكتاب، ج1، ص257.
(2) المصدر السابق، ج1، ص295.
(3) ابن جني، الخصائص، ج2، ص 360 –361.

بجري العادة والعُرْفِ بها "[1] إن الحروف المحذوفة المقدرة في مثل هذه الجمل يمكن أن نفهم من وجود عناصر متعددة منها المتكلم والمخاطب والعالم الخارجي.

البلاغيون

إن مصطلح المقام من المصطلحات التي حظيت باهتمام البلاغيين فقد ارتبط استعمال هذا المصطلح في تراثنا العربي بعلوم البلاغة، أما في الدرس اللساني الحديث فقد نال اهتماما كبيراً خاصة في الاتجاه التداولي وفي علاقة اللغة بالاستعمال فقد اهتم العرب القدامى بمقتضى الحال في إنشاء الخطاب البليغ، إذ وجد الباحث أن عناصر العملية الخطابية تتكون من:

1- المتكلم: وهو منشىء الخطاب.

2- المخاطَب: وهو المقصود بالخطاب ، والمستقبل له.

3- السياق، ويطلق عليه المقام أو الحال.

4- الخطاب أو النص [2].

ومن هنا يرى (ليتش Leitch)" أن البلاغة تداولية في صميمها؛ إذ إنها ممارسة الاتصال بين المتكلم والسامع بحيث يحلان إشكالية علاقتهما مستخدمين وسائل محددة للتأثير على بعضهما "[3].

وقد تردد عند العرب القدامى مصطلح الحال ومقتضى الحال، فما هو معنى الحال عندهم؟ هل الحال هو حالة المخاطِب ؟ أم مراعاة حالة المخاطَب ؟

الحال " هو الأمر الداعي للمتكلم إلى أن يعتبر مع الكلام الذي يؤدي به أصل المراد خصوصية ما، وتلك الخصوصية هي مقتضى الحال "[4] ففي هذا التعريف نجد مراعاة لحالة المخاطب من حيث إنه خالي الذهن، أو منكر للحكم، فإذا كان منكرا يقتضي بطبيعة الحال إلى

---

(1) ابن جني، الخصائص، ج1، ص285.
(2) يوسف بن عبد الله بن العلوي، رعاية حال المخاطَب في أحاديث الصحيحين، دراسة بلاغية تحليلية، أطروحة دكتوراه ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، السعودية، 1429 ، ص13.
(3) صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، عالم المعرفة 1992، ص 89.
(4) طبانة، بدوي ، معجم البلاغة العربية، دار المنارة، جدة، دار الرفاعي، الرياض، ط3، 1988، ص84.

تأكيد لإزالة إنكاره، وهنا يمكن القول إن اهتمام البلاغيين القدامى بالحال كان واضحا بينا، وذلك من خلال ما جاء بتعريفاتهم للحال والبلاغة والحال عندهم هو المخاطَب والمتكلم، أما مقامات الكلام عند السكاكي فترتبط أيضا بالمتلقي وطبيعته، فيقول: " لا يخفى عليك أن مقامات الكلام متفاوتة، فمقام التشكر يباين مقام الشكاية، ومقام التهنئة يباين مقام التعزية، ومقام المدح يباين مقام الذم، ومقام الترهيب يباين مقام الترغيب، ومقام الجَدِّ في جميع ذلك يباين مقام الهَزْل، وكذا مقام الكلام ابتداءً يغاير مقام الكلام بناءً على الاستخبار أو الإنكار، ومقام البناء على السؤال يغاير مقام البناء على الإنكار؛ جميع ذلك معلوم لكل لبيب، وكذا مقام الكلام مع الذكي يغاير مقام الكلام مع الغبي، ولكل من ذلك مقتضى غير مقتضى الآخر. ثم إذا شرعت في الكلام، فلكل كلمة مع صاحبتها مقام، ولكل حد ينتهي إليه الكلام مقام "[1] والناظر في النص السابق الذي أورده السكاكي يجد الاهتمام الكبير بالمخاطَب، وكذلك يلاحظ كيف ربط السكاكي بين المقام والخطاب، فأنت عندما تشكر يختلف خطابك عندما تريد أن تشكو، وكذلك اختيارك لألفاظ التهنئة تختلف عن ألفاظ التعزية، ويمكن القول إن السكاكي كان يريد القول: إن هيئة المعزِي تختلف عن هيئة المهنئ من ملامح حزن أو فرح أو حتى في اللباس، وكذا بقية المقامات التي أشار إليها السكاكي فإنها مختلفة بحسب المقام، وما هذا الاختلاف في المقامات إلا عملية تبليغ وتوصيل إلى إدراك وفهم المتلقي مما كان يقصده المرسل في خطابه، وهذا ما تبتغيه التداولية من فهم الخطاب بشكل صحيح.

(1) السكاكي، أبو يعقوب، يوسف بن محمد بن علي، مفتاح العلوم، تحقيق: عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2000، ص56.

المبحث الثاني :- السور المسبِّحات

أولا :- معنى التسبيح والمسبِّحات

السبح : المرُّ السريع في الماء، أو في الهواء، يقال : سَبَحَ سبحاً وسباحةً، واستعير لمر النجوم في الفلك نحو قوله تعالى :﴿ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾(الأنبياء:33) لجري الفرس نحو: ﴿ وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا ﴿٣﴾ ﴾ (النازعات: 3)، ولسرعة الذهاب في العمل نحو: ﴿ إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ﴿٧﴾ ﴾(المزمل: 7)" والتسبيح: تنزيه الله تعالى. وأصله: المرُّ السريع في عبادة الله تعالى، وجعل ذلك في فعل الخير كما جعل الإبعاد في الشر فقيل: أبعده الله، وجعل التسبيح عاما في العبادات قولا كان أو فعلا أو نية، قال تعالى:﴿ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ ﴾ (الصافات: 143)، قيل من المصلين، والأَوْلى أن يُحمل على ثلاثتها، قال:﴿ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ ﴿٣٠﴾ ﴾ (البقرة:30) ﴿ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ﴿٥٥﴾ ﴾ (غافر: 55) ﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ ﴿٤٠﴾ ﴾ (ق: 40) "[1].

وقد عرف التسبيح اصطلاحا بقولهم " هو تنزيه الحق عن نقائص الإمكان والحدوث "[2] وقيل: " هو تنزيه الله عند بادية نقص في خلق أو رتبة، قاله الحرالي، وقال غيره: تنزيه الحق عن نقائص الإمكان والحدوث "[3].

والمسبِّحات :- هي مجموعة من السور في القرآن الكريم تبدأ (سَبَّحَ، يُسبّحُ، سبحان،سبّحْ) مثلها مثل السور التي تبدأ ب (حم، طسم) والتي يطلق عليها الحواميم، والطواسين، حيث سميت بذلك على القول، فواتح السور أسماء لها، وقد اختلف العلماء في السور التي يمكن

(1) الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق : عدنان صفوان داوودي، دار القلم، دمشق ، الدار الشامية، بيروت، ط4، 009 ، مادة (سبح)، ص392.
(2) الشريف الجرجاني، علي بن محمد، كتاب التعريفات، مكتبة لبنان، بيروت، طبعة جديدة، 1985، ص59.
(3) المناوي، محمد عبد الرؤوف، التوقيف على مهمات التعاريف ، ط1 ، 1990 ، ص55.

تسميتها بهذا الاسم حيث انقسم العلماء إلى ثلاثة أقسام: قسم يرى أنها سبع سور، وقسم يرى أنها ست سور وقسم يرى أنها خمس سور، فالذي جعلها سبع سور أدخل كل صيغ التسبيح (الماضي، والمضارع، والامر، والمصدر) وهذه السور هي (الإسراء، والحديد، والحشر، والصف، والجمعة، والتغابن، والأعلى) والذي جعلها ست سور أخرج الأعلى منها، أما الذي جعلها خمس سور فقد أخرج الإسراء والأعلى منها، ويميل الباحث إلى الرأي القائل بأن سور المسبِّحات سبع سور؛ لأن في هذه السور تقسيماً للزمن، فالمصدر (سبحان) في سورة الإسراء يدل على عدم تحديد زمن معين، ثم يذكر تحديد الزمن بالماضي (سبَّحَ) في كل من سورة الحديد والحشر والصف، وحدد زمن المضارع (يسبّحُ) في سورتي الجمعة والتغابن، والأمر (سبِّحْ) في سورة الأعلى، ليدل هذا على أهمية التواصل في التسبيح في كل وقت، وللتأكيد على أهمية تسبيح الخالق وتنزيهه عن كل ما لا يليق به في كل وقت.

فالمسبِّحات سور قرآنية سبع افتتحت بالتسبيح، جاء هذ الافتتاح بصيغ مختلفة، فقد جاءت بصيغة المصدر(سورة الإسراء) وجاءت سورة(الجمعة والتغابن) بصيغة المضارع، أما سور (الحديد والحشر والصف) فقد جاءت بصيغة الماضي، أما سورة (الأعلى) فجاءت على صيغة الأمر[1]، وكما سميت السورة الواحدة بأسماء، سميت سور باسم واحد، كالسور المسماة ب (ألم) أو (ألر) على القول بأن فواتح السور أسماء الله، قال بعض السلف: " في القرآن ميادين وبساتين ومقاصير وعرائس وديابيج [ورياض]، فميادينه ما افتتح ب (ألم)، وبساتينه ما افتتح ب (ألر)، ومقاصيره : الحامدات، وعرائسه : المسبِّحات، وديابيجه (أل حم)، ورياضه: المفصل . وقالوا : الطواسين والطواسيم وآل حم والحواميم "[2]، وقد روي عن رسول

(1) انظر، الزركشي، بدر الدين، محمد بن عبد الله ، البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث، القاهرة، دط ، دت ، ج1 ، ص165.

(2) السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن ابن أبي بكر، الإتقان في علوم القرآن، مؤسسة الرسالة، ناشطون، ط1، 2008، ج2، ص375.

الله (صلى الله عليه وسلم) " أن رسول الله صلى الله عليه و سلم كان يقرأ المسبِّحات، قبل أن يرقد، وقال: إن فيهن آية أفضل من ألف آية، وأخرج ابن الضريس عن يحيى بن أبي كثير قال : كان رسول الله (صلى الله عليه و سلم) لا ينام حتى يقرأ المسبِّحات، وكان يقول : إن فيهن آية هي أفضل من ألف آية، قال يحيى : فنراها الآية التي في آخر الحشر "[1].

ثانيا : عدد آيات السور المسبِّحات ومكان نزولها:

سورة الإسراء عدد آياتها مئة وإحدى عشرة آية، وهي مكية إلا الآيات (32،26،33، 57) ومن آية (73 إلى آية 80) فمدنية وقد نزلت سورة الإسراء بعد القصص[2]، وسورة الحديد تسع وعشرون آية، وهي مدنية نزلت بعد سورة الزلزلة وسورة الحشر أربع وعشرون آية، ولا خلاف في عدد آياتها، وهي مدنية نزلت بعد البينة، وسورة الصف أربع عشرة آية، وهي مدنية نزلت بعد سورة التغابن، وسورة الجمعة إحدى عشرة آية، وهي مدنية نزلت بعد سورة الصف، وسورة التغابن ثماني عشرة آية، وهي مدنية، نزلت بعد سورة التحريم، وسورة الأعلى تسع عشرة، آية، وهي مكية نزلت بعد سورة التكوير[3] يلاحظ مما سبق أن أكثر هذه السور مدنية ، فقد تبين للباحث أن خمسا منها مدنية (الحديد، الحشر، الصف، الجمعة، التغابن) وحتى سورة الإسراء فإن بعضا من آياتها مدنية كما بين الباحث، وأما سورتا (الإسراء، والأعلى) فهما مكيتان ، لكن مالمقصود بالمكية والمدنية ؟ اختلف العلماء في معنى المصطلحين فانقسموا إلى ثلاثة فرق ، فجعلوا هذا المصطلح في ثلاثة معانٍ هي:

الأول: إن المكي ما نزل بمكة ولو بعد الهجرة، والمدني ما نزل بالمدينة.

---

(1) السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن ابن أبي بكر، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 2004، ج9، ص409.

(2) انظر، الكلبي، أبو القاسم محمد بن أحمد، التسهيل لعلوم التنزيل، ضبطه وصححه وخرج آياته : محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1995، ج1، ص480.

(3) انظر، المصدر السابق، ج1، ص480، ج2 ص 409، 425، 441، 444، 451، 562. وانظر، السخاوي، علي بن محمد ، جمال القراء وكمال الإقراء ، تحقيق: علي حسين البواب، مكتبة التراث، مكة المكرمة، ط1، 1987، ج1 ، ص221.

الثاني: إن المكي ما وقع خطابا لأهل مكة ، والمدني ما وقع خطابا لأهل المدينة.

الثالث: وهو المشهور: أن المكي ما نزل قبل هجرته صلى الله علية وسلم إلى المدينة، وإن كان نزوله بغير مكة، والمدني ما نزل بعد هذه الهجرة وإن كان نزوله بمكة[1]. بعد هذا الاختلاف في المصطلح هل يمكن أن نجد اختلافا في النص المكي وأسلوبه عن النص المدني ؟

من قراءة النصوص القرآنية يمكن ملاحظة مجموعة خصائص يمتاز بها النص المكي عن النص المدني، وذلك لأن النصوص المكية كانت تحمل بين طياتها تحذيرا من الشرك والوثنية، فكانت تدعو هذه النصوص إلى نبذ الشرك والدعوة إلى اتخاذ الإسلام دينا والإيمان بالله واليوم الآخر ووصف الجنة والنار، كذلك نجد كثيرا من هذه النصوص تذكر العادات السيئة التي كان يتصف بها المجتمع المكي آنذاك ، مثل (القتل، وسفك الدماء، ووأد البنات، واستباحة الأعراض، وأكل مال الأيتام)، كذلك تشرح النصوص المكية أصول الأخلاق، وتكِّره الناس من الكفر والفسوق والعصيان وفوضى الجهل، وخشونة اللفظ، وحببّت إليهم الإيمان، والطاعة، والنظافة، والعلم، والمحبة، والرحمة، والإخلاص، واحترام الغير، وبر الوالدين، وإكرام الجار، وطهارة القلوب، ونظافة الألسنة، أما الخطاب في النصوص المكية فكان يمتاز بالإيجاز، فقد جاءت أغلب السور المكية قصيرة آياتها، صغيرة سورها، وقد يعود السبب في قصرها لفصاحة أهل مكة، فقد كانوا أهل فصاحة وهذا الإيجاز والقصر يناسب أهل الفصاحة والبيان.

أما ما تمتاز به النصوص المدنية فهو التحدث عن دقائق التشريع، وتفاصيل الأحكام، ودعوة أهل الكتاب من يهود ونصارى إلى الإسلام، كذلك نجد الخطاب المدني يتميز بالإطناب والتطويل في آياته وسوره، والسبب في ذلك لأن أهل المدينة لا يضاهون أهل مكة بالفصاحة والذكاء والبيان والفطنة، فالخطاب المناسب لهم خطاب الشرح والتوضيح، وهذا يتطلب الإطناب

(1) الزرقاني، الشيخ ، محمد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، تحقيق : فواز أحمد زمرلي، دار الكتاب العربي، بيروت، 1995، ج1 ، ص 160.

والتطويل في الحديث ، ولأن قانون البلاغة يقوم على رعاية مقتضيات الأحوال، وعلى مبدأ لكل مقام مقال[1]. ومما سبق يتبين أن النص المدني يمتاز بطول آياته وسوره، وتضمنت سوره تأسيس العقائد، وتشريع الأنظمة والقوانين لكل العبادات، بينما النص المكي تميز بتغير الأصول الفكرية والعقائدية، كذلك انمازت النصوص المكية بقصر العبارة، وقصر السور والآيات والذي يتأمل في نصوص السور المسبِّحات يجد تطابقا في هذه الخصائص إلى حد كبير من حيث طول السور وقصرها، كذلك ما جاءت به هذه السور من أحكام وتعاليم.

ثالثا :- مناسبة فواتح سور المسبِّحات وخواتيمها

المناسبة في اللغة : يمكن القول أن هناك شبه اتفاق عند أصحاب المعجمات اللغوية على معنى المناسبة والذي يدور حول المشُاكلة أو المُقاربة أو الارتباط بين شيئين، يقول ابن فارس (ت395): " النون والسين والباء، كلمة واحدة، مقياسها اتصال شيء بشيء. منه النسب، سمي لاتصاله وللاتصال به "[2].

وجاء في لسان العرب (ابن منظور): " النّسبة والنُّسبة والنَّسب: القرابة، وناسبه: أي شاركه في نسبه، والنسيب: المتناسب، وفلان يناسب فلانا، فهو نسيبه أي قريبه، ليس بينهما نسب أي مشاكلة "[3] وقد جاء في البرهان في علوم القرآن " واعلم أن المناسبة علم شريف، تحزر به العقول، ويعرف به قدر القائل فيما يقول. والمناسبة في اللغة: المقاربة، وفلان يناسب فلانا، أي يقرب منه ويشاكله، ومنه النسيب الذي هو القريب المتصل، كالأخوين وابن العم "[4].

أما في الاصطلاح فقد عرف علم المناسبة بتعريفات عديدة منها " علم المناسبات علم تعرف منه علل الترتيب، وموضوعه أجزاء الشيء المطلوب علم مناسبة من حيث

(1) الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، ج1 ، ص166-167.
(2) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مادة : (نسب).
(3) ابن منظور، لسان العرب ، مادة : (نسب).
(4) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج1، ص35.

الترتيب،وثمرته: الاطلاع على الرتبة التي يستحقها الجزء بسبب ما له بما وراءه وما أمامه من الارتباط والتعلق الذي هو كلحمة النسب "[1].

وخلاصة القول : يمكن أن نعرف علم التناسب بإنه العلم الذي ينصب اهتمامه على معرفة وجوه التقارب والتشابه والتقابل والترابط بين أجزاء الآيات القرآنية أو بين السور، وهذا الترابط يعطي أكثر فهما وتفسيرا لآيات القرآن الكريم.

1- المناسبة في فواتح السور المسبحات

تعَدّ المناسبة بين فواتح السور القرآنية بشكل عام والسور المسبِّحات بشكل خاص من الظواهر التي تعطي أناقة وجمالا "، وهو من أحسن البلاغة عند البيانيين. وهو أن يتأنق في أول الكلام؛ لأنه أول ما يقرع السمع، فإن كان محررا قِبَل السامع قَبِل الكلام ووعاه، وإلا أعرض عنه، وإن كان في نهاية الحسن؛ فينبغي أن يؤتى فيه بأعذب اللفظ وأرقه، وأجزله وأسلسه، وأحسنه نظما وسبكا، وأصحه معنى وأوضحه، وأخلاه من التعقيد والتقديم والتأخير والمُلبِس، أو الذي لا يناسب. قالوا: وقد أتت فواتح جميع السور على أحسن الوجوه وأكملها؛ كالتحميدات، وحروف النداء، والهجاء، وغير ذلك "[2].

لقد افتتحت جميع سور المسبِّحات بالتسبيح، ولهذا اللفظ مناسبة لما لألفاظ التسبيح من تأثير في نفوس المسلمين. وقيل إن الله سبحانه وتعالى جعل فواتح السور على عشرة أنواع،وهذه العشرة هي: الثناء عليه، والتسبيح، وحروف التهجي، والنداء، والجمل الخبرية، والقسم، والشرط، والأمر، والاستفهام، والدعاء[3] أما السور المسبِّحات فقد كانت في سبع سور

(1) البقاعي، برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، دار الكتب العلمية، بيروت ، ط3، 2006 ، ج1، ص5.
(2) السيوطي، جلال الدين، عبد الرحمن أبو بكر، معترك الأقران في إعجاز القرآن، ضبط وتصحيح : أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1 ، 1988م ،ج1، ص58.
(3) السيوطي، معترك الأقران في إعجاز القرآن، ج1، ص61.

هذه السور استهلت بالتسبيح، و " التسبيح كلمة استأثر الله بها، فبدأ بالمصدر في بني إسرائيل، لأنه الأصل، ثم بالماضي في الحديد والحشر والصف؛ لأنه أسبق الزمانين، ثم بالمضارع في الجمعة والتغابن، ثم بالأمر في الأعلى؛ استيعابا لهذه الكلمة من جميع جهاتها، وهي أربع : المصدر، والماضي، والمستقبل، والأمر المخاطب، فهذه أعجوبة وبرهان"[1].

2- مناسبة فواتح سور المسبِّحات وخواتيمها

مثلما جاءت فواتح سور المسبِّحات مناسبة مع بعضها أيضا يجد المتأمل لفواتح هذه السور مع خواتيمها ، فقد افتتحت سورة الإسراء بقوله تعالى: ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١﴾ ﴾ فقد ابتدأت هذه السورة بالتنزيه والتعظيم والتمجيد وذكر لهذه المعجزة الإلهية ، ألا وهي معجزة الإسراء والمعراج ، ثم جاءت خاتمة هذه السورة بقوله تعالى: ﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴿١١١﴾ ﴾ وهذه الخاتمة تناسب التنزيه والتعظيم الذي جاء بقول الحمد والشكر على أن الله سبحانه وتعالى منزه عن كل نقص، واستوجب التنزيه لأنه لم يتخذ صاحبة ولا ولدا، كذلك هناك مناسبة بين فاتحة سورة الحديد حيث ابتدأت سورة الحديد بقوله تعالى: ﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ ﴾ هذا التنزيه والتسبيح من سكان السماوات والأرض لله جلّ جلاله ، حيث إنه سبحانه هو العزيز وحده لا غيره، تقابله خاتمة هذه السورة وكانت ذات مناسبة وتقابل لفاتحة السورة، كانت خاتمة السورة قوله تعالى: ﴿ لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّن فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾ ﴾ نجد التناسب من خلال هذه الخاتمة ، إذ ذكرت الآية الكريمة أن الفضل بيد الله،وهو صاحب الفضل والفضل بيده لا بيد غيره، وكما كانت فاتحة السورة بأن الله سبحانه وتعالى هو

(1) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج1، ص165، وانظر، السيوطي، معترك الأقران في إعجاز القرآن، ج1 ، ص61.

العزيز، ولا عزيز غيره وهو الحكيم، ولا حكيم غيره. وهناك أيضا تناسب بين فاتحة سورة الحشر لخاتمتها حيث جاءت خاتمة السورة بذكر تنزيه لله على أنه لا إله إلا هو، وهو تسبيح وتنزيه الله ثم ذكرت الآية بعض أسماء الله الحسنى ، فقوله تعالى:﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾ ؛ فالمتأمل لهذه السورة يجد التناسب بين فاتحتها وخاتمتها ، حيث ابتدأت بالتسبيح وختمت بالتسبيح، وجاء في خاتمة سورة الصف قوله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوٓا۟ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّۦنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ حيث جاءت مناسبة لفاتحة هذه السورة ، فقوله تعالى في فاتحة السورة ﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾ ﴾كان بتنزيه ما في السموات والأرض لله جل جلاله عن كل نقص فقد توهم الكفار في خاتمة السورة أن أنصار الله في نقص فجاءت فاتحة الآية لتنزيه الله عن كل نقص، وجاء في افتتاح سورة الجمعة قوله تعالى:﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ ﴾ حيث افتتحت السورة بالتسبيح لله ، وذكر بعض من أسماء الله الحسنى، ثم ختم السورة بالاهتمام بالصلاة والدعوة إليها رغم مغريات الحياة بما فيها من اللهو والتجارة، ولأن الصلاة تسبيح أيضا، يجد المتأمل في هذه السورة مدى التناسب بين فاتحة السورة وخاتمتها، إذ جاء قوله تعالى في خاتمة ﴿ وَإِذَا رَأَوْا۟ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓا۟ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا ۚ قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِ ۚ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١﴾ ﴾ليحث المسلمين على عدم ترك الصلاة ، وأن يلتزموا بسماع حديث النبي محمد صلى الله عليه وسلم ؛ لأن ما عند الله خير من الانشغال باللهو والتجارة، وما الصلاة إلا نوع من أنواع التسبيح الذي بدأت به السورة، وفي سورة الأعلى ذكر التسبيح بصيغة الأمر قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ ﴿٥﴾ ﴾ التنزيه في هذه السورة يمكن أن يكون تنزيها

للاسم، أي أن ينزه أو يوصف به صنم أو وثن، وقيل معناه تنزيه لذكر اسم الله إلا عند الخشوع[1] ومع هذا التسبيح ذكر فضل الله على عباده ، ثم تأتي الخاتمة بقوله تعالى: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾ إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾﴾ لتذكيره بأن الأخيرة هي الباقية وأن الدنيا هي دار فناء، وهنا المناسبة بين فاتحة السورة وخاتمتها تكمن في تسبيح اسم الله الأعلى مع ختام هذه السورة بذكر الصلاة ، والتوجه إلى الله بالإقبال على الآخرة، وأن الدعوة إلى ترك الدنيا والتمسك بالآخرة هي دعوة قديمة وعريقة تعود جذورها إلى صحف إبراهيم وموسى،" ووحدة الحق، ووحدة العقيدة، هي الأمر الذي تقتضيه وحدة الجهة التي صدر عنها، ووحدة المشيئة التي اقتضت بعثة الرسل إلى البشر ... أنه حق واحد، يرجع إلى أصل واحد. تختلف جزئياته وتفصيلاته باختلاف الحاجات المتجددة، والأطوار المتعاقبة. ولكنها تلتقي عند الأصل الواحد. الصادر من مصدر واحد ... من ربك الأعلى الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى "[2].

ومن هنا يمكن القول إن المناسبة بين فواتح السور وخواتيمها قد أحدث ترابطاً دلالياً بين آيات السورة الواحدة و بين سورة وأخرى.

(1) ينظر، أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف، تفسير البحر المحيط، تحقيق : عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1993، ج8، ص453.
(2) سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، بيروت ، ط2، 2003، ج6، ص3894.

الفصل الأول

أفعال الكلام في السور المسبحات

المبحث الأول :- مفهوم الفعل الكلامي ونشأته وتطوره

يعدّ مفهوم الأفعال الكلامية من دعائم الدراسة التداولية؛ فالفعل الكلامي يعد النواة المركزية في أكثر الأعمال التداولية، فما الفعل الكلامي ؟ الفعل الكلامي هو " كل ملفوظ ينهض على نظام شكلي دلالي إنجازي تأثيري؛ وعلاوة على ذلك، فهو يعد نشاطا ماديا نحويا يتوسل بأفعال قولية إلى تحقيق أغراض إنجازية (كالطلب والأمر والوعد والوعيد ... إلخ) وغايات تأثيرية تخص ردود فعل المتلقي (كالرفض والقبول) ومن ثم فهو فعل يطمح إلى أن يكون ذا تأثير في المخاطب اجتماعيا أو مؤسساتيا. ومن ثم إنجاز شيء ما "[1] فالفعل بحسب منظور مسعود صحراوي هو إنجاز ذو طابع اجتماعي بمجرد أن نتلفظ به يتحقق هذا الإنجاز من أجل تحقيق عملية التواصل، وبعد ذلك التأثير على المتلقي بواسطة دفعه على فعل ما أو تركه . ويمكن القول إن التداولية في أول نشأتها ما كانت إلا أعمالا مرادفة للأفعال الكلامية . فمن وضع أسس هذه النظرية ؟

"إن أول من وضع أسس هذه النظرية هو الفيلسوف (أوستين) (Austin) وبعد ذلك طورها تلميذه (سيرل)، ولهذه النظرية مجموعة من المفاهيم والأفكار التي جاء بها (أوستين) ومن أهم هذه الأفكار كل قول عبارة عن فعل في حد ذاته.

اللغة ليست مجرد وسيلة تبليغ وتواصل، بل هي أداة يستعملها المتكلمون للتأثير في الخطاب" [2]، لكن هل كان مصطلح الأفعال الكلامية موجودا في الدراسات اللغوية السابقة ؟ أم

---

(1) علوي، حافظ إسماعيلي، التداوليات علم استعمال اللغة، مجموعة باحثين، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن ، ط1، 2011، ص51.

(2) انظر، لعور، الأفعال الكلامية في سورة الكهف، ص53.

أن (أوستين) هو من نحت هذا المصطلح ؟ للإجابة عن هذا السؤال يمكن النظـــر إلـــى الحـــوار الآتي:

ماجي: كنت تلميذا لأوستين ، أليس كذلك ؟

سيرل: بلى، كنت بالفعل .

ماجي: هل أبدع مصطلح "فعل الكلام " ؟

سيرل: كان المصطلح مستعملا من قبل لغويين بنائيين، أمثال : بلومفيلد، في العقد الثالـــث مـــن القرن العشرين، غير أن معناه الحديث هو من إبداع أوستين [1]، من هنا يمكن القول إن أوستين هو من ابتدع المعنى الحديث لنظرية أفعال الكلام ، فما هي نظرية أفعال الكلام ؟

الملفوظات الأدائية الإنجازية حدد شروطا للملفوظات الأدائية وهذه الشروط هي:-

- يجب أن يكون هناك إجراء عرفي مقبول ومحدد ومتعارف عليه عند المشاركين فـــي عمليـــة التواصل إلى أن يتمكنوا من إنجاز فعل كلامي ما بلحظة التلفظ بجملة معينة، فإذا لـــم يوجـــد إجراء عرفي مقبول ذو أثر معلوم ، مثل الزواج الذي يحصل في المسلسلات والأفـــلام، أو إذا لم تنطق الكلمات على وجه صحيح، أو إذا كان الشخص الذي يتولى الإجراء فاقداً الأهلية للقيام به، أو إذا كانت الظروف غير ملائمة؛ فإن هذا الفعل لايمكن تأديته.
- يجب أن تكون ظروف الاتفاق ملائمة وأن يكون المشاركون مناسبين أيضا، فإذا طلب منـــك مثلا اختيار شخص مناسب لكي يساعدك في عمل معين فعليك اختيار الشخص المناسب، وإلا فإن الفعل لا يؤدى .

(1) انظر، عبد الحق، صلاح إسماعيل، التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد، دار التنوير للطباعـــة والنـــشر، بيروت، ط1 ، 1993 ، ص183.

- يجب إنجاز الفعل من قبل جميع المشاركين إنجازا صحيحا، وذلك بالابتعاد عن كل لبس أو غموض في العبارات، فلا يمكن القول لشخص جاء لخطبة واحدة من بناتك وكان يقصدها، أزوجك إحدى بناتي.
- يجب أن يؤدى الاتفاق أداءً كاملا، فإذا قال رجل لآخر: أبيعك سيارتي بمليون، ولم يقل الرجل قبلت كان الأداء ناقصا.
- يجب أن تتوفر أفكار ومشاعر ونية يحتاجها ذلك الاتفاق لإنجاز الفعل الكلامي، وذلك لأن هذا الإجراء يؤديه أشخاص ذوو أفكار معينة، فإذا قال شخص لآخر: أهنئك بمناسبة نجاحك، وأنت لا تشعر بفرح القائل بل بنقيضه، أو قلت لشخص بأني سأقدم لك المساعدة، وأنت لاتنوي مساعدته، أو إذا قدم لك شخص نصيحة وهو يريد تضليلك، فهنا يكون أداء الفعل غير مُرْضٍ وقد أسيء استعماله.
- يجب أن يظل الموقف الذي اتخذه المشاركون على حاله إلى آخر مرحلة من مراحل إنجاز الفعل، كأن يقول شخص ما لآخر : أدعوك لتناول وجبة الغداء معي، ثم تسلك معه سلوكا مخالفا ، كأن تمتنع من دفع فاتورة الغداء، وتكون حينئذ قد أسأت أداء الفعل.[1] ففي هذه المرحلة نجد (أوستين) يميز بين أفعال إخبارية، وأخرى إنجازية أطلق عليها أفعالا أدائية، وبين أن ميزة الأفعال الأدائية هي في استخدامها لإنجاز فعل: كالتسمية والاعتذار والترحيب والنصح ... الخ، وإنك توصف بالصدق أو الكذب، بل يمكن أن تكون موفقة أو سعيدة إذا التزم المتكلم بشروطها، أو كان موفقا في أدائها، ويمكن أن تكون عكس ذلك، غير موفقة وتعيسة إذا لم يراعِ المتكلم جملة شروطها، وقد وضع بعض الدارسين معاييرَ تضمن نجاح الفعل الكلامي بمجرد التلفظ به، وهي:

(1) انظر، نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص64–65. وانظر، لعور، الأفعال الكلامية في سورة الكهف، ص103–104.

1- يجب أن ينتمي الفعل الإنجازي إلى فئة الأفعال الإنجازية مثل: أمر، حذّر، وعـد، راهـن، وغيرها.

2- يجب أن يكون الفاعل هو نفسه المتكلم.

3- يجب أن يكون زمن الفعل هو الزمن الحاضر أي زمن المتكلم.

وهنا نجد (أوستين) يذكر لنا مثالا لتوضيح ما سبق فيقول: " عنـدما أقـول للقاضـي أو الحاكم ... نعم أريدها زوجة شرعية، فأنا لا أعمل حفل زفاف، لكني أتزوج "[1].

"ورأى (أوستين) أن الفعل الكلامي مركب من ثلاثة أفعال تؤدى في الوقت نفسه الـذي ينطق فيه بالفعل الكلامي، فهي ليست أفعالا ثلاثة يـستطيع المـتكلم أن يؤديهـا واحـدا وراء الآخر؛بل هي جوانب مختلفة لفعل كلامي واحد"[2] فقد ميز (أوستين) الفعل الكلامي تميزا جديدا يعد مقبولا، حيث قام بتوضيح الفعل الإنجازي في هذه المرحلة حيث قام جعل الفعـل الكلامـي ثلاثة أقسام فرعية وعلى النحو الآتي:

1- الفعل اللفظي (Locutionary Act)

2- الفعل الغرضي أو الإنجازي (illocutionary Act)

3- الفعل التأثيري (Periocutionary Act)

(1) الملخ، التداولية ظلال المفهوم وآفاقه، ص10 .
(2) نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص68 .

المبحث الثاني : أقسام الفعل الكلامي

1- الفعل اللفظي Locutionar Act :- وهو فعل القول ويتمثل بالنطق بأصوات لغوية ينتظمها تركيب نحوي صحيح ينتج عنه معنى محدد هو المعنى الحرفي أو الأصلي المفهوم من التركيب، وله مرجع يحيل إليه، ويمكن أن يتفرع تحت هذا النوع من الأفعال أفعال لغوية فرعية بحسب تقسيم أوستين وعلى النحو الآتي:

- **الفعل الصوتي :-** وهو التلفظ بسلسلة من الأصوات التي تنتمي إلى لغة ما.
- **الفعل التركيبي :-** هو إنتاج كلمات يكون لها رصيد في المعجم وتكون خاضعة لقواعد النحو والتركيب.
- **الفعل الدلالي :-** يتمثل في الربط بين الكلمات ودلالاتها حسب ما تحيل إليه [1].

2- الفعل الغرضي أو الإنجازي (illocutionary Act) :- وهو الفعل الذي ينجز بواسطة القول ، كالوعد، والتحذير، والأمر ... إلخ.

3- الفعل التأثيري Periocutionary Act :- ويقصد به الأثر الذي يحدثه الفعل الإنجازي في السامع أو المخاطب، سواء أكان تأثيرا جسديا أم فكريا أم شعوريا. ونسوق مثلا يتضح به هذا الفعل الكلامي المركب من ثلاثة أفعال : إذا دخل عليك شخص وقال لك : (الامتحانات على الأبواب)، فالفعل اللفظي هو الهيئة التركيبية لهذه الجملة بأصواتها التي نطقت وبتركيبها النحوي الصحيح، وبمعناها الحرفي الذي يقرر أن الامتحانات على الأبواب،ومرجعه قرب وقت الامتحانات. والفعل الإنجازي هو ما يقصد المتكلم بهذا القول،

(1) انظر، خليفة (بوجادي)، في اللسانيات التداولية، مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1 ، 2009، ص24.

وهو الحث على القراءة، أو تكثيف القراءة، والفعل التأثيري هو ما يخلفه هذا القول من أثـــر فيك، من عدم الخروج في الشارع، أو غيره.

وبعد ذلك قام أوستين بتصنيف جديد للأفعال الكلامية، وهذا التصنيف يعتمد قـــوة هـــذه الأفعال الإنجازية، حيث جعلها خمسة أصناف، مع أنه لم يكن راضيا عن هذا التصنيف، وهـــذه الأصناف هي:

1- **أفعال الكلام Verdictives :-** وهي التي يكون هدفها إصدار الأحكام، وقد تكون تقديريـــة أو ظنية مثل : برأ، حكم، قدر.

2- **أفعال القرارات Exercitives :-** وهي التي تعبر عن اتخاذ قرار في صـــالح شـــيء، أو شخص أو ضده، مثل : يأذن، يطرد، يحرم، يجند، يحذر ... الخ.

3- **أفعال التعهد Commissives :-** وهي الأفعال التي يتعهد المتكلم بإنجاز فعل معين مثل: أعد، أتعهد، ألتزم، أضمن.

4- **أفعال السلوك Conductives :-** وهي الأفعال التي تهدف إلى إبداء سلوك معين، أو هي الأفعال التي تعبر عن ردة فعل لسلوك شخص معين، مثل : اعتذر، شكر، تعاطف ... الخ.

5- **أفعال الإيضاح Expositives :-** وهي الأفعال التي تستخدم لتوضيح وجهـــة النظـــر، أو بيان الرأي، حيث يكون أكثر استخدامها في الحجاج والنقاش، مثـــل: أثبـــت، افتـــرض، أنكـــر، استنبط، برهن ... إلخ[1].

لكن وبالرغم من كل هذه الجهود التي قام بها أوستين في تصنيف الأفعال الكلاميـــة، إلا أنه لم يستطع تحقيق ما كان يسعى إليه، والسبب في ذلك هو عدم اعتماده أسساً منهجيةً واضحةً ومحددةً، وهذا الأمر أدى إلى الخلط بين بعض هذه الأفعال، بيد أنه يعد أول من وضع المبـــادئ

(1) انظر، نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ،ص69-70.

الأساسية والمفاهيم المركزية التي قامت عليها هذه النظرية، ومن أهمها تمييزه بين محاولة أداء الفعل الإنجازي، والنجاح في أداء هذا الفعل، وتمييزه بين ما تعنيه الجملة وما قد يعنيه المتكلم بنطقها، وتمييزه بين الصريح من الأفعال الأدائية والأولى منها[1].

ثم جاء الفيلسوف الأمريكي (سيرل)، وهو تلميذ أوستين ليكمل ويطور ما قام به أستاذه، فقد قام بدراسة الأفعال الكلامية وتصنيفها، لكن بدقة أكثر مما كان عليه (أوستين) " ويرى سيرل أن الفعل الإنجازي هو وحدة الاتصال الإنساني باللغة، وكذلك الرأي عند فاندرفكن، فالفعل الإنجازي في رأيه: هو الوحدة الأولية لمعنى الجملة، وهو الوحدة الأولية للاتصال"[2] ويمكن أن نحدد الأعمال التي قام بها سيرل كما يأتي:

أولا :- قسَّم الأفعال الكلامية تقسيما جديداً فجعلها أربعة أقسام بدلاً من ثلاثة، لكنه أبقى على قسمين من تقسيمات (أوستين)، فقد أبقى على الفعل الإنجازي والفعل التأثيري، وجعل الفعل اللفظي قسمين : القسم الأول : الفعل النطقي: ويشمل الجوانب الصوتية، والنحوية، والمعجمية،والقسم الثاني:الفعل القضوي: ويشمل المرجع والمتحدث به (الخبر)، وبين أن الفعل القضوي لا يقع وحده، بل لابد من استخدامه مع الفعل الإنجازي، ثم بين أن الفعل الإنجازي هو الوحدة الصغرى للاتصال اللغوي.

ثانيا:- الفعل الكلامي عند (سيرل) أوسع من أن يقتصر على مراد المتكلم، بل يرتبط بالعرف اللغوي والاجتماعي، فقصد المتكلم وحده لا يكفي، بل لابد من العرف اللغوي.

ثالثا:- استطاع أن يطور تصور (أوستين) لشروط الملاءمة أو الاستخدام التي إذا تحققت في الفعل الكلامي كان موفقا، فجعلها أربعة شروط، وطبقها تطبيقا محكما على أنماط من الأفعال الإنجازية فطبقها على أفعال الرجاء، والإخبار، والاستفهام، والشكر، والنصح، والتحذير،

(1) انظر، نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص71.
(2) علوي، التداوليات علم استعمال اللغة، ص135.

والتحية، والتهنئة[1]، ولم يكن (سيرل) مهتما بعمل التأثير في القول، بل إنه قد شك في وجـــوده، وقد كان اهتمامه مرتكزا على الأعمال المقصودة بالقول[2] ويعود إلقاء جملـــة ذات دلالـــة إلـــى تحقيق أربعة أنواع من الأعمال بحسب سيرل.

1- عمل إلقاء القول وهو يقوم على التلفظ بالكلمات أو الجمل.

2- العملان القضويان اللذان يوافقان الإحالة والحمل.

3- الأعمال المتضمنة في القول التي تتمثل في إلقاء الاستفهامات وإصـــدار الأوامـــر وتقـــديم الوعود .

4- أعمال التأثير بالقول التي تتمثل في الإقناع والحمل عليه والإخافة ... [3].

ثم يسرد لنا سيرل مجموعة من الأمثلة حول الفصل بين القوة المقصودة بـــالقول، والمـــضمون القضوي داخل الجملة الواحدة:

- يدخن زيد كثيرا.
- هل يدخن زيد كثيرا؟
- زيد ، دخّن كثيرا.
- ياإلهي ، ما أكثر ما دخّن زيد[4].

يلاحظ البحث أن القضية المشتركة في الجمل السابقة هي قضية واحدة ،ألا وهي (تدخين زيد) لكن المعاني تختلف من جملة إلى أخرى، فالجملة الأولى هي جملة خبرية، أمـــا الجملـــة الثانية فهي جملة استفهامية، والجملة الثالثة جملة أمرية، أما الجملة الأخيرة فهي جملة تعجبيـــة، لهذا السبب فإن الفصل والتمييز بين القضية، والقوة المقصودة بالقول مفيد، وله أثـــر فـــي فهـــم دلالات الجمل.

---

(1) انظر، نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص71- 74.

(2) انظر، آن روبول، جاك موشلا ، التداولية اليوم، علم جديد في التواصل ، ترجمة : سيف الدين دغفـــوس، محمد الشيباني ، دار الطليعة للطباعة للنشر، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 2003 ، ص33.

(3) جاك موشلر، آن روبول، القاموس الموسوعي للتداولية ، ترجمة : مجموعـــة مـــن الأســـاتذة والبـــاحثين، إشراف: عز الدين المجدوب ، دار سيناترا ، تونس ، 2010 ، ص67-68.

(4) انظر، المرجع السابق، ص68.

رابعا:- أعاد سيرل النظر في تصنيف أوستين للأفعال الإنجازية، فقد جعلها كأوستين خمسة أصناف نوجزها بما يأتي:

1- **الإخباريات (Assertives)** :- وأفعال هذا التصنيف تحتمل الصدق والكذب، ويتضمن هذا الصنف معظم أفعال الإيضاح عند أوستين، وكثيرا من أفعال الأحكام.

2- **التوجيهيات (Directives)** :- وغرضها الإنجازي محاولة المتكلم توجيه المخاطب إلى فعل شيء ما . ويدخل في هذا الصنف من الأفعال، الاستفهام، والأمر والرجاء،والاستعطاف، والتشجيع، والدعوة، والإذن، والنصح، بل حتى التحدي الذي وضعه أوستين في أفعال السلوك . وكثيرا من أفعال القرارات عند أوستين تدخل ضمن التوجيهيات.

3- **الالتزاميات (Commissives)** :- وغرضها الإنجازي التزام المتكلم بفعل شيء في المستقبل . والظاهر أن اتجاه المطابقة في الالتزاميات والتوجيهيات واحد، فهل ممكن ضمهما في قسم واحد ؟ الجواب على هذا السؤال لا يمكن جمعهما في قسم واحد، وذلك لسببين : أحدهما: أن المرجع في الالتزاميات هو المتكلم، أما في التوجيهيات فهو المخاطب. والثاني: أن المتكلم في الالتزاميات لا يحاول التأثير في السامع، وفي التوجيهيات يحاول التأثير فيه.

4- **التعبيريات (Expressives)** :- وغرضها الإنجازي هو التعبير عن الموقف النفسي تعبيرا يتوافر فيه شرط الإخلاص، وليس لهذا الصنف اتجاه مطابقة، فالمتكلم لا يحاول أن يجعل الكلمات تطابق العالم الخارجي، ولا العالم الخارجي يطابق الكلمات، وكل ماهو مطلوب الإخلاص في التعبير عن القضية، ويدخل ضمن هذا الصنف أفعال الشكر، والتهنئة، والتعزية،والترحيب .

5- الإعلانيات (Declarations) :- أن ما يميز هذا الصنف من الأفعال هو أن أداءها الناجح يتمثل في مطابقة محتواها القضوي للعالم الخارجي ، وأن أهم مايميز هذا الصنف عن الأصناف السابقة الذكر أنها تحدث تغييرا في الوضع القائم، وأنها تقتضي عرفا غير لغوي[1].

خامسا :- فرق (أوستين) بين الأفعال اللفظية والأفعال الإنجازية، وفرق بين الأفعال الإنجازية الصريحة والأولية، لكن (سيرل) ميز بين ماأسماه الأفعال الإنجازية المباشرة وغير المباشرة، أو الثانوية والأولية، لكن المصطلح الأكثر شيوعا عند (سيرل) هو الأفعال المباشرة وغير المباشرة، فالأفعال الإنجازية المباشرة عنده هي الأفعال التي تتطابق قوتها الإنجازية مع مراد المتكلم، فيكون معنى ما ينطقه مطابقا مطابقة تامة وحرفية لما يريد أن يقول، وهو يتمثل في معاني الكلمات التي تتكون منها الجملة، أما الأفعال غير المباشرة فهي الأفعال التي تخالف قوتها الإنجازية مراد المتكلم، فالفعل الإنجازي يؤدى على نحو غير مباشر من خلال فعل إنجازي آخر[2]. فعندما نقول مثلا : المطر نازل، ونقصد به الإخبار عن نزول المطر فإننا نؤدي فعلا كلاميا مباشرا، أما إذا كان القصد أن ننبه السامع بعدم الخروج في هذه اللحظة، فإننا بذلك ننجز أمرا أو طلبا، وهذا يكون فعلا كلاميا غير مباشر، ومن هنا نجد أن (سيرل) قد أضاف قسمين جديدين لهذا التصنيف، وقد حدد (سيرل) أفعالا تنتمي إلى فصيلة الأفعال غير المباشرة، وسيتناول البحث عددا من هذه الأفعال وبحسب رؤية (سيرل) لها.

1- أفعال التوجيه غير المباشرة :

اهتم (سيرل) بالأفعال التوجيهية حتى خصص لها عددا من الجمل التي يمكن استخدامها لإنجاز أفعال توجيهية غير مباشرة مثل: الأمر، والنهي ... إلخ، وتتمثل هذه الجمل بما يلي:

- الجمل التي تتعلق بقدرة المستمع على إنجاز فعل معين، كأن تقول مثلا : " أيمكنك أن تناولني الملح ؟ " فهذه الجملة شكلها الظاهر أنها استفهامية بدليل وجود حرف الاستفهام، لكن في الحقيقة هي طلب تقديم الملح لكن بصورة مؤدبة على شكل سؤال.

---

(1) انظر، نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص78-80.

(2) انظر المرجع السابق، ص81.

- الجمل التي تتعلق برغبة المتكلم من مستمعه إنجاز فعلٍ ما، نحو: أود أن تغادر الآن.
- الجمل التي تتعلق بإنجاز فعل من المستمع، نحو : أيمكنك التوقف عن إحداث هذه الفوضى العارمة ؟
- الجمل التي تتعلق بالرغبة في أن ينجز المستمع فعلاً ما، أو موافقته ورضاه على إنجازه نحو: أتقبل أن تكتب لي رسالة توصية ؟
- الجمل التي تتعلق بالأسباب التي من أجلها نقوم بالفعل، نحو: عليك أن تكون أكثر تأدبا مع أمك.
- الجمل التي ترصِّع فعلا إنجازيا توجيهيا صريحا في أحد هذه السياقات، مثلا : هل يزعجك الأمر أن طلبت منك أن تكتب لي رسالة توصية ؟ [1]

2- أفعال الوعد غير المباشرة :

لإنجاز أفعال الوعد غير المباشرة يقدم (سيرل) مجموعة من الجمل يرى فيها إنجازا لفعل كلامي غير مباشر عند استعمالها، وهي كالآتي:

- الجمل التي تتعلق بالشروط التمهيدية، مثل: هل أستطيع مساعدتك ؟ هل تريد مني أن أساعدك؟
- الجمل التي تتعلق بشرط الإخلاص، مثل : هل تفضل أن آتي يوم الثلاثاء ؟
- الجمل التي تتعلق بشرط المحتوى الإسنادي، مثل : سأقوم به من أجلك.
- الجمل التي تتعلق برغبة المتكلم، وموافقته على إنجاز فعل ما، مثل: أريد أن أكون نافعا في حدود إمكانياتي.
- الجمل التي تتعلق بالأسباب التي من أجلها ينجز المتكلم الفعل، مثل : أعتقد أني أعمل حسنا[2].

---

(1) انظر، سيرل، جون، العقل واللغة والمجتمع ، الفلسفة في العالم الواقعي، ترجمة : سعيد الغانمي، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2006، ص214، وانظر، نور الدين خيار، الخطاب القصصي القرآني، دراسة أسلوبية تداولية، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، الجزائر، 2004، ص225.

(2) انظر، سيرل، جون، العقل واللغة والمجتمع ، الفلسفة في العالم الواقعي، ص214، وانظر، نور الدين خيار، الخطاب القصصي القرآني، دراسة أسلوبية تداولية، ص226.

المبحث الثالث :- أفعال الكلام في السور المسبحات

أولا : الإخباريات (التقريريات) Assertives

التسبيح : استهلت السور المسبِّحات بآيات عظيمة في معناها، ألا وهو تسبيح الله عز وجل فالتسبيح هو" تنزيه الحق عن نقائص الإمكان والحدوث "[1] وقد تنوعت صيغ التسبيح في السور المسبحات، فقد ابتدأ التسبيح بالمصدر في سورة الإسراء بقوله تعالى ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ۝١ ﴾ (الإسراء: 1) لقد ابتدأ بالمصدر والمصدر هو الأصل في الاشتقاق عند البصريين، وهذا يدل دلالة واضحة على "التنزيه البليغ الثابت المطلق غير المقيد بزمان أو مكان أو أي شيء "[2] وبما أن التسبيح غير مقيد بزمان ولامكان فهذا يعني أن تسبيح الله وتنزيهه في كل وقت وفي كل مكان، ولهذا استخدم المصدر في سورة الإسراء، وقد وردت صيغة المصدر هنا للتعجب، ولو أن بعض المفسرين عدها للتنزيه لا للتعجب، وذلك لدلالة سياق الآيات يدل على التنزيه[3] لكن الابتداء بالتسبيح في هذه السورة من غير أن تسبق بكلام معين يستوجب أو يستدعي تنزيه الله سبحانه وتعالى يعطيك تساؤلاً: لماذا هذا التسبيح ؟ وهذا معناه " الافتتاح بكلمة التسبيح من غير سبق كلام متضمن ما يجب تنزيه الله عنه يؤذن بأن خبرا عجيبا يستقبله السامعون دالا على عظيم القدرة من المتكلم ورفيع منزلة المتحدث عنه "[4].

---

(1) الشريف الجرجاني، كتاب التعريفات ، ص59.

(2) الزمخشري، جار الله، أبو القاسم محمود بن عمر، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، مكتبة العبيكان، الرياض، ط1، 1998، ج3 ، ص491.

(3) انظر، الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، مؤسسة الأعلى للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط1، 1997، ج13، ص7.

(4) ابن عاشور، محمد الطاهر، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، دط، 1984، ج15 ، ص9.

ومن هذه المعطيات يرى الباحث أن الفعل الكلامي في هذه الآية له قوة إنجازية هي الإخبار وهذا الخبر هو عن ظاهرة ليلة الإسراء والمعراج، هذه الليلة التى أسرى الله بنبيه محمد (صلى الله عليه وسلم) من المسجد الحرام في مكة إلى المسجد الأقصى، ونظرا لبعد هذه المسافة التي لا يمكن أن تقطع بهذه السرعة مع محدودية النقل آنذاك جاء افتتاح هذه الآية بكلمة(سبحان)، أما القوة الإنجازية الملتزمة فهي إخبار تعجب السامعين لأنه لا يستقيم تعجب المتكلم من فعل نفسه إضافة إلى تنزيه الله من أقل نقص أو عيب.

ثم جاء التسبيح بصيغة الماضي في ثلاث سور هي الحديد والحشر والصف، ففي سورة الحديد جاء قوله تعالى: ﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١ ﴾ (الحديد: 1) وفي سورة الحشر جاء قوله تعالى: ﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١ ﴾ (الحشر: 1) أما في سورة الصف فقد جاء قوله تعالى﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١ ﴾ (الصف: 1) فقد جاء التسبيح في هذه السور تأكيدا لتحقيق التسبيح لأن دلالة الفعل الماضي تفيد تحقق الفعل " جاء في بعض الفواتح (سبح) على لفظ الماضي ... وذلك إشارة إلى أن هذه الأشياء مسبحة غير مختصةٍ بوقت دون وقت، بل هي كانت مسبحة أبدا في الماضي "[1] ولأن ذكر صيغة التسبيح (سبح) ثلاث مرات دلالة واضحة على حصول التسبيح من جميع سكان السموات والأرض.

ويرى الباحث أن القوة الإنجازية للفعل الكلامي في هذه الآيات هي في الإخبار بأن جميع سكان السموات والأرض تسبح لله، وهذا التسبيح أزلي لا حدود لوقته، أما القوة الإنجازية الملتزمة فهي تنزيه لله من كل عيب ونقص، وأن كل الأشياء التي تدور من حوله تقر بعظمته و"

(1) الرازي، محمد فخر الدين، ابن العلامة ضياء الدين عمر، تفسير الفخر الرازي ، المشتهر : بالتفسير الكبير، دار الفكر، لبنان، بيروت، ط1، 1981، ج29، ص207.

أن الممكنات بأسرها منقادة له، يتصرف فيها كيف يريد، ليس له عن فعله وتكوينه مانع ولا دافع "[1] ثم ذكر التسبيح بصيغة الفعل المضارع في سورتين، هما سورة الجمعة وسورة التغابن، ففي سورة الجمعة جاء قوله تعالى ﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡمَلِكِ ٱلۡقُدُّوسِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ١ ﴾ (الجمعة: 1) وفي سورة التغابن جاء قوله تعالى﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ لَهُ ٱلۡمُلۡكُ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١ ﴾(التغابن: 1) بعد التسبيح بصيغة الماضي تحول إلى صيغة المضارع في السورتين السابقتين ليدل على استمرار التسبيح، فصاحب تفسير ظلال القرآن يذكر مطلع سورة الجمعة بقوله " هذا المطلع يقرر حقيقة التسبيح المستمر من كل ما في الوجود لله؛ ويصفه – سبحانه – بصفات ذات علاقة لطيفة بموضوع السورة "[2] ومن هنا يرى الباحث أن القوة الإنجازية للفعل الكلامي في هاتين الآيتين هي التسبيح في الزمن الحاضر والمستقبل، أما القوة الإنجازية الملتزمه هي استمرار التسبيح ودوامه وعدم انقطاعه " وللتنبيه على أن أهل السماوات والأرض يجددون تسبيح الله ولا يفترون عنه أوثر المضارع بقوله (يسبح) "[3] واختتم التسبيح في سورة الأعلى بصيغة الأمر بقوله تعالى﴿ سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ١ ٱلَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ٢ وَٱلَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ٣ وَٱلَّذِيٓ أَخۡرَجَ ٱلۡمَرۡعَىٰ ٤ ﴾ (الأعلى: 1 – 4) حيث كان الخطاب موجها من الله جل جلاله إلى نبيه الأكرم محمد (صلى الله عليه وسلم) ليختتم فيه تسبيح الله بصيغة الأمر ليكون واجبا على كل من في السماوات والأرض، ويرى الباحث أن القوة الإنجازية للفعل الكلامي هي إلزام تسبيح الله لسكان السماوات والأرض، أما القوة الإنجازية الملتزمة من الفعل الكلامي فهي تكليف كل إنسان مؤمن بقدرة الله وعظمته " الذي خلق كل شيء فسواه،فأكمل

(1) الرازي، تفسير الفخر الرازي، ج29 ، ص207.
(2) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج28، 3564.
(3) ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج28، ص206.

صنعته ، وبلغ به غاية الكمال الذي يناسبه .. والذي قدر لكل مخلوق وظيفته وغايته فهداه إلى ما خلقه لأجله وألهمه غاية وجوده؛ وقدر له ما يصلحه مدة بقائه "[1] تكليفا له بالتسبيح والتسبيح هنا خاص باسم الله وهو أن يذكر اسمه بصفات تليق بجلالته " فتسبيح اسم الله النطق بتنزيهه بين الناس بذكر يليق بجلاله من العقائد والأعمال كالسجود والحمد، ويشمل ذلك استحضار الناطق بألفاظ التسبيح معاني تلك الألفاظ إذ المقصود من الكلام معناه، وبتظاهر النطق مع استحضار المعنى يتكرر المعنى على ذهن المتكلم ويتجدد ما في نفسه من تعظيم الله تعالى "[2].

ومن هنا يمكن القول إن الإخبار في التسبيح بهذه الصيغ المختلفة ابتداء بالمصدر وانتهاء بفعل الأمر ماهي إلا إشارة واضحة بأن التسبيح لله متصل ومتواصل، وليس له انقطاع بل إنه أزلي، وما اختلاف الصيغ في التسبيح إلا رمز تداولي يؤذن بأن على الإنسان أن يسبح الله تسبيحا دون انقطاع.

وصف المؤمنين :- ذكر الله سبحانه وتعالى صفات المؤمنين في القرآن الكريم، وذلك ليهدي الناس إليها ويحث على التحلي بها وقد جاء في السور المسبِّحات ذكر لصفات المؤمنين سيتناولها البحث ويبين الأفعال الكلامية فيها. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ ﴾ (الإسراء: 9) بعد أن ذكر نبينا محمد (صلى الله عليه وسلم) في الآيات التي سبقت هذه الآية وكيف اختص الله نبيه بالإسراء، ثم جاء ذكر نبي الله موسى عليه السلام وما كرمه به من شرف إنزال التوراة عليه لتكون هدى لبني إسرائيل،وذكر ماحدث لبني إسرائيل بعد ذلك وكأنه يضرب مثالا يريد به تحذير المسلمين أن يصيبهم ما أصاب بني إسرائيل لعدم التزامهم بالقوانين التي جاءت بها التوراة " كان القبيل

(1) سيد قطب، في ظلال القرآن ج30، ص3883.
(2) ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير ج30، ص273.

السابق من الآيات يذكر كيفية جريان السنة الإلهية في هداية الإنسان إلى سبيل الحق ودين التوحيد ثم إسعاد من استجاب الدعوة الحقة في الدنيا والآخرة، وكان ذكر نزول التوراة وما جرى بعد ذلك على بني إسرائيل كالمثال الذي يورد فيه الكلام لتطبيق الحكم الكلي على إفراده ومصاديقه، وهذا القبيل من الآيات يذكر جريان السنة المذكورة في هذه الأمة كما جرت في أمة موسى، وقد استنتج من الآيات لزوم التجنب عن الشرك ووجوب التزام طريق التوحيد "[1].

ففي هذا القرآن هداية إلى كل الناس دون تحديد، يهدي إلى الطريق المستقيم، ويعصمهم من الخطأ والزلل، وهنا جاءت مناسبة ذكر بشارة المؤمنين مع الهداية هذه البشارة التي وعد الله بها عباده المؤمنين الذين يعملون الصالحات " هكذا على وجه الإطلاق فيمن يهديهم، فيشمل الهدى أقواما وأجيالا بلا حدود من زمان أو مكان، ويشمل ما يهديهم إليه كل منهج وكل طريق، وكل خير يهتدي إليه البشر في كل زمان ومكان، يهدي للتي هي أقوم في عالم الضمير والشعور بالعقيدة الواضحة البسيطة التي لا تعقيد فيها ولا غموض ... (ويبشر المؤمنين) هذه هي قاعدته الأصلية في العمل والجزاء، فلا إيمان بلا عمل ولا عمل بلا إيمان"[2].

ومن هنا يرى الباحث أن القوة الإنجازية للفعل الكلامي في قوله تعالى: (إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ) هي إرشاد هذا القرآن إلى الطريق الصحيحة أو المستقيمة التي لا زلل فيها، هذا الإرشاد والهداية يكون عاما لا مخصوصا بفئة معينة، أما القوة الإنجازية الملتزمة لهذا الفعل الكلامي فهي الحث على التمسك بتعاليم هذا القرآن، فهو المنجي والمنقذ من الزلل، وأخذ الحذر من الوقوع في الشرك مثلما وقع به قوم موسى عليه السلام . وفي قوله تعالى (وَيُبَشِّرُ

(1) الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج13، ص47.
(2) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج15، ص2215.

ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا) يرى الباحث أن القوة الإنجازية للفعل الكلامي في هذه الآية هي الحث على عمل الصالحات والابتعاد عن كل عمل قبيح ،لأن لكل عمل جزاء : قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾ ﴾(الرحمن:60) أما القوة الإنجازية الملتزمة للفعل الكلامي في هذه الآية فهي الوعد الذي تتضمنه هذه الآية من البشرى والأجر الكبير الذي ينتظرهم . قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ ﴾ (الحديد:12) " المشهد هنا بإجماله وتفصيله جديد بين المشاهد القرآنية وهو من المشاهد التي يحييها الحوار بعد أن ترسم صورتها المتحركة رسما قويا. فنحن الذين نقرأ القرآن اللحظة نشهد مشهدا عجيبا. هؤلاء هم المؤمنون والمؤمنات نراهم. ولكننا نرى في أيديهم وبإيمانهم إشعاعا لطيفا هادئا. ذلك نورهم يشع منهم ويفيض بين أيديهم "[1] الخطاب هنا يمكن أن يكون إلى الرسول الكريم محمد (صلى الله عليه وسلم) والرؤية هنا رؤية العين الحقيقية كما ذكر أغلب المفسرين وقوله تعالى (يسعى) من مادة(سعى) التي تعني الحركة السريعة، والمعنى هنا هو حركة المؤمنين السريعة باتجاه الجنة، ولأن حركة نورهم السريعة لا تنفصل عن سرعة حركتهم، ويمكن القول إن هذا النور هو عند الصراط[2].

ويرى الباحث أن القوة الإنجازية للفعل الكلامي في هذه الآية هي الإخبار عن الرؤية الحقيقة إلى المؤمنين عند سعيهم والنور أمامهم وخلفهم وبين جانبيهم، وهذه صفة من صفات المؤمنين، ألا وهي إشعاع النور في وجوههم وذلك لما قدموه من أعمال صالحة، فيخبرهم الله سبحانه وتعالى بأن هناك بشرى لكم، وهذه البشرى هي جنات تجري من تحتها الأنهار ستكونون

(1) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج27، ص3485.
(2) انظر، الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الأميرة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط2، 2009، ج18 ، ص25، وانظر، الألوسي، روح المعاني، ج27، ص174.

خالدين فيها أبدا. أما القوة الإنجازية الملتزمة للفعل الكلامي فتتمثل بوصف هيئة المؤمنين، وبالوعد من الله إلى هؤلاء المؤمنين بأن الخلود في جنات تجري من تحتهم الأنهار هو هذا مقامهم وهذا هو الفوز العظيم . قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴿٤﴾ ﴾ (الصف:4) قد تكون هذه الآية جوابا عن سؤالٍ مفاده من أحب الناس إلى الله أو من هم الأشخاص الذين يحبهم الله ؟ وجاء في تفسير هذه الآية ثلاث مسائل هي " الأولى قوله تعالى (إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا) أي يصفون صفا، والمفعول مضمر، أي يصفون أنفسهم صفا. (كأنهم بنيان مرصوص) قال الفراء : مرصوص بالرصاص. وقال المبرد: هو من رصصت البناء، إذا لَاْءَمْتُ بينه وقاربت حتى يصير كقطعة واحدة: وقيل هو الرصيص وهو انضمام الأسنان بعضها إلى بعض والتراص التلاصق ... ومعنى الآية: يحب من يثبت في الجهاد سبيل الله ويلزم مكانه كثبوت البناء، وقال سعيد بن جبير: هذا تعليم من الله تعالى للمؤمنين كيف يكونون عند قتال عدوهم . والثانية : وقد استدل بعض أهل لتأويل بهذا على قتال الراجل أفضل من قتال الفارس لأن الفرسان لايصطفون على هذه الصفة. والثالثة: لا يجوز الخروج من الصف إلا لحاجة تعرض للإنسان، أو في رسالة يرسلها الإمام، أو منفعة تظهر في المقام "[1] ومن هذه المعطيات الثلاث يرى الباحث أن القوة الإنجازية للفعل الكلامي في هذه الآية هي إخبار الناس بأن الله يحب الناس الذين يقاتلون في سبيله وهم مجتمعون متكاتفون لا يفرقهم أي شيء " والظاهر في تشبيه الذوات في التحام بعضهم بعضا بالبنيان المرصوص : وقيل المراد استواء نياتهم في الثبات حتى يكونوا في اجتماع الكلمة كالبنيان المرصوص "[2].

(1) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج18 ، ص12.
(2) أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط :ج8 ، 259.

ويحب التحامهم وتكاتفهم ضد عدوهم ،هذا التكاتف شبهه القرآن بأنه كالبنيان المرصوص، وفي هذا الاجتماع والتكاتف فوائد كثيرة، أما القوة الإنجازية الملتزمة للفعل الكلامي في هذه الآية، فهي الحث على العمل الجماعي وما به من فوائد للمسلمين، وفي هذه الآية توجيه وتعليم للمؤمنين كيف يكونون منتظمين ومتكاتفين في مقاتلة عدوهم، وفي هذا التكاتف رسالة إلى الأعداء بمدى القوة التي يمتلكها المسلمون وشدة التماسك فيما بينهم، وهذا التماسك والتكاتف يرعب الأعداء، وقد قيل في البنيان المرصوص، البناء هو النظام، وبما أنه نظام فهذا يعني أنه سبق أن خطط له تخطيطا جيدا، أما المرصوص " وقوله: (كأنهم بنيان مرصوص) بالرصاص، حثهم على القتال "[1] المراد هنا قوة هذا البناء الذي يقاوم ما ينصدم به.

وصف الكافرين :- جاء وصف الكافرين في السور المسبِّحات بأوصاف شتى، فقد وصفوا بالظالمين والفاسقين والمشركين، وغير هذه من الأوصاف وسيتناول البحث بعضا من هذه الآيات التي تعرضت إلى الكافرين والخطاب الموجه إليهم.

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾ ﴾ (الإسراء: 10) "العتاد : ادخار الشيء قبل الحاجة كالإعداد والعتيد : المُعِدُّ والمُعَدُّ . قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ (ق: 23) قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ ﴾ (ق: 18) أي مُعْتَدُّ أعمال العباد، وقوله تعالى :﴿ وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾ ﴾ (النساء:18) وقيل أصله أعددنا : فأبدل من إحدى الدالين تاء"[2]الخطاب في هذه الآية الكريمة من الله سبحانه وتعالى، ويمكن أن يكون موجَّهاً إلى الذين آمنوا لتكون البشارة لهم على شقين: الشق الأول أن

(1) الفراء، أبو زكريا، يحيى بن زياد، معاني القرآن، عالم الكتب، بيروت، ط3، 1983، ج3، 153.
(2) انظر، الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ص545.

الله وعدهم بالجنة، أما الشق الثاني : فهو معاقبة أعدائهم بأشد أنواع العذاب، وهذا من قبيل البشارة للمؤمنين فهذه الآية تخبر بأن الله جل جلاله قد هيأ للذين لا يؤمنون باليوم الآخر عذابا أليما، ويرى الباحث أن القوة الإنجازية للفعل الكلامي في هذه الآية هي الإخبار عن العقوبة التي تنتظر من لا يؤمن بيوم الحساب ويوم القيامة، أما القوة الإنجازية الملتزمة للفعل الكلامي في هذه الآية هي الوعد بالبشارة للمؤمنين بنوعين من البشارة " واعلم أن قوله : (وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة) عطف على قوله : (أن لهم أجرا) والمعنى أنه تعالى بشر المؤمنين بنوعين من البشارة بثوابهم وبعقاب أعدائهم "[1] ويمكن أن تحمل هذه البشارة على محمل السخرية والاستهزاء من الذين لا يؤمنون باليوم الآخر.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَخۡرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمۡ لِأَوَّلِ ٱلۡحَشۡرِۚ مَا ظَنَنتُمۡ أَن يَخۡرُجُواْۖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمۡ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنۡ حَيۡثُ لَمۡ يَحۡتَسِبُواْۖ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعۡبَ يُخۡرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيۡدِيهِمۡ وَأَيۡدِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ٢ ﴾ (الحشر: 2) الذين كفروا في هذه الآية هم بنو النضير[2] الذين تحصنوا بحصونهم، وكانوا متيقنين من أن المسلمين لا يستطيعون إخراجهم، وقد وصفهم القرآن بهذا الوصف الذميم لأنهم كفروا بالنبي محمد (صلى الله عليه وسلم) وأنكروا ما جاء به من تعاليم سماوية ، والحشر : جمع ناس في مكان ما.

وفي هذه الآية جاء معنى الحشر هو حشر يهود جزيرة العرب وإخراجهم من بلاد العرب، لكن الظن السائد عند المسلمين وعند بني النضير هو عدم التمكن من إخراجهم، وذلك للتحصن بهذه الحصون، حيث كان اليهود يتخذونها حماية لهم وهذه الحصون هي:"[3] الكتيبة، والفويقة، والوطيح، والسلالم، والنطاة، والوخدة " فلا أحد كان يتوقع خروجهم بسبب هذه القوة

(1) الرازي، تفسير الفخر الرازي: ج20، ص162 .
(2) بنو النضير: هم قبيلة من اليهود استوطنوا بلاد العرب هم وبنو عمهم بنو قريظة ، ويهود خيبر، وكلهم من ذرية هارون عليه السلام.
(3) انظر، ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج28، 69.

التي كانت لديهم، بل إن هذه القوة كانت سببا في غرورهم وطغيانهم حتى نسوا أن لله قوة لا تقف أمامها حصونهم، ومن هنا يرى الباحث أن القوة الإنجازية للأفعال الكلامية في هذه الآية الكريمة تتضمن إخبارا عن يهود بني النضير، وكيف كانت لهم حصون جعلتهم ينسون الله وقوته، إلا أن الله أتاهم من (حيث لا يحتسبون وقذف في قلوبهم الرعب) " أتاهم من داخل أنفسهم، لا من داخل حصونهم، أتاهم من قلوبهم فقذف فيها الرعب ، ففتحوا حصونهم بأيديهم، وأراهم أنهم لا يملكون ذواتهم ولا يحكمون قلوبهم، ولا يمتنعون على الله بإرادتهم وتصميمهم، فضلا على أن يمتنعوا عليه ببنيانهم وحصونهم "[1] حتى جعلهم من شدة الرعب الذي حل بهم يخربون بيوتهم بإيديهم فضلا عن أيدي المؤمنين. أما القوة الإنجازية الملتزمة للأفعال الكلامية لهذه الآية؛ فهي تتمثل بأن القوة العليا لله، ولا قوة أكبر من قوته، ومن هذه الآية نفهم بأن الله هو الفاعل الرئيس في هذه الحادثة، وفي الأفعال: قذف، ويخربون: معنى يتضمن التعجب من حال بني النضير لما أصابهم من خوف وهلع، " والقذف: الرمي باليد بقوة، واستعير للحصول العاجل، أي حصول الرعب في قلوبهم دفعة واحدة دون سابق تأمل ولا حصول سبب للرعب ... والمعنى: وجعل الله الرعب في قلوبهم فأسرعوا بالاستسلام، وقذف الرعب في قلوبهم هو من أحوال إتيان الله إياهم من حيث لم يحتسبوا فتخصيصه بالذكر للتعجب من صنع الله "[2].

أما قوله تعالى (فاعتبروا يا أولي الأبصار) ففيه توجيه أن يأخذ الإنسان الموعظة من الأحداث التي تصيب غيره " أي اتعظوا يا أصحاب العقول والألباب. وقيل: يامن عاين ذلك ببصره؛ فهو جمع للبصر. ومن جملة الاعتبار هنا أنهم اعتصموا بالحصون من الله فأنزلهم الله منها، ومن وجوهه: أنه سلط عليهم من كان ينصرهم . ومن وجوهه أيضا: أنهم هدموا أموالهم

(1) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج8 ، ص 3521.
(2) ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج28، ص71.

بإيديهم . ومن لم يعتبر بغيره، اعتبر في نفسه ... وفي الأمثال الصحيحة (السعيد من وَعِظَ بغيره) "[1].

قَالَ تَعَالَى: ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢاۚ بِئۡسَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٥ ﴾ (الجمعة: 5) في هذه الآية الكريمة التشبيه تشبيه تمثيلي، وقد شبه فيه اليهود بالحمار الذي يحمل أسفارا، وقد يكون وجه الشبه هو الغباء والحماقة، ويمكن أن يكون وجه الشبه هو عدم الانتفاع بكتاب الله " وجه الشبه بين أحبار اليهود الذين كلفوا العمل بما في التوراة ثم لم يعملوا بذلك وبين الحمار الحامل للأسفار هو حرمان الانتفاع. بما هو أبلغ شيء بالانتفاع به مع الكد والتعب في استصحابه وليس بمشتبه كونه عائدا إلى التوهم "[2] ، والتشبيه الذي هو مورد البحث يعد من الشبيه المركب، والتشبيه المركب: هو أن ينتزع وجه الشبه من أمور مجموع بعضها من بعض.

والآية الكريمة تتحدث عن اليهود الذين أنزل الله التوراة على نبيهم موسى عليه السلام، فبلغهم عن العلوم والمعارف وما شرعت السماوات لهم لكنهم تركوا هذه الشرائع والمعارف ولم يعملوا بها، فضرب الله لهم مثلا، وهو الحمار عندما يحمل أسفارا لا يعلم ما تحتويه من المعارف والعلوم، فالحمار لا يحصل من هذه الأسفار إلا التعب " ضرب مثلا لليهود لما تركوا العمل بالتوراة ولم يؤمنوا بمحمد (صلى الله عليه وسلم) (حمّلوا التوراة) أي كُلّفوا العمل بها؛ وعن ابن عباس، قال الجرجاني: هو من الحَمَالة بمعنى الكفالة؛ أي ضمنوا أحكام التوراة (كمثل الحمار يحمل أسفارا) هي جمع سفر، وهو الكتاب الكبير؛ لأنه يسفر عن المعنى إذا قرئ. قال

(1) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج18، ص5.
(2) السكاكي، مفتاح العلوم، ص452.

ميمون بن مِهران: الحمار لا يدري أسفر على ظهره أم زبيل؛ فهكذا اليهود. وفي هذا تنبيه من الله تعالى لمن حمل الكتاب أن يتعلم معانيه ويعلم ما فيه؛ لئلا يلحقه من الذم ما لحق هؤلاء "[1].

ومن هنا يرى الباحث أن القوة الإنجازية للفعل الكلامي في هذه الآية هي إخبار المسلمين بأن اليهود نزل عليهم كتاب اسمه التوراة، فيه تعاليم الشريعة السماوية، وفيه من المعارف والعلوم، لكن اليهود لم يطلعوا على هذه المعارف بسبب جهلهم، وهذا الشيء جعلهم مثل الحمار يحمل الأسفار، لكن لا يعلم ما فيها من معارف، فهو لا يميز بين أن يكون المحمول على ظهره خشب أو حديد أو كتب، وقد استخدم القرآن التشبيه لتقريب المعنى إلى أذهان السامعين. أما القوة الإنجازية الملتزمة للفعل الكلامي فهي تحذير المسلمين من أن يكون واقعهم مثل واقع اليهود، وأن يفهموا ألفاظ القرآن ويدركوا أبعادها ومقاصدها، أما التشبيه المذكور في الآية الكريمة فقد استخدم لأداء فعل كلامي غير مباشر هو ذم وتحقير اليهود، وإظهار جهلهم كانوا يزعمون بأنهم شعب الله المختار، وأنهم أولياؤه من دون الناس ، فكيف يكونون أولياء الله والله يشبههم هذا التشبيه الذي كان يراد منه التشنيع ؟ " وهذا التمثيل مقصود منه تشنيع حالهم وهو من تشبيه المعقول بالمحسوس المتعارف، ولذلك ذيل بذم حالهم (بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله) وبئس فعل ذمّ أي ساء حال الذين كذبوا بكتاب الله ، فهم قد ضموا إلى جهلهم بمعاني التوراة تكذيبا بآيات الله وهي القرآن"[2].

فـ(بئس) فعل إنجازي مباشر أريد به ذمّ الكافرين، أما قوله تعالى (والله لا يهدي القوم الظالمين) فهي إخبار عن سوء حال الذين كذبوا بآيات الله، وفيها قوة إنجازية ملتزمة ، وهي حرمان هؤلاء من لطف الله وعنايته " وجملة (والله لايهدي القوم الظالمين) تذييل إخبارا عنهم

(1) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج18، ص95.
(2) ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج28 ، ص214.

بسوء حالهم، لا يرجى لهم منه انفكاك ؛لأن الله حرمهم اللطف والعناية بإنقاذهم لظلمهم بالاعتداء على الرسول صلى الله عليه وسلم بالتكذيب دون نظر، وعلى آيات الله بالجحد دون تدبر "[1].

قَالَ تَعَالَى:﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿١٠﴾ ﴾ (التغابن: 10) تحدثت الآية التي سبقت هذه الآية عن أحوال المؤمنين ، وكيف يجازيهم الله عن أعمالهم الصالحة بأن يدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار، ثم انتقل الحديث عن الذين كفروا وكذبوا بآيات الله، وهذا من قبيل التناسب بين الآيات في السورة الواحدة " ولما ذكر الفائز بلزومه التقوى ترغيبا اتبعه الخائب بسبب إفساد القوتين الحاملتين للتقوى، العلمية والعملية ترهيبا، فقال بادئا بالعملية: (والذين كفروا) أي غطوا أدلة ذلك اليوم فكانوا في الظلام، ولما ذكر إفسادهم القوة العلمية اتبعه العملية فقال (وكذبوا) أي أوقعوا جميع التغطية وجميع التكذيب (بآياتنا) بسببها مع مالها من العظمة بإضافتها إلينا فلم يعلموا شيئا "[2] ولاستخدام الجملة الاسمية في هذه الآية دلالة على أن الذين كفروا وكذبوا بآيات الله واستمروا على كفرهم سيكون مصيرهم نار جهنم خالدين فيها، لأنهم أضاعوا أهم ركنين للسعادة، هما الإيمان والعمل الصالح، واتخذوا الكفر والتكذيب بآيات الله من صفاتهم فكان الشقاء حليفهم والنار مثواهم وبئس المصير.

ومن هذه المعطيات يرى الباحث أن القوة الإنجازية للفعل الكلامي في هذه الآية هي الإخبار عن حال الذين يكفرون ويكذبون بآيات الله ويستمرون في الكفر والتكذيب فمصيرهم النار خالدين فيها، أما القوة الإنجازية الملتزمة للفعل الكلامي في هذه الآية فهي تحذير ووعيد لهؤلاء بأنهم سيكون استحقاقهم النار إذا ما استمروا في كفرهم وتكذيبهم بآيات الله " وجملة وبئس المصير اعتراض تذييلي لزيادة تهويل الوعيد "[3] وأيضا تبليغ الكفار بما ينتظرهم من عذاب جزاء كفرهم وتكذيبهم بآيات الله .

(1) ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج28، ص214.
(2) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج20، ص122.
(3) ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج28، ص278.

قدرة الله :

قَالَ تَعَالَى:﴿ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾ ﴾ (الإسراء: 12).

ذكر المفسرون عدة تفسيرات لهذه الآية لكن جميع هذه التفسيرات لا تخرج عن هذين الوجهين " أحدهما: أن يراد أن الليل والنهار آيتان في أنفسهما، فتكون الإضافة في آية الليل وآية النهار للتبين، كإضافة العدد إلى المعدود، أي : فمحونا الآية التي هي الليل، وجعلنا الآية التي هي النهار مبصرة.

والثاني: أن يراد: وجعلنا نيري الليل والنهار آيتين، يريد الشمس والقمر، فمحونا آية الليل ، أي: جعلنا الليل مَمْحُوَّ الضوء مطموسَه مظلما، لا يستبان فيه شيء كما لا يستبان ما في اللوح الممحو، وجعلنا النهار مبصرا، أي : تبصر فيه الأشياء وتستبان، أو فمحونا آية الليل : التي هي القمر؛ حيث لم يخلق لها شعاع كشعاع الشمس، فترى به الأشياء رؤية بينة، وجعلنا الشمس ذات شعاع يبصر ضوؤها في كل شيء "[1].

كانت الآية السابقة لهذه الآية تتحدث عن دعاء الإنسان بالشر مثل دعائه بالخير وتتحدث الآية أيضا عن استعجال الإنسان في كثير من الأمور، ثم جاءت هذه الآية لكي تتحدث عن ظاهرة تعاقب الليل والنهار، وما المنافع من هذا التعاقب، إذ يرى الباحث أن القوة الإنجازية للفعل الكلامي في هذه الآية هي إخبار الناس عن قدرة الله في واحدة من آياته ألا وهي ظاهرة تعاقب الليل والنهار، وبعد الإخبار عن هذه الظاهرة يبين الله سبحانه وتعالى ما فائدة هذه الظاهرة بالنسبة للإنسان " (لتبتغوا فضلا من ربكم) فتنطلقون نهارا في الكسب والعمل والمعاش مستثمرين العطايا الإلهية، وتنعمون ليلا بالراحة والهدوء والاستقرار، والهدف الثاني فهو (لتبتغوا عدد السنين والحساب) لكي لا تبقى شبهة لأحد (وكلّ شيء فصلناه تفصيلا)"[2] أما القوة الإنجازية الملتزمة للفعل الكلامي في هذه الآية فهي إثبات وجود الله وتنظيم حياة الإنسان،

(1) الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل، ج3 ص498.
(2) الشيرازي، الأمثل، ج8، ص75.

ولارتباط هذه الآية بالآية التي سبقتها وما لعجلة الإنسان في أعماله وعدم اعتنائه بما أنــزل الله وطلبه للشر مثل طلبه للخير من غير تفكر وتمعن في نعم الله، حيث يعمد على الفــساد وطلــب المعاصي بحجة أن الله أقدره علــى ذلــك ﴿ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا ﴿٣٥﴾ ﴾ (النحل: 35)فكانت هذه الآية في موضع اللوم والتوبيخ [1].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾ (الإسراء:88) القرآن هو المعجزة التي جاء بها الرسول الكريم محمد (صلى الله عليه وسلم)، حيث تحدى الله المشركين، وبالخصوص الفصحاء والبلغاء مــنهم بــأن يأتوا بسورة واحدة على غرار ما جاء به القرآن، وسميت معجزة لأن الإنسان لا يستطيع فعلهــا، أو تأديتها، وقد قالوا للمعجزة خمسة شروط [2] وهي:

الشرط الأول: أن لا يقدر عليها إلا الله سبحانه وتعالى.

الشرط الثاني: أن تخرق العادة.

الشرط الثالث: أن يستشهد بها مدّعي الرسالة على الله عز وجل.

الشرط الرابع: أن تقع على وفق دعوى المتحدي بها المستشهد بكونها معجزة له.

الشرط الخامس: ألا يأتي أحد بمثل ما آتى به المتحدي على وجه المعارضة. أما إذا فقد شــرط من شروط المعجزة فلا يعد من المعجزات، فلهذا يعد القرآن من المعجزات الإلهية الذي أعجــز به بلغاء قريش عن الإتيان بسورة واحدة مثله حتى لو تعاونوا، وقد افتتحت هذه الآية بفعل أمــر (قُلْ) وأغلب الآيات التي تفتتح بفعل الأمر (قُلْ) يراد بها التنبيه أو الاهتمام بما يقال، أمــا فــي هذه الآية المباركة فإن فعل الأمر جاء للتنويه والاهتمام بمقام القــرآن " وافتتاحــه ب (قُــلْ) للاهتمام به. وهذا تنويه بشرف القرآن، فكان هذا التنويه امتنانا على الذين آمنوا به ، وهم الــذين

(1) انظر، الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج13، ص53.
(2) انظر، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج1، ص69.

كان لهم شفاء ورحمة، وتحديا بالعجز على الإتيان بمثله للذين أعرضوا عنه وهم الذين لا يزيدهم إلا خسارا "[1] واللام في لئن هي لام مشعرة بقسم محذوف، وجملة(لا يأتون بمثله) هي جملة واقعة في جواب قسم محذوف، وقوله (ظهيرا) أي معينا. ومن هنا يرى الباحث أن القوة الإنجازية للفعل الكلامي في هذه الآية هو الإخبار على المعجزة التي نزل بها الرسول الأكرم محمد صلى الله عليه وسلم، ألا وهي القرآن الذي أعجز أهل الفصاحة والبلاغة، أما القوة الإنجازية الملتزمة للفعل الكلامي في هذه الآية فهي التحدي وتعجيز المنكرين لهذا القرآن، وذكر الجن في الآية المباركة هو زيادة ومبالغة في تعجيزهم " لأنهم إذا عجزوا عن الإتيان بمثله ومعهم الجن القادرون على الأفعال المستغربة فهم عن الإتيان بمثله وحدهم أعجز "[2].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾ ﴾ (الحديد: 4) ابتدأت الآية بالضمير المنفصل (هو) للدلالة على أن الله سبحانه وتعالى وحده الذي خلق السماوت والأرض، وكلمة (خلق) بمعنى أوجد، " الخلق : تقدير أمشاج ما يراد إظهاره بعد الامتزاج والتركيب صورة ذكره الحرالي، وقال غيره: أصله: التقدير المستقيم ويستعمل في إبداع الشيء من غير أصل ولا اقتداء ومنه خلق السماوات، ويستعمل في إيجاد شيء من شيء نحو خلقكم من نفس واحدة، وليس الخلق الذي هو الإبداع إلا لله ، وأما بالاستحالة فقد جعله الله لغيره أحيانا"[3] فهو المنفرد بقدرة الإيجاد وهو الذي يجب أن يعبد ولا يعبد غيره، أما تقدير الأيام الستة فقد اختلف فيها المفسرون؛ فمنهم من قال إن الأيام هنا جمع يوم من أيام الله تعالى الذي هو مدة ألف سنة، فستة أيام عبارة عن ستة آلاف من السنين نظرا لقوله تعالى (وإن يوما عند

(1) ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج15، ص203.
(2) الألوسي، روح المعاني، ج15 ، ص166.
(3) المناوي، التوقيف على مهمات التعاريف ، ص108.

ربك كألف سنة مما تعدون)، وقد قيل في الأيام الستة لا يعلم مقدارها إلا الله [1]، وأصل (ستة) سدسة، فأرادوا إدغام الدال في السين فالتقيا عند مخرج التاء فغلبت عليها، أما الاستواء على العرش فهو " كناية عن الأخذ في تدبير الملك ولذا عقبه بالعلم بجزئيات لأن العلم من لوازم التدبير "[2] أما قوله تعالى (يعلم ما يلج) " ما يلج في الأرض من بذر، وما يخرج منها من زرع، وما ينزل من السماء من قضاء ، وما يعرج فيها من عمل، ليعلموا إحاطة علمه بهم فيما أظهروه أو ستروه، ونفوذ قضائه فيهم بما أرادوه أو كرهوه "[3].

أما قوله تعالى :(وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير) فهنا توضيح عن علمه سبحانه وتعالى بجميع أحوال خلقه وكلمة (أينما) ظرف يتكون من(أين) اسم للمكان و (ما) حرف زائد للتوكيد وللدلالة على عموم الأمكنة.

ويرى الباحث من هذه المعطيات في التفاسير السابقة أن القوة الإنجازية للفعل الكلامي في الآية السابقة هي الإخبار عن قدرته التي خلق فيها السماوات والأرض في ستة أيام، وأنه هو سبحانه وحده الذي خلقها، وكذلك هنا في هذه الآية إخبار مع هذه القدرة علمه بأحوال هذه السماوات والأرض، وما ينبت فيها من زرع، وما ينزل منها من مطر، وما يصعد من الأرض من أبخرة وغيرها من الأمور التي يعجز الإنسان عن الإحاطة بها، أما القوة الإنجازية الملتزمة للأفعال الكلامية في هذه الآية فهي تتمثل بتوجيه الناس على أن الذي يخلق السماوت والأرض ويعلم ما فيها من أمور لا يعرفها الإنسان أحق أن يعبد، أما ذكره لهذه الفترة التي خلق في

(1) انظر، ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج8 ، ص162، وانظر، سيد قطب ، في ظلال القرآن، ج27، ص3480.

(2) الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج19، ص54 . وانظر، سيد قطب، في ظلال القرآن، ج27 ، ص3480.

(3) الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب، النكت والعيون تفسير الماوردي، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان ، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت لبنان، دط ، دت، ج5 ، ص470.

السماوات والأرض مع قدرته لخلقها بلحظة واحدة، فهو الذي يقول للشيء كون فيكون، فما هي إلا تعليم العباد بضرورة التروي والتفكر والتثبت قبل الإقدام على عمل معين.

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّ وَصَوَّرَكُمۡ فَأَحۡسَنَ صُوَرَكُمۡۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ٣ ﴾ (التغابن: 3) يدخل ضمن خلق السماوات والأرض كل المخلوقات التي تعيش فيها بما فيها من إنسان وحيوان ونبات وكائنات أخرى لم يتوصل الإنسان إلى حقيقتها، خلق الشيء : وجوده من العدم وإنشاؤه وتصويره، أما قوله تعالى (بالحق) أي " بالإرادة القديمة على وفق الحكمة؛ ومنهم من قال بالحق أي للحق، وهو البعث "[1]، وقيل إن معنى بالحق: أي " خلقها حقا يقينا لا ريب فيه، وقيل الباء بمعنى اللام أي : خلقها للحق وهو أن يجزي الذين أساءوا بما عملوا، ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى"[2] وأصل الحق هو نقيض الباطل، وهذا يعني أن خلق هذا الكون ليس عبثا ولا صدفة، بل إنه خلق لحكمة إلهية : قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا لَٰعِبِينَ ٣٨ مَا خَلَقۡنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٣٩ ﴾(الدخان: 38 – 39) بل إن هذا الخلق ينطوي على غايات عظيمة، وله حكم بالغة، أما قوله تعالى: (فصوّركم فأحسن صوركم) فلقد صور الله الإنسان بصوّر جميلة بديعة، فالمتأمل في خلق الإنسان وهيئته يجد مدى قدرة الله ومدى صنيعه في خلق الإنسان الذي ميزه عن جميع المخلوقات " (وصوركم فأحسن صوركم) تشعر الإنسان بكرامته وبفضل الله عليه في تحسين صورته، صورته الخلقية وصورته الشعورية، فالإنسان هو أكمل الأحياء في الأرض من ناحية تكوينه الجثماني كما أنه أرقاها من ناحية تكوينه الشعوري واستعداداته الروحية ذات الأسرار العجيبة "[3]قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٍ ٤ ﴾ (التين: 4) ويمكن أن تكون حسن الصورة تناسب أدواتها بعضها مع بعض ، أما قوله تعالى (وإليه المصير) فهو البعث، وهو النهاية ولهذا السبب أضافه إلى نفسه، والمصير " مصدر

(1) الرازي، تفسير الفخر الرازي ، ج30 ، ص22.
(2) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ، ج18 ، ص134.
(3) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج28 ، ص3585.

ميمي للفعل صار بمعنى رجع وانتهى، ولذلك يعدى بحرف الانتهاء ... وتقديم إليه على المصير للرعاية على الفاصلة مع إفادة الاهتمام بتعلق ذلك المصير "[1].

ومن هنا يرى الباحث أن القوة الإنجازية للفعل الكلامي في هذه الآية هي الإخبار عن طبيعة خلق السماوات والأرض وأن الله لم يخلقهن بالباطل، وأن نهاية الأمور كلها لله، أما القوة الإنجازية الملتزمة للفعل الكلامي في هذه الآية فهي تتمثل بمدى قدرة الله وصنيعه في الأشياء، وأنه خلق الإنسان لهدف كبير وسام وعظيم ، أما في تصوير الإنسان ففيه فضل الله ومنته على الإنسان.

ثانيا : التوجيهيات (الأمريات) directives

صنف محمود نحلة هذه الأفعال ضمن الطلبيات فقال عنها " وهي تضم كل الأفعال الكلامية الدالة على الطلب بغض النظر عن صيغتها "[2] فعلى رأي نحلة يمكن أن تدخل في التوجيهيات كل الأفعال الكلامية الدالة على الطلب بما فيها الأمر والنهي والنداء والاستفهام، والتوجيهيات هي نوع من الأفعال الكلامية كما مرّ في بداية هذا الفصل، وهذه الأفعال غرضها الإنجازي توجيه المخاطب إلى الفعل ومحاولة التأثير فيه، تقسم هذه الأفعال إلى قسمين رئيسيين هما : توجيهيات نفسية، وتوجيهيات طلبية.

1- **التوجيهيات النفسية:** هي توجيهات تصدر من المتكلم على شكل انفعال يعبر عنه متوجها به إلى المتلقي لكي يحثه أو يحرك أحاسيسه ليؤدي فعلا، أو يمتنع عن أداء الفعل، ويدخل ضمن هذا النوع من الأفعال، أفعال العتاب، وأفعال الطمأنة[3].

2- **التوجيهات الطلبية:** وهي التوجيهات الصادرة من المخاطِب لتوجيه المخاطَب أو محاولة التأثير به، وهذه الأفعال قد تخلو من الجانب الشعوري في كثير من الأحيان ويدخل ضمن

(1) ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج28 ، 266.
(2) نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص100.
(3) انظر، الصراف، علي محمود، في البراجماتية، الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة ، دراسة دلالية ومعجم سياقي، مكتبة الآداب، القاهرة ، ط1، 2009 ، ص216 .

هذا النوع من الأفعال، الاستفهام، والنداء، والأمر، وسيتناول البحث بعضا من الأفعال الكلامية التوجيهية الموجودة في السور المسبِّحات وبحسب تصنيف أوستين وسيرل.

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ٱقۡرَأۡ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفۡسِكَ ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكَ حَسِيبٗا ١٤ ﴾ (الإسراء: 14) اقرأ فعل كلامي مباشر أمر الله به عبده بالقراءة،" والقراءة مستعملة في معرفة ما أثبت للإنسان من الأعمال ، أو في فهم النقوش المخصوصة إن كانت هنالك نقوش وهي خوارق عادات"[1] والتقدير في جملة (اقرأ كتابك) يقال له (اقرأ كتابك) على اعتبار مقول قول محذوف، والقائل هو الله سبحانه وتعالى، وهذا القول يأتي على ألسنة الملائكة، أما الكتاب فهو صحيفة الأعمال التي تضم جميع أعمال الإنسان وتفصيلاتها، فلذلك جاءت الآية القرآنية المباركة قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَوُضِعَ ٱلۡكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلۡمُجۡرِمِينَ مُشۡفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيۡلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلۡكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةٗ وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحۡصَىٰهَاۚ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرٗاۗ وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا ٤٩ ﴾ (الكهف: 49)، وقيل في (كفى) هي اسم فعل أمر بمعنى (اكتف) وفي هذا المعنى يكون كفى فعلا كلاميا توجيهيا مباشرا، والفاعل مضمر يعود على المخاطب، وقد يكون فاعل(كفى) (بنفسك) والباء حرف جر زائد للتوكيد، والمراد(بنفسك) "هي ذاتك أي كفى بك، وقال مقاتل: يريد بنفسه جوارحه تشهد عليه إذا أنكر"[2]،" وانتصب (حسيبا) على التميز لنسبة الكفاية إلى النفس ، والحسيب فعيل بمعنى فاعل "[3] ويرى الباحث في الآية السابقة فعلا إنجازيا ملتزما من سياق الآيات السابقة ، وهذا الفعل هو التحذير والتوبيخ واللوم، التحذير من عذاب الله وعقوبته لأن أعمال الإنسان كلها مسجلة تسجيلا كاملا في صحيفة أعماله، أما التوبيخ واللوم فبما أن أعمال الإنسان كلها مسجلة في صحيفة عند الله فحري به ألا يبادر إلى أعمال الشر، وأن يبادر إلى فعل الخير، ومن المعاني التي أفادها الفعل الكلامي في هذه الآية تأكيد عدالة البارئ عز وجل في محاسبة عباده.

(1) ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج5، ص49.
(2) أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، ج6 ، ص18.
(3) ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج15 ، ص49.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ ﴾ (الإسراء: 23 – 24).

(قضى) فعل ماضٍ لكن فيه معنى الأمر أو الإلزام، وقد قيل بمعنى وصى، وقد قيل إن معناها وضع النهاية لشيء ما، وقد ذكر القرطبي في تفسيره أن (قضى) لها عدة معانٍ، ومن هذه المعاني، الأمر، والخلق، والحكم، والانتهاء من شيء، وبمعنى أراد، وعهد[1] وهنا في هذه الآية يمكن أن يعد (قضى) فعلا إنجازيا غير مباشر يقضي بإلزام المخاطب بتوحيد الله، وفي (ألا تعبدوا) نهي يدعو إلى عدم عبادة غير الله، وهذا النهي هو فعل كلامي له قوة إنجازية مباشرة، وهي الدعوة إلى عبادة الله الواحد الأحد، مستخدما أسلوبا من أساليب اللغة العربية، وهو الاستثناء المفرغ الذي حصر العبادة بالله لاغيره، ثم يتحول الفعل الكلامي في هذه الآية بصيغة أخرى وهي المصدر النائب عن فعله (إحسانا) والذي يدعو فيه إلى الإحسان بالوالدين، أي " أحسنوا بالوالدين إحسانا"[2]. والأمر بالإحسان للوالدين في هذه الآية جاء أمرا مؤكدا بعدما أمر سبحانه وتعالى عباده بعبادته وحده، ولم يحدد سبحانه ما نوع الإحسان الذي يحسنه الابن لوالديه فلم يجعله مقيدا لنفهم من هذا أن كلمة (إحسانا) تشمل جميع أنواع الإحسان، ولهذا جيء بها نكرة لأهميتها وعظمتها . وقوله تعالى (فلا تقل لهما أف) فعل كلامي توجيهي هو النهي عن قول كلمة فيها تضجر أو ملل من أبويك عندما يكبران، فيصدر منهما أشياء قد تزعجك وقيل في (أف) معانٍ كثيرة، ويظن الباحث أن معناها في هذه الآية أقل ما يتلفظ به من ضجر،و"(أف) اسم فعل أمر بمعنى أتضجر ولم يأت اسم فعل بمعنى المضارع إلا قليلا، نحو : أف و أوه بمعنى أتوجع"[3].

(1) انظر، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج10، ص237.
(2) الزمخشري، الكشاف، ج3 ، ص507.
(3) أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، ج6، ص23.

وقد قيل في (أف) لغات كثيرة ذكرت في كتب كثيرة [1]، وقد "قرىء (أف) بالحركات الثلاث، منونا، وغير منون : الكسر على أصل البناء، والفتح تخفيف للضمة والتشديد "[2] وفي قوله تعالى (فلا تقل لهما أف) هي توجيه برعاية الأبوين وحفظ كرامتهما، فنهى الابن من القول ولو بأقل كلمة، فضلا عن بقية الكلمات، وبعد النهي عن أن يقال لهما أقل الألفاظ التي تدل على الضجر والانزعاج، يذكر سبحانه وتعالى نهيا آخر يخص الأبوين وهو قوله تعالى(ولا تنهرهما) وهو نهي عما هو أكثر من التأفف، والنهر: هو: "إظهار الغضب مع فضاضة وغلظة في اللفظ والصوت، أو هو زجرهما بالصوت وغليظ اللفظ، وهو أيضا الزجر بصياح وإغلاظ"[3].

ثم أمر الله سبحانه وتعالى وبعد أن نهى عن إهانة الوالدين بلفظ أو صوت فيه ضجر أو من إظهار الغضب والغلظة بالصوت واللفظ جاء الأمر من القول بتلفظ العبارة الحسنة، وهنا فعل كلامي توجيهي يوجه الأبناء بأن يكون كلامهم مع الأبوين باحترام وتعظيم، ثم تنتقل الآية الكريمة إلى فعل كلامي آخر في قوله تعالى: (واخفض لهما جناح الذل من الرحمة) في هذه الآية دلالة واضحة على المبالغة في إظهار التواضع لهما والتذلل وهذا التواضع لا يصدر إلا من حب الأبناء لوالديهم، وهو دليل الود بل إن هيبتهم واعزازهم لا يكون إلا بهذه الصورة، وفي هذه الآية تشبيه الابن بطائر يخفض جناحيه لأفراخه رحمة وشفقة، فهذا أمر بالتواضع لهما بل المبالغة في التواضع، وقد ذكر الكشاف في معنى قوله تعالى (جناح الذل) وجهين:

(1) ينظر:أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط ، ج6، ص25.
(2) الزمخشري، الكشاف، ج3 ، ص507.
(3) ابن عطية، القاضي الأندلسي، أبو محمد عبد الحق بن غالب، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، تحقيق : عبد السلام عبد الشافي محمد ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2001 ، ج3 ، ص448.

أحدهما:- أن يكون المعنى: واخفض لهما جناحك ؛ كما قال ﴿ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾ (الحجر: 88) فإضافه إلى الذل أو الذل، كما أضيف حاتم إلى الجود على معنى: واخفض لهما جناحك الذليل أو الذلول.

والثاني :- أن تجعل لذله أو لذله لهما جناحا خفيضا ... مبالغة في التذلل والتواضع لهما [1] ثم أمر الله الأبناء أن يدعو لآبائهم بالرحمة، فقال سبحانه (وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا) حيث لا يستطيع الولد إيصال هذه الرحمة إلى والديه " وهذا قد انتقل اليه انتقالا بديعا من قوله (واخفض لهما جناح الذل من الرحمة) فكان ذكر رحمة العبد مناسبة للانتقال إلى رحمة الله،وتنبيها على أن التخلق بمحبة الولد الخير لأبويه يدفعه إلى معاملته إياهما به فيما يعلمانه، وفيما يخفى عنهما حتى فيما يصل إليهما بعد مماتهما "[2] أما في قوله تعالى (كما ربياني) جاءت الآية هنا بذكر التربية ليتذكر الولد كم تعب الأبوان في تربيته، وكم تحملا من سهر وجوع من أجله ليرق قلب الولد على أبويه، وهنا صيغة الأمر (ارحم) قد تحول مدلولها من الأمر الحقيقي إلى أمر مجازي ألا وهو الدعاء، وذلك لأن سياق الآية يدل على أن الأمر صادر من الأدنى إلى الأعلى، وفيه يكون طلب الرحمة للأبوين من قبيل الدعاء من الله سبحانه وتعالى، ومن هنا يرى الباحث في هاتين الآيتين أفعالا كلامية في صيغ الأمر والنهي وخروج الأمر إلى غرض الدعاء، ففي بداية الآية هناك فعل كلامي أراد به توحيد الله، والذي يعد من أعظم الواجبات، لذا قدمه على سائر الأحكام في هذه السورة ثم جاء بقوله: (وبالوالدين إحسانا) عطف على السابقة للدلالة على أن كلا الأمرين له أهمية عظيمة عند الله ، ثم ذكر النهي عن قول كلمة (أف) للأبوين تدلل على وجود فعل كلامي هو النهي عن بقية الأقوال التي يكون فيها ضجر للأبوين، أما دلالة ذكر الكبر في الآية المباركة فلأن هذه الحالة هي أقسى الحالات التي

(1) انظر، الزمخشري، الكشاف، ج3 ، ص508.
(2) ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج15، ص72.

تمر على الوالدين فيكونان في أمس الحاجة إلى الأبناء، فالآية تدل على إلـزام وجـوب الأبنـاء إكرامهما ورعايتهما ، ثم المبالغة في التواضع والخضوع لهما ، فخفض الجناح كناية عن ذلـك، والدعاء لهما بالرحمة وتذكر تربيتهما لك عندما كنت صغيرا غير قادر على شيء.

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾ ﴾ (الإسراء31). تنهى هذه الآية عن فعل قبيح كان الجاهليون يمارسونه مع أبنائهم، وهـو قـتلهم خشية الفقر إذ يعدّ هذا العمل من الذنوب العظام التي نهى الله عنها، وبعد أن بين الله فـي الآيـة السابقة أنه هو الذي يرزق ويتكفل برزق عبـاده : قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾ ﴾ (الإسراء:30) فلا عذر مقبول في قتل الأولاد، ومن دقائق التعبير القرآني العجيبة ما ذكره سيد قطب: " ففي هذا الموضع قدم رزق الأبناء علـى رزق الآبـاء : (نحن نرزقهم وإياكم) وفي سورة الأنعام قدم رزق الآباء على رزق الأبناء : (نحـن نـرزقكم وإياهم). وذلك بسبب اختلاف في مدلول النصين . فهذا النص:(ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم): والنص الآخر (ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم).

هنا قتل الأولاد خشية وقوع الفقر بسببهم فقدم رزق الأولاد. وفي الأنعام قـتلهم بـسبب فقر الآباء فعلا فقدم رزق الآباء. فكان التقديم والتأخير وفق مقتضى الـدلالات التعبيريـة هنـا وهناك"[1].

ومن هنا يرى الباحث أن الفعل الكلامي التوجيهي هو النهي عن فعل قبيح مـذموم، وأن القوة الإنجازية الملتزمة في هذه الآية هي التحذير من هذا العمل القبيح والتوبيخ من سوء الظن بالله للخوف من الفقر وهذا لا يتناسب مع عظمة وقدرة الخالق.

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ ﴾(الإسراء: 37)

(1) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج5 ، ص2223.

قيل في المرح إنه " هو السرور والاغتباط بالراحة والفرح، والمرح بفتح الميم وفتح الراء: شدة ازدهاء المرء وفرحه بحاله في عظمة الرزق، والمرح شدة الفرح ، وقيل التكبر في المشي، وقيل تجاوز الإنسان قدره، والمرح شدة الفرح والتوسع فيه ، وقيل هو شدة الفرح بالباطل "[1].

ينهى الله سبحانه وتعالى عباده في هذه الآية عن صفة مذمومة؛ ألا وهي مشية المرح والتكبر والخيلاء هذه المشية التي جاء بها الماشي لغروره وإعجابه بنفسه، و"(مرحا) حال من ضمير (تمش)، ويجوز أن يكون (مرحا) نائب مفعول مطلق مبينا لفعل (تمش) لأن المشي أنواع، منها ما يدل على أن صاحبه ذو مرح"[2] ونهى الله عن هذه المشية لأنها لا تليق بالإنسان الضعيف الذي قدرته محدودة، وبمقابل هذا الذمّ والنهي عن هذه المشية فقد امتدح سبحانه وتعالى في سورة أخرى الذين يمشون على الأرض هونا وتواضعا، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ﴿٦٣﴾ ﴾ (الفرقان: 63) وقيل ليس كل المرح مذموما بل قيل المرح الذي يكون بالباطل، لأنه يخرج عن الاعتدال " والإنسان حين يخلو قلبه من الشعور بالخالق القاهر فوق عباده تأخذه الخيلاء بما يبلغه من ثراء أو سلطان أو قوة وجمال، ولو تذكر أن ما به من نعمة فمن الله، وأنه ضعيف أمام حول الله، وخفف خيلاءه، ومشى على الأرض هونا لا تيها ولا مرحا "[3] وقوله تعالى (إنك لن تخرق الارض)، قيل خرق الثوب شقه ، وخرق الأرض قطعها، وهنا نهي عن أن يستعظم الإنسان نفسه بأكثر من قدرته، فالإنسان مهما بلغت به القوة هو ضعيف ضئيل هزيل قياسا بالأشياء الكبيرة القوية التي خلقها الإنسان، وفي هذا معنى للتهكم والتعرض لقوة هذا الإنسان المحدودة، وأما قوله تعالى: (ولن تبلغ الجبال طولا) هذه الجملة فيها تذكير للإنسان بأنك مهما بلغت من الطول والقوة لا

(1) انظر، أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط ،ج6 ، ص34 ، وانظر، ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج15، ص104، وانظر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج10 ، ص262، وانظر، الراغب الأصفهاني، المفردات، ص764.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج15، ص104.

(3) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج15، ص2228.

يمكن أن تصل إلى قوة الجبال وطولها، وهنا أيضا في هذه الجملة تهكم، والمقصود من هذا التهكم ذم هذا الفعل؛ لأن فيه فساد أخلاق صاحبه، وهذا الفعل قد يتسبب في إهانة الناس وتخويفهم.

ومن هذه المعطيات يرى الباحث أن هناك مجموعة أفعال كلامية في هذه الآية منها فعل كلامي توجيهي يتمثل بالنهي عن هذه المشية المذمومة التي يبغضها الله، وهناك أفعال كلامية ملتزمة في هذه الآية منها: الأمر بالتواضع وعدم التكبر، والتهكم، وإظهار ضعف الإنسان وأنه مهما بلغت قوته فإن قوة الله أكبر.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ وَكِيلًا ﴿٦٨﴾ أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ ٱلرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِۦ تَبِيعًا ﴿٦٩﴾ ﴾ (الإسراء: 68 – 69).

ابتدأت الآية المباركة بالهمزة لأن لها الصدارة في الكلام، فهي تسبق حروف العطف، ففي هذه الآية سبقت حرف العطف (الفاء) وفي مواضع أخرى تسبق الهمزة حروف العطف، مثل قوله تعالى: ﴿ قَالُوٓا۟ أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٠﴾ ﴾ (الحجر: 70)، وقوله تعالى: ﴿ أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ (يونس: 51)، وفي هاتين الآيتين تقدمت الهمزة على حرفي العطف (الواو، وثم) لصدارتها في الكلام، والاستفهام في هذه الآية الكريمة ليس استفهاما حقيقيا، بل هو استفهام مجازي أريد به الإنكار أو التوبيخ، عندما نجّاهم الله من الغرق في البحر رجعوا إلى الكفر لأنهم وحسب ما يعتقدون وصلوا إلى برّ الأمان، وبدلا من الشكر لله رجعوا إلى الكفر، ونسوا أن الله له القدرة على إهلاكهم في البر والبحر على حد سواء " الجوانب والجهات كلها في قدرته سواء، وله في كل جانب برا كان أو بحرا سبب مرصد من أسباب الهلكة، ليس جانب البحر وحده مختصا بذلك؛ بل إن كان الغرق في جانب البحر ففي

جانب البر ما هو مثله وهو الخسف ... فالبر والبحر عنده سيان يقدر في البر على نحو ما يقدر في البحر"[1].

والخسف" انقلاب ظاهر الأرض في باطنها من الزلازل "[2] وهنا تهديد ووعيد وتنبيه على النعمة التي يعيشها الإنسان فوق سطح الأرض دون الشعور بالمخاطر مع ما بها من الخطورة قد تفوق خطورة البحر، وهذ يتطلب حمدا وشكرا لله على هذه النعمة، وقوله تعالى (يرسل عليكم حاصبا) تهديد ووعيد بالريح التي تحصب أي شيء أمامها وهي ترمي بالحصا الصغار فهي أشد خوفا من الغرق في البحر، ثم بعد ذلك وزيادة في الوعيد والتهديد يبين الله للذين كفروا أن له القدرة على أن يوفر الأسباب التي تعيدكم للبحر مرة أخرى فيرسل عليكم في البحر عذابه بأن يرسل عليكم ريحا مهلكة تكسر السفن والأبنية، وهذه الريح لها صوت شديد لهذا سميت القصيف. ومن هنا يرى الباحث في هاتين الآيتين أفعالا كلامية توجيهية، فالاستفهام في بداية الآية هو توجيه بألا يتركوا دعاء الله في حالة أمنهم في البر، والاستفهام فيه أفعال كلامية هي الإنكار والتوبيخ والتعجب، ونجد أيضا في الآية أفعالا كلامية ملتزمة وهي التهديد والوعيد وقدرة الله والامتنان عليكم إذ نجاكم من البحر.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقٗا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾ ﴾ (الإسراء: 98).اسم الإشارة (ذلك) في بداية الآية إشارة للعذاب الحاصل لهم، وإذ يذكر في الآية السابقة هذا العذاب جزاء بكفرهم وإنكارهم يوم الحساب، وفي الآية إشارة للوعيد والتهديد الذي ذكرته الآيات السابقات " وقوله (بآياتنا) يعم الدلائل والحجج التي جاء بها محمد عليه السلام، ويعم آيات القرآن وما تضمن من خبر وأمر ونهي ثم عظم عليهم إنكار البعث، وخصه بالذكر مع كونه في عموم الكفر بآيات القرآن ووجه تخصيصه التعظيم له، والتنبيه على خطارة الكفر في إنكاره "[3].

(1) الزمخشري، الكشاف، ج3، ص533.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج15، ص162.
(3) ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج3 ، ص487.

والاستفهام في هذه الآية هو إنكاري، والإنكار هنا يخص البعث بعد أن يكون الإنسان عظاما ورفاتا استحالة في تقديرهم وتصورهم أن يبعث الإنسان من جديد، " ورفت الشيء أرفته رفتا: فتته، والرفات، والفتات: ما تكسر وتفرق من التبن ونحوه "[1].

ويرى الباحث أن الفعل الكلامي التوجيهي في هذه الآية هو الوعيد والتهديد والتنبيه أما الاستفهام ففيه إنكار وتعجب واستبعاد .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۙ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ ﴾

(الحديد: 8)الاستفهام في الآية المباركة توبيخ وإنكار وتأنيب ويمكن أن يكون للتعجب، التعجب من حال المسلمين في عدم الثبات على الإيمان بعد أن أخذ منكم الميثاق والعهود، وقد يكون سؤال مفاده: " ماذا يمنعكم من الإيمان وقد بين لكم الرسول من آيات القرآن ما فيه بلاغ وحجة على أن الإيمان بالله حق فلا عذر لكم في عدم الإيمان بالله ، فقد جاءتكم بينات حقّيّته فتعين أن إصراركم على عدم الإيمان مكابرة وعناد "[2].

ويرى الباحث أن الأفعال الكلامية التوجيهية في هذه الآية هي الاستفهام، الذي هو طلب الاستمرار والثبات على الإيمان، ويجد الباحث أيضا في هذه الآية جملة من الأفعال الكلامية غير المباشرة منها التوبيخ والتعجب والإنكار والتأنيب.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ ۚ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾ ﴾

(الحديد:10)، الخطاب في الآية المباركة موجه للمؤمنين، والاستفهام للتعجب ويمكن أن يكون مستعملا في اللوم والتوبيخ، والمعنى الذي أراد الله سبحانه وتعالى إيصاله هو " إنكار عدم إنفاق أموالهم فيما دعاهم الله إلى الإنفاق فيه وهم سيهلكون ويتركون أموالهم لمن قدر الله مصيرها إليه، فلو أنفقوا بعض أموالهم فيما أمرهم الله لنالوا رضى الله وانتفعوا بمال هو صائر إلى من

(1) الراغب الأصفهاني، المفردات، ص359.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج27، ص370.

يرثهم "[1] وهذا يعني أنك أيها الإنسان لا بد لك من يوم ترحل فيه من هذه الدنيا، وستكون أموالك كلها ملكا لغيرك، فلماذا لا تستغل وجودك في هذه الحياة ، وتتصرف في أموالك وبما أمرك الله به من الإنفاق؟ والميراث " انتقال قنيته إليك من غيرك من غير عقد، ولا ما يجري مجرى العقد"[2] وفي الآية تفضيل بعض المؤمنين على بعض، لكن مع هذا التفضيل هناك بشرى لكلا الطرفين بأن لهم الحسنى.

ويرى الباحث أن الفعل الكلامي التوجيهي في هذه الآية هو الاستفهام، وهو طلب الإنفاق من المؤمنين، ثم يجد الباحث أفعالا إنجازية ملتزمة هي التحذير من عدم الإنفاق، وذلك لأن مصير الإنسان الموت، وتكون أمواله إلى غيره، والتوبيخ بعدم الإنفاق، والوعد بالحسنى للذين أنفقوا قبل وبعد الفتح ، لكن مع تفضيل المنفقين قبل الفتح وهذا توجيه بالإسراع إلى فعل الخير،وقد جيء باسم الإشارة للتنبيه والتعظيم.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجۡرٞ كَرِيمٞ ﴿١١﴾ ﴾ (الحديد: 11)، الخطاب من الله عز وجل موجه إلى عباده ليطلب منهم الإنفاق، والاستفهام ليس حقيقياً بل يراد به الحثّ على الإنفاق، " وأصل القرض : ما يفعل ليجازى عليه "[3] وكما قال الشاعر:

وإذا جوزيت قرضا فأجزه إنما يجزي الفتى ليس الجَمَل [4]

والقرض الحسن " الإنفاق في سبيله، شبه ذلك بالقرض على سبيل المجاز، لأنه إذا أعطى ماله لوجه الله فكأنه أقرضه إياه "[5] ومعنى الآية " التحريض على الإقراض وتحصيل

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير ،ج27، ص373.
(2) الراغب، الأصفهاني، المفردات ، ص863.
(3) النحاس، أبو جعفر معاني القرآن الكريم، تحقيق ، محمد علي الصابوني، مركز إحياء التراث الإسلامي، مكة المكرمة، ط1، 1988، ج1، ص247.
(4) ديوان لبيد بن ربيعة دار الكتاب العربي، بيروت، ط1،1993 ص141.
(5) الزمخشري، الكشاف، ج6 ، 45.

المضاعفة لأن الإقراض سبب المضاعفة فالعمل لحصول الإقراض كأنه عمل لحصول المضاعفة "[1].

ومن هنا يرى الباحث أن الفعل الكلامي التوجيهي طلب القرض من المسلمين، حيث استخدم الاستفهام بالأداة (من) لهذا الطلب، ويجد الباحث أيضا أفعالا إنجازية ملتزمة، وهي الحثّ، والترغيب، والوعد.

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ١٠ ﴾ (الحشر: 10)، في هذه الآية المباركة عدد من الأفعال الكلامية تتمثل بفعل الأمر (اغفر) والنهي (لا تجعل) والنداء (ربَّنا)، إن العفو والصفح من الأمور التي تجعل المجتمعات أكثر تماسكا ويجعل العلاقات الاجتماعية علاقات قوية حميمة،وهذا الدعاء بين المؤمنين يجعل القلوب أكثر محبة وألفة لا حقد ولا كره بينها مملوءة بالعفو والمغفرة، الأمر والنهي في الآية المباركة ليس حقيقيا بل خرج لغرض مجازي هو الدعاء، فهذا النوع من الأفعال الكلامية قد اهتدى إليه (سيرل) صفة هذه الأفعال أنها لا تظهر دلالتها الفعلية إلا بعبارة المتكلم صراحة، بل على المتلقي أن يستدل على المعاني الأخرى، وذلك من خلال السياق ، فالأفعال الكلامية غير المباشرة في هذه الآية هي الدعاء والعفو والتسامح بين المؤمنين.

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ١٩ ﴾ (الحشر: 18 – 19)، النداء في الآية المباركة من الله عز وجل إلى المؤمنين يأمرهم بتقوى الله " والتقوى: جعل النفس في وقاية مما يخاف، هذا تحقيقه، ثم يسمى الخوف تارة تقوى، والتقوى خوفا، حسب تسميته مقتضى

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج27 ، ص378.

الشيء بمقتضيه والمقتضي بمقتضاه، وصار التقوى في تعارف الشرع حفظ النفس عما يؤثم، وذلك بترك المحظور، ويتم ذلك بترك بعض المباحات لما روي: (الحلال بَيّنٌ والحرام بَيّنٌ ومن رَتَعَ حول الحِمى فحقيق أن يقع فيه "[1] وقد كرر الأمر بالتقوى للتأكيد " ويجوز أن يكون (اتقوا الله) المذكور أولا مرادا به التقوى بمعنى الخوف من الله، وهي الباعثة على العمل، ولذلك أردف بقوله (ولتنظر نفس ما قدمت لغد) ويكون (اتقوا الله) المذكور ثانيا مرادا به الدوام على التقوى الأولى، أي ودُوْمُوا على التقوى "[2] إذن هذا نداء للمؤمنين في نصيحة عدم ترك الخوف من الله بتجنب المعاصي، وأداء الواجبات، والنظر بأن يوم الحساب قريب وقريب جدا، لهذا عبر عنه بالغد، فكان الله يريد أن ينبه المؤمنين بيوم الحساب والموت، ثم يأتي التوجيه بعدم نسيان ذكر الله حتى لا ينساهم الله، وهذا إنذار وتحذير للذين ينسون الله.

ومن هذه المعطيات يرى الباحث أن هناك أفعالا كلامية توجيهية تتمثل في النداء والأمر والنهي؛ النداء والأمر بتقوى الله وتكرار لفظ تقوى الله للتأكيد والالتزام بتقوى الله، أما النهي فهو تحذير للمؤمنين أن يكونوا مثل الذين نسوا الله فتتحتم عليهم العقوبة، ويرى الباحث أيضا أن هناك أفعالا إنجازية ملتزمة تتمثل في الحثِّ على تقوى الله، والتنبيه بأن يوم الحساب قريب، لذا عبر عنه(بغد) والتحذير من عقوبة كبيرة في حال نسوا ذكر الله.

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ ﴾ (الصف: 2)، قيل في سبب نزول هذه الآية أن بعضا من المسلمين سألوا الرسول (صلى الله عليه وسلم) عن أحب الأعمال إلى الله تعالى ، وقالوا لو نعلم أفضل الأعمال عند الله لبذلنا الغالي والنفيس من أجلها، لكن عندما أمرهم الله بالقتال والجهاد في سبيله لم يطيعوا أمر الله، لذلك جاء الاستفهام بمعنى التوبيخ والتهكم، " النداء بيا أيها الذين آمنوا، إن كان للمؤمنين حقيقة فالاستفهام يراد به التلطف والعتب، وإن كان

(1) الراغب الأصفهاني، المفردات، ص881.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج28، ص112.

للمنافقين فالمعنى: يأيها الذين آمنوا، أي بألسنتهم والاستفهام يراد به الإنكار والتوبيخ وتهكم بهم في إسناد الإيمان إليهم "[1].

ومن هنا يرى الباحث أن الأفعال الكلامية التوجيهية في الآية الكريمة تتمثل بالنداء الذي يحمل التنبيه والتهكم ،أيضا يجد الباحث أن الاستفهام وبحسب أوستين هو فعل كلامي توجيهي، أما بحسب سيرل فيرى بدلالته الجديدة التي لها معان أخرى غير التوجيهية، أما الأفعال الإنجازية الملتزمة في هذه الآية فتتضمن التحذير من عدم الوفاء بالوعد، وأن يلتزم بما يقول، وكذلك الالتزام بواجبات الدين، ويجد الباحث أيضا أفعالا كلامية أخرى وهي اللوم والعتب والتلطف إذا كان النداء موجها إلى المؤمنين حقيقة، أما إذا كان النداء للمنافقين فالفعل الكلامي الحاصل هو التهكم والتوبيخ والإنكار.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ ۖ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾ ﴾ (الصف: 5).

النداء إلى قوم موسى هو للتنبه إلا أنهم أتباع موسى، وهذا له دلالة أن يطيعوه في كل شيء ولا يؤذوه، ثم جاء بالاستفهام للإنكار والتوبيخ، والمعلوم أن الرسل والأنبياء قد أوذوا بأنواع كثيرة من الأذى، ولا سيما النبي موسى عليه السلام فقد " كانوا يؤذونه بأنواع الأذى من انتقاصه وعيبه في نفسه، وجحود آياته، وعصيانه فيما تعود إليهم منافعه، وعبادتهم البقر، وطلبهم رؤية الله جهرة والتكذيب الذي هو تضييع حق الله وحقه "[2] وقد يكون هذا القول من موسى عليه السلام على شكل عتاب ومودّة، وذلك حيث استخدم النداء لقومه (ياقوم) " وهم كانوا يعلمون عن يقين ..إنما هي لهجة العتاب والتذكير "[3] ثم جاءت عقوبته سبحانه وتعالى بعدما هيأ لهم جميع أسباب الاستقامة، لكنهم لم يهتدوا فأزاغ الله قلوبهم.

(1) أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، ج8 ، ص258.
(2) الزمخشري، الكشاف، ج6، 104.
(3) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج28 ، ص3556.

ومن هنا يرى الباحث أن الفعل الكلامي التوجيهي في هذه الآية هو النداء بخطاب قوم موسى عليه السلام، وهذا الخطاب جاء على شكل عتاب وتذكير، والفعل الكلامي التوجيهي الثاني هو الاستفهام الذي كان فيه إنكار وتوبيخ عن أذية النبي موسى عليه السلام مع علمهم علم اليقين بأنه رسول الله إليهم.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦﴾ ﴾(الجمعة: 6).(قل) فعل أمر افتتحت به الآية للاهتمام والنداء هو للتنبيه (والذين هادوا) هم الذين كانوا يهوداً، حيث كانوا يزعمون بأنهم أولياء الله، ولهذا جاء الخطاب لهم لتعجيزهم ولإظهار كذبهم فخاطبهم إذا كنتم صادقين فتمنوا الموت، " والأمر في قوله (فتمنوا) مستعمل في التعجيز: كناية عن التكذيب، مثل قوله تعالى: (قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين) "[1] فالخوف من الموت ما هو إلا دليل على التعلق بهذه الحياة الدنيا وأنهم غير صادقين في قولهم وزعمهم أنهم أولياء لله ، ومن هنا يرى الباحث أن الفعل الكلامي التوجيهي في هذه الآية هو فعل الأمر (قل، فتمنوا) والنداء (ياأيها الذين)، والأفعال الإنجازية الملتزمة في الآية المباركة هي الاهتمام والتنبيه والتعجيز والتكذيب.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ (الجمعة: 9 – 10).

" الآية الأولى في هذا المقطع تأمر المسلمين أن يتركوا البيع وسائر نشاط المعاش بمجرد سماع للآذان ... وترغبهم في هذا الانخلاع من شؤون المعاش والدخول في الذكر في هذا الوقت "[2] قيل في الجمعة لغات فقيل (الجمعة) بسكون الميم وفتحها وضمها، وسميت الجمعة " لأن الله تعالى فرغ فيها من خلق كل شيء، فاجتمعت فيها المخلوقات. وقيل لتجتمع

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج28، ص216.
(2) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج28، ص5369.

الجماعات فيها، وقيل لاجتماع الناس للصلاة "[1] وقد اختلف في معنى السعي، فقيل هو القصد، وقيل هو العمل، وقيل هو السعي والمشي على الأقدام [2] وقيل السعي والمضي والذهاب واحد[3] النداء هنا يخص المؤمنين، والصلاة هي صلاة يوم الجمعة، فالآية تأمر المسلمين أن يتركوا كل عمل من شأنه أن يشغلهم لآداء هذه الفريضة، وقد يدخل ضمن البيع الشراء أيضا فهنا الأمر بترك البيع والشراء، ثم يأتي الترغيب بقوله تعالى (ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون)، ثم ينبه الله عباده بأن لديهم سعة من الوقت بعد انقضاء الصلاة بإمكانهم أن يجعلوها في بيعهم وشرائهم، " أما قوله (واذكروا الله كثيرا) فهو احتراس من الانصباب في أشغال الدنيا انصبابا ينسي ذكر الله، أو يشغل عن الصلوات فإن الفلاح في الإقبال على مرضاة الله تعالى "[4].

ومن هنا يرى الباحث أن هناك أفعالا كلامية توجيهية في هذه الآية المباركة، تتمثل في النداء ب(يا أيها) وأفعال الأمر(فاسعوا) و(ذَروا) و(انتشروا) و(ابتغوا) و(اذكروا) وهناك أفعال إنجازية ملتزمة تتمثل بالحث المؤكد على صلاة الجمعة، وترك البيع والشراء، وكل ما يجعل المسلم مشغولا عن ذكر الله ومن الأفعال الإنجازية الملتزمة الإباحة في قوله (انتشروا) بعد أن تنقضي الصلاة، فالمؤمن له الاختيار أن يذهب للسعي للرزق أو البقاء في المسجد.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُمۡۚ وَإِن تَعۡفُواْ وَتَصۡفَحُواْ وَتَغۡفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ١٤ ﴾ (التغابن: 14).

الخطاب موجه للذين آمنوا أن يحذروا أزواجهم وأولادهم و(من) هنا جاءت للتبعيض أي ليس كل الزوجات والأولاد أعداء، بل إن من الزوجات والأولاد ما يجعل حياة الآباء سعيدة هانئة ، والتحذير هنا بعدم الأمن لهم ومراقبة أفعالهم وأعمالهم، والصفح والعفو هو من صفات الله تعالى فإذا اكتشفتم العداوة عندهم فلا تقابلوها بالمثل.

(1) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج 18، ص97.
(2) المصدر السابق، ج18، ص 101.
(3) انظر، الفراء، معاني القرآن، ج3، 157.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير ،ج28، ص227.

يرى الباحث في هذه الآية المباركة فعلا كلاميا توجيهيا وهو فعل الأمر (احذروهم) وهذا التحذير من بعض الأولاد والزوجات، أما النداء في بداية الآية الكريمة فهو للتنبيه ، ويجد الباحث أيضا أفعالا إنجازية ملتزمة منها التسامح ، وكذلك التنبيه من عداوة بعض الأولاد والزوجات.

ثالثا : الوعديات (الالتزاميات) Commissives

" الوعد : يكون في الخير والشر. ويقال وعدته بنفع وضر وَعْداً ومَوْعِداً وميعاداً، والوعيد في الشر خاصة. يقال منه : أوعدته، ويقال : واعدته وتواعدنا "[1] هذه أفعال تختص بالخير والشر وغرضها الإنجازي أن يلتزم المتكلم بعمل أو فعل شيء معين في المستقبل.

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ ۗ ﴿١١٠﴾ ﴾ (البقرة: 110)هنا في هذه الآية فعل كلامي يتضمن الوعد والوعيد، الوعد للمؤمنين والوعيد لغير المؤمنين لأنه بصير بأحوال العباد.

ويمكن أن يدخل ضمن هذا النوع من الأفعال ما يقصده المتكلم أو يشير إليه في خطابه من التهديد والتعهد والوعد، وهذه الأفعال دائما يكون تحققها في المستقبل، وأفعال الوعد والوعيد هي أفعال ترغيب وترهيب وهي كثيرة جدا في القرآن الكريم ، وسيتناول البحث نماذج معينة من الوعديات في السور المسبِّحات .قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَإِن كَادُوا۟ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا ۖ وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾ ﴾ (الإسراء: 76).

الاستفزاز هو الإزعاج، وهنا جاء على قصد الرحيل بمعنى أراد اليهود والمشركون إخراج النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) من الأرض، والأرض هنا هي مكة، وكادوا أن يخرجوك، ولو أنهم فعلوا ذلك لكانت عقوبتهم ألاّ يلبثوا بعد إخراجك إلا أياما معدودة. ويرى الباحث أن الفعل الكلامي في هذه الآية هو الوعد والوعيد في قوله تعالى: (لا يلبثون خلافك إلا

(1) الراغب الأصفهاني، المفردات، 875.

قليلا) الوعد للرسول الكريم بمعاقبة أعدائه والوعيد للمشركين واليهود بالعقوبة بعدم بقائهم في مكة بعد إخراجك.

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ ۖ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾ ﴾ (الإسراء:97).

الهداية من الله هي التوفيق واللطف بعباده ، أما الضلال فهو الخذلان [1] أما قوله تعالى (فلن تجد لهم أولياء من دونه) فهي وعيد للذين لا يريدون الهداية من الله، أما قوله تعالى: (عميا وبكما وصما) " فقيل هي استعارات إما لأنهم من الحيرة والهم والذهول يشبهون أصحاب هذه الصفات، وإما من حيث لا يرون ما يسرهم ولا يسمعونه ولا ينصفونه بحجة، وقيل هي حقيقة كلها[2] ونفى سبحانه وتعالى أن يكون للذين ضلوا من أولياء أي ليس لهم أنصار يصلحون أحوالهم بعد الله، وقد سألوا النبي صلى الله عليه وسلم كيف يمشون على وجوههم ؟ فقال صلى الله عليه وسلم " إن الذي أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم "[3].

ويرى الباحث أن الأفعال الكلامية الموجودة في هذه الآية تتمثل بالوعيد في قوله تعالى: (فلن تجد لهم أولياء) وكذلك الوعيد بحشرهم (عميا وبكما وصما).

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا ۚ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ ۖ هِىَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾ ﴾ (الحديد: 15).

يمكن أن يكون الخطاب من الله عز وجل وهذا الخطاب موجه للذين كفروا والمنافقين بألاّ يوجد لهم شيء يخلصون به أنفسهم، حيث قيل في الفدية أمران: " التخلص من الرهانة

(1) انظر، الزمخشري، الكشاف، ج3، 554.
(2) ابن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز، ج3، ص 486.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج15، ص217.

والآخر ناصر ينصر فينجي "[1] ويمكن أن يكون (اليوم) إشارة ليوم القيامة، حيث لا يوجد عند الكافرين شيء يدفعون به العذاب عن أنفسهم فلا تقبل منهم فدية، وحق عليهم العذاب، فالنار هي المكان الأبدي لهم، ونهايتهم بئس النهاية، ويرى الباحث أن الفعل الكلامي في هذه الآية المباركة هو الوعيد بسبب نفاقهم وكذبهم.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ مِن رَّحۡمَتِهِۦ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ نُورٗا تَمۡشُونَ بِهِۦ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٢٨ ﴾ (الحديد: 28).

النداء في مطلع الآية المباركة للتنبيه، والخطاب موجه للذين آمنوا من أهل الكتاب " الظاهر أنه لمن آمن من أمة محمد (صلى الله عليه وسلم)، فمعنى آمنوا دوموا وأثبتوا ... وقيل النداء متوجه لمن آمن من أهل الكتاب، فالمعنى: يا أيها الذين آمنوا بموسى وعيسى آمنوا بمحمد (صلى الله عليه وسلم) "[2]و (الكفلين) بمعنى نصيبين من رحمته، وهذه الرحمة بسبب إيمانكم بالرسل وتقواكم، أما النور الذي تمشون به فيجوز أن يكون في يوم القيامة ومع هذا النور يأتي الوعد بغفران ما سلف من المعاصي والذنوب لأن الله من صفاته غفور ورحيم.

ويرى الباحث أن الفعل الكلامي في هذه الآية الوعد للذين آمنوا بأن لهم نصيبين من الرحمة، والوعد بغفران المعاصي والذنوب السابقة ، والوعد لهم بأن لهم يوم القيامة نورا يمشون به .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِي ٱلنَّارِ خَٰلِدَيۡنِ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٧ ﴾ (الحشر: 17).

بعدما نفذ الإنسان أمر الشيطان عندما أمره بالكفر فكفر الإنسان جاءت العقوبة السماوية بأن عاقبتهما في النار " فكان عقبى أمر الشيطان والإنسان الذي أطاعه، فكفر بالله، أنهما خالدان في النار، ماكثان فيها أبدا "[3].

---

(1) الطباطبائي، الميزان ج19، ص165.
(2) أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، ج8، ص227. وانظر، الزمخشري، الكشاف،ج6 ، ص53.
(3) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، تفسير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن، هجر للطباعة والنشر، القاهرة، ط1، 2001، ج22 ،ص 545.

ويرى الباحث أن الفعل الكلامي في الآية المباركة الوعيد في عاقبة الشيطان، ومن أطاعه، والوعيد بخلودهما في النار وذلك جزاء كل من أطاع الشيطان.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَا يَسْتَوِيٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۚ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ (الحشر: 20).

في الآية الكريمة تفضيل أصحاب الجنة على أصحاب النار، وذلك لفوز أصحاب الجنة،وفي الآية تنبيه للناس الذين لا يميزون بين أصحاب الجنة وأصحاب النار " هذا تنبيه للناس وإيذان لهم بأنهم لفرط غفلتهم وقلة فكرهم في العاقبة وتهالكهم على إيثار العاجلة واتباع الشهوات : كأنهم لا يعرفون الفرق بين الجنة والنار والبون العظيم بين أصحابهما، وأن الفوز مع أصحاب الجنة؛ فمن حقهم أن يعلموا ذلك وينبهوا عليه "[1].

ويرى الباحث في هذه الآية أفعالا كلامية تتمثل في الوعد والوعيد، الوعد بالفوز بالجنة للمؤمنين، والوعيد بالنار للمنافقين الفاسقين " فمعنى الآية كناية عن كون المؤمنين هم أصحاب الجنة وكون الذين نسوا هم أهل النار فتضمنت الآية وعدا للمتقين ووعيدا للفاسقين "[2].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ ﴾ (الصف: 8).

هنا تمثيل حال الكافرين عندما أرادوا القضاء على الإسلام وتشبيه القرآن بالسحر والرسول بالساحر، فمثّل القرآن حالهم مثل الذي ينفخ في الشمس يريد أن يطفئ نورها، لكن الله (متم نوره) وهو وعد من الله أن الإسلام سيبلغ تمام انتشاره " فتمام النور: حصول أقوى شعاعه وإتمامه إمداد آلته بما يقوي شعاعه كزيادة الزيت في المصباح وإزالة ما يغشاه "[3].

ويرى الباحث أن الفعل الكلامي في الآية المباركة هو الوعد بإتمام نشر الإسلام وتعاليمه وأن المشركين لايستطيعون أن يوقفوا انتشاره.

---

(1) الزمخشري، الكشاف، ج6، ص84.
(2) ابن عاشور، التحريروالتنوير، ج28، ص114.
(3) المصدر السابق، ص191.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ ﴾ (الجمعة:8).

بعد مخاطبتهم بأن يتمنوا الموت إن زعموا أنهم من أولياء الله ثم كذب زعمهم بأنهم لن يتمنوا الموت؛ وذلك بسبب أعمالهم السيئة وخوفهم من الموت، يأتي الوعيد في هذه الآية للمنافقين بأن الموت الذي تخافون منه ولاتتمنونه سيلاقيكم حتما، وترجعون إلى بارئكم كما وعدكم، وفي يوم الحساب ستكشف أعمالكم التي تظنون أنها تخفى على الله سبحانه وتعالى، ويجد الباحث في هذه الآية الكريمة فعلا كلاميا يتمثل بالوعيد للمنافقين بأن الموت الذي تخافون منه سيحل بكم يوما ما، ويمكن أن يكون وعدا للمؤمنين، لأن المؤمنين يشتاقون للقاء ربهم لكن جملة (تفرون منه) تجعله خالصا بالوعيد للمنافقين، وكذلك الوعيد بأن كل أعمالهم التي عملوها ستعرض عليهم يوم الحساب.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾ (التغابن:7).

" الزعم : حكاية قول يكون مظنة للكذب، ولهذا جاء القرآن في كل موضع ذُم القائلون به "[1] والزعم أيضا " القول الموسوم بمخالفة الواقع خطأ، فمنه الكذب الذي لم يتعمد قائله أن يخالف الواقع في ظن سامعه "[2] والآية المباركة تبين إنكار يوم البعث والحساب، وقد استخدمت (لن) في تأكيد هذا النفي لأنهم كانوا متأكدين تمام التأكد بأنهم لن يبعثوا بعد أن تبلى أجسادهم تحت التراب، فكان الردّ مؤكدا بالقسم ليكون أكثر وقعا في نفوس الكافرين، والأمر (قُلْ) موجها إلى الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) ليبلغ الذين أنكروا البعث والحساب بأن يوم الحساب واقع وقائم لا محالة، وقوله تعالى (ثم لتنبئون بما عملتم) هو إخبارهم بأعمالهم السيئة التي

(1) الراغب الأصفهاني، المفردات، ص380.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج28، ص70.

كانوا يعملونها وكأنه تهديد لهم " وأخبر عنه ب(يسير) دون أن يقال واقع كما قال (وإن الدين لواقع) لأن الكلام لرد إحالتهم البعث بعلة أن أجزاء الجسد تفرقت فيتعذر جمعها فذكروا بأن العسير في متعارف الناس لا يعسر على الله، وقد قال في الآية الأخرى: (وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه) "[1].

ومن هنا يرى الباحث أفعالا كلامية تتمثل في الوعيد للذين أنكروا يوم القيامة ويوم البعث، ووعيدا لهم أيضا بأنْ سيخبرهم بكل أعمالهم السيئة التي منها إنكار يوم البعث وتكذيب الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۝٦ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ۝٧ وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ۝٨ ﴾ (الأعلى: 6 – 8). تحمل هذه الآية المباركة بشارة للرسول الكريم محمد (صلى الله عليه وسلم) بأن الله سيعصمه من نسيان ما بلغه به الوحي " قد عرفت أن الأمر بالتسبيح في قوله (سبح اسم ربك الاعلى) بشارة إجمالية للنبي (صلى الله عليه وسلم) بخير يحصل له، فهذا موقع البيان الصريح بوعده بأنه سيعصمه من نسيان ما يقرأه فيبلغه كما أوحي إليه، ويحفظه من التفلت منه "[2] فهذه الآية هي وعد من الله سبحانه وتعالى على حفظ كل ما نزل على صدر الرسول من الوحي،وقوله تعالى (ونيسرك لليسرى) " معناه نذهب بك نحو الأمور المستحسنة في دنياك وأخراك من النصر والظفر، وعلو الرسالة والمنزلة يوم القيامة، والرفعة في الجنة "[3].

ويرى الباحث أن الفعل الكلامي الوعد، وحمل البشارة للرسول الكريم بأنه سيمكنه الله من حفظ جميع ما نزل عليه من الوحي، وكذلك وعد للرسول الأكرم بأنه سينتصر على أعدائه وأن منزلته عالية يوم القيامة.

---

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج28، ص272.
(2) المصدر السابق ، ج30، ص279.
(3) ابن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز، ج5 ، ص469.

رابعا :التعبيريات (البوحيات) Expressives

هي واحدة من الأفعال الكلامية التي يراد بها التعبير عن المشاعر والأحاسيس، فالمتكلم في هذه الأفعال قد يظهر حالات معينة من مشاعره ؛ من مثل الحزن والسرور، والنجاح والفشل[1] فغرض هذه الأفعال الانجازي هو إظهار الحالة النفسية في اتجاه أي حادثة التي يعبر عنها المتكلم، وهذا النوع من الأفعال لايقتصر على ما يخص المتكلم من أحداث، بل يمكن أن تتعداها إلى ما يحدث للمشاركين في الفعل[2] وفي هذا النوع من الأفعال نجد أفعال الشكر والتهنئة والتعزية والمواساة والحسرة والشوق والتمني والحب والكره والامتنان والذم والتهويل، وقد جاء في القرآن الكريم قوله تعالى:﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾ (لقمان: 14). حمل الأم هنا فيه إظهار للضعف تلو الضعف، وقوله تعالى :﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ ﴿٣٦﴾ ﴾ (آل عمران: 36) إظهار للحزن والتحسر.

وتقسم التعبيريات إلى قسمين هما :-

1- **التعبيريات الاجتماعية:** هي الأفعال التي تعبر عن وجدان المتكلم، لكنها تحتاج إلى مشاركة المتلقي.

2- **التعبيريات النفسية** : وهي الأفعال الكلامية التي تعبر عن حالة المتكلم النفسية، ولا تحتاج إلى مشاركة المتلقي[3].

(1) انظر نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 104.
(2) المرجع السابق، ص 104.
(3) انظر، الخالدي، كريم حسين ناصح، الخطاب النفسي في القرآن الكريم، دراسة دلالية أسلوبية، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، دط، 2007، ص214 ، 242.

وسيتناول الباحث في هذا المبحث الأفعال الكلامية التعبيرية في السور المسبِّحات وإن كانت قليلةً جدا .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ﴿٧﴾ ﴾ (الإسراء: 7).

في الآية المباركة فعل كلامي غير مباشر وهو إظهار الحزن في قوله تعالى (ليسوؤا وجوهكم) ففي هذا المشهد نجد الآية تبين آثار الحزن والغم بعد صدور الوعد الإلهي بدخول المسجد مرة ثانية، " وسوء الوجوه: جعل المساءة عليها، أي تسليط أسباب المساءة والكآبة عليكم حتى تبدو على وجوهكم، لأن ما يخالج الإنسان من غم وحزن أو فرح ومسرة يظهر أثره على الوجه دون غيره من الجسد "[1].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴿١٠٩﴾ ﴾ (الإسراء: 109).

الخرور: هو السقوط من مكان مرتفع " فمعنى خر سقط سقوطا يسمع منه خرير، والخرير يقال لصوت الماء والريح وغير ذلك مما يسقط من علو .. فاستعمال الخر تنبيه على اجتماع أمرين: السقوط، وحصول الصوت منهم بالتسبيح "[2] في الآية الكريمة الموضع موضع تعظيم وتنزيه لله ، أما البكاء هنا فذكر حالة المؤمنين الذين يبكون خشوعا، ويمكن أن يكون البكاء هو بكاء سرور وبهجة وفرح، ويجوز أن يكون هذا البكاء هو بكاء حزن أو خوف أو شوق.

والفعل الكلامي في الآية الكريمة إظهار حال المؤمنين من فرح أو حزن أو شوق أو خوف.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۚ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٩﴾ ﴾(الحديد: 9).

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج15، ص37.
(2) الراغب الأصفهاني، المفردات، ص 277.

الخطاب في هذه الآية الكريمة إلى المؤمنين وفيها فعل كلامي غير مباشر هو الامتنان بأنه سبحانه نزل على عباده آيات بينات هذه الآيات تخرجهم من الظلمات التي كانوا فيها إلى النور الساطع، وهذا من لطف الله ورحمته بعباده. والرؤوف صيغة مبالغة وهي اتصافه سبحانه بالرأفة، والرحيم : من أسماء الله الحسنى التي تعني رغبة ومحبة منه في إيصال الخير لعباده .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ ﴾ (الحديد: 23).

معنى الآية الكريمة بأن الله أخبرهم بأمور كثيرة هذه الأمور من شأنها أن تجعل الإنسان حكيماً بصيراً لا يجزع ولا يفرح فرحا شديدا، لأن الله هو مسبب الأسباب، وأن لهذا الكون نظاما يرتبط بعضه بعضا [1]، ويقصد من هذا التنبيه أن جميع الأمور المفرحة لابد لها من زوال وقد يكون زوالها مصيبة، والمؤمن مقامه الصبر وعدم الجزع عند حلول المصيبة.

وفي الآية المباركة الفعل الكلامي غير المباشر هو عدم إظهار الحزن الشديد عند حلول المصيبة، وعدم إظهار السرور والفرح المبالغ فيه إلى حد البطر.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ ﴿٢﴾ ﴾ (الحشر: 2).

المعنى في هذه الآية المباركة أن الله جعل في قلوب الكافرين الخوف والرعب مما جعلهم يسارعون في الاستسلام بدون أيّ قتال، لكن النصر جاء من خلال رعب الأعداء الذي وضعه الله في قلوب الكافرين.

والفعل الكلامي غير المباشر في الآية الكريمة التعجيب من تدهور أحوال الكافرين،مما جعلهم يخربون بيوتهم بأيديهم، والفعل الكلامي الآخر هو إظهار الخوف بعد أن قذف الله الرعب في قلوبهم.

(1) انظر، ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج27، ص411.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ ﴾ (الصف: 3).

المقت " البغض الشديد لمن تراه تعاطى القبيح . يقال مقت مقاتةً فهو مقيت، ومقته فهو مقيت وممقوت "[1] وهنا جاء اسم مفعول بمعنى ممقوت، وجاء منصوبا لأنه تمييز" ونظم هذا الكلام بطريقة الإجمال ثم التفصيل بالتمييز لتهويل هذا الأمر في قلوب السامعين لكون الكثير منهم بمظنة التهاون في الحيطة منه حتى وقعوا فيما وقعوا يوم أُحد. ففيه وعيد على تجدد مثله،وزيد المقصود اهتماما بأن وصف المقت بأنه عند الله، أي مقت لا تسامح فيه "[2].

الفعل الكلامي في الآية المباركة إظهار الكره والبغض الشديد للمنافقين الذي يقولون ما لا يفعلون، وكذلك التهويل من فعلهم وأيضا الوعيد لهم.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ ﴾ (الجمعة:2).

الأميين: جمع أمي وهو الذي لا يعرف القرءة والكتابة، والمراد بالأميين في الآية الكريمة هم العرب، لأنهم وصفوا بالأمية، والآية تؤكد أن الله بعث لهم نبيا من بينهم وأن الهدف من بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم) تتلخص بما يلي[3]:

1- تلاوة الآيات عليهم.

2- تهذيب النفس وتزكيتها.

3- تعليمهم الكتاب والحكمة.

وقد كانت العرب أمةً غارقة في الضلال من عبادة الأصنام، ودفنهم بناتهم وهن أحياء، غارة بعضهم على بعض، فعندما جاء الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) أنقذهم من هذه الأمور التي عاشوها سنوات طوالاً " وهذه منة موجهة للعرب ليشكروا نعمة الله على لطفه بهم"[4].

(1) الراغب الأصفهاني، المفردات، ص772.
(2) ابن عاشور التحرير والتنوير، ج 28، ص175.
(3) الشيرازي، الأمثل، ج 18، ص204-205.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 28، ص208.

في الآية المباركة فعل كلامي غير مباشر، وهو الامتنان من الله على العرب، حيث بعث لهم رسولاً منهم " فإن كون رسول القوم منهم نعمة زائدة على نعمة الإرشاد والهدى "[1].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾ (التغابن: 11).

في هذه الآية تصوير للجانب الإيماني عند الإنسان المؤمن الذي إذا أصابته مصيبة يتحلَّى بالصبر، لأنه على علم أن المصائب لا تحل بالإنسان إلا بإذن الله " والمعنى أن المؤمن مرتاض بالأخلاق الإسلامية، متبع لوصايا الله تعالى فهو مجاف لفساد الأخلاق من الجزع والهلع يتلقى ما يصيبه من مصيبة بالصبر والتفكر في أن الحياة لا تخلو من عوارض مؤلمة أو مكدرة"[2].في الآية الكريمة أفعال كلامية غير مباشرة هي التحلي بالصبر عند حلول المصائب،وفيه مجازاة الصابرين بالثواب.

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير ج28، ص 208.
(2) المصدر السابق، ج28، 280.

الفصل الثاني

الحوار الحجاجي في السور المسبحات

المبحث الأول :- مفهوم الحوار

أولاً : الحوار في اللغة

الحَوْرُ:- " النقصان بعد الزيادة لأنه رجوع من حال الى حال "[1] وقد جاء في لسان العرب أن الحَوْرُ : - " هو الرجوع عن الشيء وإلى الشيء، يقال : حار إلى الشيء وعنه حَوْراً ومحاراً ومحارةً : رجع عنه وإليه "[2]" والحور مصدر حار حورا رجع، ويقال (نعوذ بالله) من الحور بعد الكور وهو النقصان بعد الزيادة ، ويقال حار بعد ما كار، وتقول كلمته فما رجع إليَّ حَوارا وحِوارا ومَحُورةً وحَويراً"[3] وقد جاء في المعجم الوسيط :" حار حوراً رجع، ويقال حار إليه،والشيء نقص، ويقال حار بعدما كار نقص بعدما زاد، وحاوره محاورة وحِواراً جاوبه وجادله وتحاوروا: تراجعوا الكلام بينهم وتجادلوا "[4] وقيل الحَوْرُ " التردد إما بالذات؛ وإما بالفكر "[5].

ثانياً : الحوار في الاصطلاح

عرَّف الباحثون الحوار تعريفات متعددة، وتكاد تكون تعريفاتهم شبه متقاربة، وسيتعرض البحث لعدد من هذه التعريفات لغرض الوصول إلى أقرب معنى لهذا المصطلح.

الحوار هو " حديث يجري بين شخصين أو أكثر في العمل القصصي، أو بين ممثلين أو أكثر على المسرح "[6]، وقيل إنه " محادثة بين شخصين أو فريقين حول موضوع محدد لكل منهما وجهة نظر خاصة به هدفها الوصول إلى الحقيقة، أو أكبر قدر ممكن من تطابق وجهات

---

(1) الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق المرتضى، تاج العروس من جواهر القاموس، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1 ، 2007 ، مادة (حور).
(2) ابن منظور، لسان العرب، مادة : (حور).
(3) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مادة : (حور).
(4) مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، مصر،ط4، 2004، ، مادة :(حور).
(5) الراغب الأصفهاني، المفردات، ص262.
(6) مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مادة : (حور).

النظر بعيداً عن الخصومة أو التعصب، بطريق يعتمد على العلم والعقل مع استعداد كلا الطرفين لقبول الحقيقة ولو ظهرت على يد الطرف الآخر" [1] والحوار هو" أن يتناول الحديث طرفان أو أكثر عن طريق السؤال والجواب، بشرط وحدة الموضوع أو الهدف، فيتبادلان النقاش حول أمر معين، وقد يصلان إلى نتيجة، وقد لا يقنع أحدهما الآخر، ولكن السامع يأخذ العبرة ويكون لنفسه موقفا "[2].

ومن هذه التعريفات يتبين أن للحوار عناصر يجب توافرها في عملية الحوار، يمكن إجمالها بما يلي:

1- للحوار طرفان.

2- هناك موضوع محدد للتحاور.

3- لا بد من وجود هدف لهذا الحوار.

4- خلق الجو الهادئ للتفكير والابتعاد عن التعصب والتخاصم.

5- يجب على المتحاورين معرفة موضوع الحوار والاعتماد على العلم والعقل في الحوار.

ثالثا : الحوار في القرآن

وردت كلمة الحوار في القرآن الكريم ثلاث مرات اثنتان منها في سورة الكهف، وهي :

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾ ﴾ (الكهف: 34).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ ﴾ (الكهف: 37).

(1) عجك، بسام داود، الحوار الإسلامي المسيحي، المبادىء، التاريخ، الموضوعات، الأهداف، رسالة ماجستير ، دار قتيبة للطباعة والنشر، ط1، 1998 ، ص18.

(2) النحلاوي، عبد الرحمن، أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، دار الفكر ، دمشق، ط 25، 2007، ص167.

أما الآية الثالثة التي ورد (الحوار) فيها فقد جاءت في سورة (المجادلة) التي تناولت قصة المرأة التي جاءت إلى النبي (محمد صلى الله عليه وسلم) تشتكي زوجها إلى الله، والآية هي:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ﴿١﴾ ﴾ (المجادلة:1).

وقد وردت حوارات كثيرة في القرآن الكريم ، منها ما دار بين الله سبحانه وتعالى والملائكة، وبينه سبحانه وتعالى وإبليس، والحوارات التي دارات بين الله عز وجل وأنبيائه ورسله وأخرى بين الأنبياء والعباد، فقد كان الحوار في بعض المرات عبارة عن أسئلة، النبي يطرح الأسئلة ، وفي بعض الأحيان الناس تسأل الأنبياء والأنبياء يجيبون، ونظراً لأهمية الحوار فقد جاء بكثرة في القرآن الكريم، وهي إشارة أيضا للناس إلى أهمية الحوار وضرورة تطبيقه بينهم في كل زمان ومكان

رابعا : بين الحوار والجدل

بعد أن عرّف البحثُ الحوارَ لغة واصطلاحا كان لزاما أن يبحث عن معنى الجدل وتعريفه ومعرفة العلاقة بينه وبين الحوار.

الجدل في اللغة : – " الجدْل : شدة الفتل، وجدلت الحبل أجدله جدلاً إذا شددت فتله وفتلته فتلا محكما ... ويقال جادلت الرجل فجدلته جدلاً أي غلبته. ورجل جدِل إذا كان أقوى في الخصام. وجادله أي خاصمه مجادلة وجدالا، والاسم الجدل، وهو شدة الخصومة، والجَدَل: مقابلة الحجة بالحجة، والمجادلة : المناظرة والمخاصمة "[1].

أما الجدل في الاصطلاح :– فهو " دفع المرء خصمه عن إفساد قوله بحجة أو شبهة، أو يقصد به تصحيح كلامه، وهو الخصومة في الحقيقة "[2] والجدال " المفاوضة على سبيل المنازعة

(1) ابن منظور، لسان العرب، مادة :(جدل).
(2) الجرجاني، التعريفات، ص84.

والمغالبة "[1] ومن هذين التعريفين يجد الباحث أن الجدل أشد من الحوار من حيث قوة الكلام؛ لأن فيه خصومة وإثبات حجة على حجة أخرى.

وقد ذكرت لفظة الجدال في القرآن أكثر من الحوار، فقد جاءت اللفظة في تسعة وعشرين موضعاً، وأغلب هذه المواضع جاءت في سياق الخصومة وعدم الرضا. وقد ذكر الجدال والمجادلة عند أغلب المفسرين بمعنى الكلام الذي يدافع عن الحق أو يسعى إلى الباطل، فقد قيل في المجادلة " وتكون حقا في نصرة الحق وباطلاً في نصرة الباطل "[2] كما قيل إن " الجدل في الدين محمود؛ ولهذا جادل نوح والأنبياء قومهم حتى يظهر الحق، أما الجدال لغير الحق حتى يظهر الباطل في صورة الحق فمذموم، وصاحبه في الدارين ملوم"[3] ومن هنا يمكن للبحث معرفة ما يلتقي به الحوار والجدل وما يفترقان به، فقد يلتقيان بكونهما حديثاً يقع بين طرفين أو أكثر، ويفترقان في أن الجدال يقع أكثره في الخصومة مع التمسك بالرأي والشدة في الكلام، أما الحوار فهو حديث يقع بين طرفين أو أكثر دون تعصب لرأي أو خصومة، بل يكثر عليه الهدوء واحترام الرأي الآخر.

خامسا : أهداف الحوار

هناك عدة أهداف للحوار في القرآن الكريم سيورد الباحث بعضا منها، وذلك لأن في تحديد الأهداف خطوة كبرى بمدى نجاح هذا الحوار أو ذاك، ولأن نجاح كل شيء متعلق بمدى تحقيقه لهذه الأهداف.

1- الدعوة: أي دعوة الآخرين ومحاولة إقناعهم، كدعوة الكفار إلى الإسلام، أو الدعوة إلى طريق الحق.

2- الوصول إلى الحق، وتقريب وجهات النظر، وترجيح أحد الآراء التي تكون الأقرب على الحق.

3- كشف الأمور الباطلة التي يتبناها الخصوم، ورد وكشف الشبهات، وذلك لأن في كشف الشبهات وتفنيد الأقوال الباطلة إزالة للغشاوة التي ربما تكون على عيون المنكرين.

4- إظهار قوة وعزة الإسلام، وتثبيت بعض المؤمنين على الإيمان[4].

---

(1) الراغب الأصفهاني، المفردات، ص 190.
(2) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج7، ص77.
(3) المصدر السابق، ج9، ص28.
(4) زمزمي، يحيى بن محمد حسن بن أحمد، الحوار، آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة، دار التربية والتراث، مكة المكرمة، رمادي للنشر، الدمام ، ط1، 1994، ص43 -46.

سادساً : أركان الحوار

للحوار ثلاثة أركان هي كما يأتي:

1- الأطراف: لأنه قد يكون الحوار بين أكثر من طرفين، وأطراف الحوار هم الأشخاص الذين يتبادلون الكلام فيما بينهم، وهناك شروط يجب توافرها في الأشخاص الذين يشتركون في الحوار، ومن هذه الشروط : العلم بموضوع الحوار، اختيار الألفاظ المناسبة لموضوع الحوار، تحديد الأسلوب المناسب للحوار حيث ذكر الجاحظ حول هذا الموضوع: " ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني ويوازن بينها، وبين أقدار المستمعين وبين أقدار الحالات، فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاماً، ولكل حالة من ذلك مقاماً، حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني، ويقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات، وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات "[1].

2- **الموضوع** :الذي يدور حوله الكلام، قد يتناول المتحاورون أكثر من موضوع، فينتقل الحوار في هذه الحالة من موضوع إلى آخر، لكن في هذه الحالة يكون الحوار متشعبا طويلاً يتطلب من المتحاورين ثقافة عامة، وقد يكون الحوار في هذه الصورة لا جدوى له، ولا يصل إلى نتيجة.

3- **الهدف:** الوصول إلى الهدف المنشود من هذا الحوار.

(1) الجاحظ، أبو عثمان، عمرو بن بحر، البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط7، 1989، ج1، ص 138 – 139.

المبحث الثاني : مفهوم الحجاج

قد يكون للحجاج جذور قديمة في تراثنا العربي لكن ليس بهذا المصطلح، ولمعرفة هـذا المصطلح سيتناول الباحث في هذا المبحث أهم مايتعلق بالحجاج وكما يلي :

أولاً : الحجاج لغة :

جاء في لسان العرب " والحُجَّة : البرهان؛ وقيل: الحُجَّة ما دوفع بـه الخـصم؛ وقـال الأزهري: الحُجَّة الوجه الذي يكون به الظَّفَـر عنـد الخـصومة. وهـو رجـل محـاجج أي جَدِل،والتحاجج: التخاصم"[1] ويقول في موضع آخر " الحج القصد، حج إلينـا فـلان أي قـدِم، وحجه يحجه حجاً قصده، ورجل محجوج أي مقصود، وقد حج بنـو فـلان فلانـاً إذا أطـالوا الاختلاف إليه "[2] وقال الزمخشري " احتج على خصمه بحجة شهباء وبحجـج شـهب وحـاج خصمه فحجه،وفلان خصمه محجوج ، وكانت بينهما مُحاجَّة ومُلاجَّة "[3] أما ابن فارس فقال عن الحجاج " حاججت فلاناً فحججته؛ أي غلبته بالحجة "[4].

ومن هنا يلاحظ الباحث أن الحجاج ينحصر معناه في الخصام والنزاع، وهـذا النـزاع يكون عن طريق الأدلة التي يلقيها كل طرف على الآخر، فهو بهذا المعنى يكون مرادفاً للجـدل فكلاهما، أي الحجاج والجدل، يدور معناهما حول التخاصم والمجادلـة والمنازعـة، وأن هـذه المنازعة والخصومة لا تتطلب عداوة أو مقاتلة، بل يتطلب تصلبا في الـرأي وهـذا التـصلب والتزمت في الرأي يحتاج إلى إقحام الحجة حتى يتغلب به على الرأي الآخر.

---

(1) ابن منظور، لسان العرب، مادة (حجج).
(2) المصدر نفسه، مادة (حجج).
(3) الزمخشري، أساس البلاغة، مادة (حجج).
(4) ابن فارس، مقاييس اللغة، مادة (حجج).

ثانياً : الحجاج اصطلاحا

ذكرت عدة تعريفات مصطلح الحجاج، سيذكر الباحث بعضا من هذه التعريفات، فمن هذه التعريفات ما ذكره الشريف الجرجاني: " الحجة ما دُلَّ به على صحة الدعوى، وقيل الحجة والدليل واحد "[1] " والحجة : الدلالة المبينة للمحجَّة، أي : المقصد المستقيم الذي يقتضي صحة أحد النقيضين "[2] وقيل في الحجاج: " الحجاج في أعم تعريفاته : العملية التي من خلالها يسعى المتكلم إلى تغيير نظام المعتقدات والتصورات لدى مخاطبه بواسطة الوسائل اللغوية " [3] وقيل عن الحجاج بأنه " تقديم الحجج والأدلة المؤدية إلى نتيجة معينة، وهو يتمثل في إنجاز متواليات من الأقوال بعضها بمثابة الحجج اللغوية، وبعضها الآخر هو بمنزلة النتائج التي تستنتج منها "[4] والحجاج أيضاً " تكييفٌ للممارسة اللغوية يُظهِر ضوابط إنتاج اللغة، ويوضح الرسالة اللغوية في سياقَيْها المجرد والحي، ويكشف عن موقف المتلقي مما تلقّاه قبولاً بالتسليم أو استفساراً للفهم أو رفضاً بالحجة وبالبرهان "[5].

ومن هنا يتبين أن الحجاج فن من فنون الإقناع، وهو خطاب أيضا قد يكون هذا الخطاب بين طرفين، وهذان الطرفان لكل واحد منهما موقف مغاير لموقف الطرف الآخر، وفيه يحاول الطرفان إقناع بعضهما كلٌّ حسب قوة حجته، حيث يقول عبد الحليم بن عيسى: إن أهم شيء تتأسس عليه دلالة الحجاج " وجود اختلاف بين مرسل للرسالة اللغوية والمتلقي لها،ومحاولة الأول إقناع الثاني بوجهة نظره بتقديم الحجة والدليل على ذلك، فالحجاج انتهاج طريقة معينة في الاتصال، غايته استمالة عقول الآخرين والتأثير فيهم، وبالتالي إقناعهم بمقصد معين"[6].

---

(1) الشريف الجرجاني، التعريفات، ص84.

(2) الراغب الأصفهاني، المفردات، ص219.

(3) الريفي، هشام، الحجاج عند أرسطو، بحث منشور ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف: حمادي صمود، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، كلية الآداب، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، تونس، 1998، ص 350.

(4) أبو بكر العزاوي، الحجاج في اللغة، بحث منشور ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته، إشراف: حافظ إسماعيل علوي، عالم الكتب الحديث، إربد ، 2010، ج1 ، ص 57 .

(5) الملخ، حسن خميس، الحجاج، رؤى نظرية ودراسات تطبيقية، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، 2015 .

(6) عبد الحليم بن عيسى، البيان الحجاجي في إعجاز القرآن الكريم (سورة الأنبياء نموذجاً) مجلة التراث العربي، اتحاد الكتاب العرب، العدد، 102، دمشق، نيسان، 2006، ص37.

ثالثاً : الحجاج في القرآن

ورد لفظ الحجاج في القرآن الكريم عشرين مرة جاء في سبع سور من القــرآن الكــريم سيوردها البحث، وكما يلي:

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوٓا۟ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾ ﴾ (البقرة: 76).

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِى ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ ﴿١٣٩﴾ ﴾ (البقرة: 139).

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِى عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٠﴾ ﴾ (البقرة: 150).

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِۦمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ ﴾ (البقرة: 258).

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّۦنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠﴾ ﴾ (آل عمران: 20).

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦١﴾ ﴾ (آل عمران: 61).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ وَٱلۡإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٦٥ ﴾ (آل عمران: 65).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجۡتُمۡ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٦٦ ﴾ (آل عمران: 66).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَا تُؤۡمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمۡ قُلۡ إِنَّ ٱلۡهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤۡتَىٰٓ أَحَدٞ مِّثۡلَ مَآ أُوتِيتُمۡ أَوۡ يُحَآجُّوكُمۡ عِندَ رَبِّكُمۡۗ قُلۡ إِنَّ ٱلۡفَضۡلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ٧٣ ﴾ (آل عمران: 73).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَحَآجَّهُۥ قَوۡمُهُۥۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنِۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشۡرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيۡـٔٗاۗ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًاۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ٨٠ ﴾ (الأنعام: 80).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَتِلۡكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيۡنَٰهَآ إِبۡرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦۚ نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٞ ٨٣ ﴾ (الأنعام:83).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلۡ فَلِلَّهِ ٱلۡحُجَّةُ ٱلۡبَٰلِغَةُۖ فَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ ١٤٩ ﴾ (الأنعام: 149).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا ١٦٥ ﴾ (النساء: 165).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَلِذَٰلِكَ فَٱدۡعُۖ وَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡۖ وَقُلۡ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٖۖ وَأُمِرۡتُ لِأَعۡدِلَ بَيۡنَكُمُۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمۡۖ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡۖ لَا حُجَّةَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُۖ ٱللَّهُ يَجۡمَعُ بَيۡنَنَاۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ١٥ ﴾ (الشورى: 15).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ٱسۡتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمۡ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ وَلَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞ ١٦ ﴾ (الشورى: 16).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذۡ يَتَحَآجُّونَ فِي ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمۡ تَبَعٗا فَهَلۡ أَنتُم مُّغۡنُونَ عَنَّا نَصِيبٗا مِّنَ ٱلنَّارِ ٤٧ ﴾ (غافر: 47).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾

(الجاثية:25)

ومن الآيات السابقة يتبين أن الحجاج القرآني حوار بين طرفين أو أطراف متعددة يراد به الإبلاغ والإقناع ويمكن أن يراد به النصيحة، وهذا الحوار يتطلب أدلة عقلية وعملية من أجل إثبات الدين الإسلامي، وقد استخدم في هذا الحجاج صيغاً وألفاظاً متنوعة تهدف إلى الإقناع وترسيخ العقيدة في نفوس السامعين.

أما المعاني التي جاءت بها لفظة الحجاج فيمكن حصرها بالجدال والخصومة والبرهان، والهدف من عملية الحجاج هو إقناع الآخر بفكرته.

رابعاً : مميزات الحجاج

للحجاج مميزات يمكن تلخيصها بالنقاط الآتية وكما ذكرت في كتاب (الحجاج رؤى نظرية ودراسات تطبيقية).

1- مجال الحجاج هو الخطاب الطبيعي.

2- يتميز الحجاج – لارتباطه بالخطاب الطبيعي – بتعدد مظاهره؛ إذ يمكن أن نميز بين الحجاج الصريح، والحجاج الضمني.

3- يتميز الحجاج بتشعب مجالاته (لسانية – تداولية – بلاغية ..).

4- يقوم الحجاج على أساس القصد الذي يساهم في تحديد التوجه الحجاجي للملفوظ.

5- تتميز نتائج الحجاج بالتراتبية.

6- تتنوع النتائج التي يتوصل إليها من خلال الحجاج.

7- تتطلب العملية الحجاجية وجود طرفين على الأقل، مع مراعاة المقام وشروط إنشاء الخطاب[1].

(1) انظر، الملخ، الحجاج، رؤى نظرية ودراسات تطبيقية، ص13.

خامساً: الروابط والعوامل الحجاجية في اللغة العربية

" إن الروابط والعوامل الحجاجية هي المؤشر الأساسي البارز، وهي الدليل القاطع على أن الحجاج مؤشر له في بنية اللغة نفسها "[1] حيث إن لهذه الروابط والأدوات اللغوية القيمة العليا في الحجاج، وهذه الروابط كثيرة في اللغة العربية، نذكر بعضا منها مثل : بل، لكن، إذن، لا سيما، حتى، لأن، بما أن، إذ، إذا، الواو، الفاء، اللام، كي ... ، وهذه الروابط لها أغراض ووظائف إضافة إلى أنها وصلات للجمل " ولكنها أيضا تؤدي أغراضاً استدلالية حجاجية إضافة إلى وظيفتها الرابطة "[2] وقد تختلف الوظيفة الحجاجية من رابط لآخر فوظيفة الروابط (حتى، بل، لكن، لا سيما، إذن)" تربط بين قولين، أو بين حجتين على الأصح (أو الأكثر)، وتسند لكل قول دوراً محدداً داخل الاستراتيجية الحجاجية العامة "[3] فإذا أخذنا المثال الآتي : (أكل محمد كل الطعام)، (أكل محمد كل الطعام حتى الفاكهة) ، المثالان كلاهما يخدم نتيجة واحدة ؛ ألا وهي أن محمد جائع، لكن المثال الثاني فيه نتيجة أقوى من النتيجة الأولى والتي تبين شدة جوع محمد.

وهناك نوع آخر من الأدوات اللغوية أطلق عليها (ديكرو) العوامل الحجاجية " أما العوامل الحجاجية، فهي لا تربط بين متغيرات حجاجية (أي بين حجة ونتيجة أو بين مجموعة حجج) ولكنها تقوم بحصر وتقييد الإمكانات الحجاجية التي تكون لقول ما، وتضم مقولة العوامل أدوات من قبيل: ربما، تقريباً، كاد، قليلاً، كثيراً، ما... إلا، وجل أدوات القصر"[4].

ومن هذه المعطيات يصل البحث إلى نتيجة أن الحجج تختلف وتتفاوت فيما بينها من حيث قوتها وضعفها، فهناك حجج قوية، وأخرى ضعيفة ، لكن عند تواجدها في الخطاب فإنها تخدم نتيجة واحدة.

---

(1) العزاوي، أبو بكر، اللغة والحجاج، دار الأحمدية، المغرب، ط1، 2006، ص55.
(2) كروم، أحمد، مقاربات نظرية في مظاهر الربط الحجاجي لبنية الاقتضاء ، مجلة عالم الفكر، العدد 3، 2004، ص234.
(3) العزاوي، اللغة والحجاج ، ص27.
(4) المرجع السابق، ص27.

المبحث الثالث : الحوار الحجاجي في السور المسبِّحات

اتسم الحوار في السور المسبِّحات إضافة لغرضه البلاغي بأن له أهدافاً أخرى، منها الهدف الديني التوجيهي الذي يريد تغيير الحياة التي كان يعيشها الناس في ذلك الزمان التي تتصف بالجهل والضلال، وقد اتخذ الحوار في هذه السور أشكالا متنوعة، فمنها ما قام على الجدل، ومنها ما قام على تقديم الأدلة والبراهين، ومنها ما قام على الاحتجاج في إقناع المخاطب بالفكرة المطروحة بتقديم الحجج القوية التي بدورها تجعل من المخاطب قليل الحجة أو لا حجة له، فالحوار لا يمكن أن يستغني عن الحجاج لأن الحجاج يعدّ حواراً وتفاعلاً، وقد يكون الحجاج قائماً على الشك " إن قادح الفعل الحجاجي حسب النظريات الحوارية هي الشك المتعلق بوجهة نظر، والذي يجبر المخاطب على تبرير هذه الوجهة، وبما أن الشك يقتضي أيضاً أن يبرّر فإن الوضع الحجاجي النمطي يتسم جدلياً بتفصيل وتجابه وجهات النظر المتعارضة في شأن نفس المسألة "[1].

وسيتناول الباحث أهم الحوارات التي وردت في السور المسبِّحات متتبعاً استراتيجيات الحجاج وآلياته التي استخدمها المتحاورون في حواراتهم.

- **خطاب الله عز وجل الحواري للرسول الأكرم محمد (صلى الله عليه وسلم)**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ ﴾(الإسراء: 42 – 43).

فكرة الحوار: في هذه الآية المباركة يُرفض الشرك من خلال التفكير العقلي

لم يكن الحوار موجهاً إلى المشركين بشكل مباشر من الله سبحانه وتعالى، بل أعرض عن مخاطبتهم فتوجه بالخطاب إلى الرسول الأكرم (محمد صلى الله عليه وسلم) وهذا الخطاب كان بصيغة الأمر (قُلْ) أي قُلْ للمشركين الذين يعتقدون أن هنالك آلهة أخرى مع الله أن يُحَكِّموا

(1) شارودو، باتريك و منغنو، دومينيك، معجم تحليل الخطاب، ترجمة: عبد القادر المهيري، حمادي صمود، دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة، تونس، د ط، 2008، ص73.

عقولهم ويتدبروا في خلق هذا الكون، فإذا كان هناك أكثر من إله كما يقول المشركون، فلا بدَّ أن يَخلُقَ كلّ إله خلقاً معيناً، وهذا يؤدي بالنتيجة إلى اندلاع الصراع بين الإلهين، وفي هـذه الآيـة نجد الحجاج العقلي قد وضَّح للمشركين الحقائق التي غابت عن تفكيرهم، فنقاط الحجاج يمكن أن نوضحها بالأمور الآتية :

1- فرضية وجود أكثر من إله واحد.

2- فإذا كان أكثر من إله فهذا يعني تعدد في مجال الخلق أي لكل واحد خلقه.

3- إذن هناك حرية تصرف كل إله بخلقه.

4- وهذا يؤدي إلى نتيجة حتمية هي وجود صراع وتنافس بينهما.

5- وإذا كان هناك أكثر من آلهة لاقتضى الأمر امتلاكهم القوة والقدرة على مغالبة ذي العرش.

6- لكن لم تحصل هذه المغالبة والمنازعة.

7- والنتيجة الأخيرة التي نحصل عليها من هذا الحوار نفي وجود آلهة غير الله.

وقد استُخْدِمتْ روابط حجاجية متنوعة في هذا الحوار، فقد جاءت في الآيـة المباركـة ألفاظ مثل (لو، إذاً)، إذ يلحظ الباحث أن هذه الروابط قد قوّت الحجة في الحوار بل إنها ألقـت الحجة الكافية على المشركين حتى لا سبيل للشرك، فحجة المشركين باطلة بوجود آلهة غير الله. يقول ابن عاشور:" و(إذن) دالة على الجواب والجزاء، فهي مؤكدة لمعنى الجواب الذي تدل عليه اللام المقترنة بجواب(لو) الامتناعية الدالة على امتناع حصول جوابهـا لأجـل امتنـاع وقـوع شرطها. فالمقصود الاستدلال على انتفاء إلهية الأصنام والملائكة الذين جعلوهم آلهة "[1].

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج15، ص110-111.

- **حوار الكافرين مع الرسل حول يوم البعث والحساب**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقٗا جَدِيدٗا ﴿٤٩﴾ قُلۡ كُونُواْ حِجَارَةً أَوۡ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوۡ خَلۡقٗا مِّمَّا يَكۡبُرُ فِي صُدُورِكُمۡۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَاۖ قُلِ ٱلَّذِي فَطَرَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖۚ فَسَيُنۡغِضُونَ إِلَيۡكَ رُءُوسَهُمۡ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَۖ قُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبٗا ﴿٥١﴾ يَوۡمَ يَدۡعُوكُمۡ فَتَسۡتَجِيبُونَ بِحَمۡدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٥٢﴾ ﴾ (الإسراء: 49 - 52).

فكرة الحوار: استبعاد يوم البعث، وهو اليوم الذي يثبّته القرآن ، وتأكيد القدرة الإلهية التي لا شيء يصعب عليها.

يحاور الكفار الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) باستبعادهم حقيقة بعثهم بعد موتهم وبعد أن يصبحوا تراباً وعظاماً، فهم يعتقدون أن الموت فناء للإنسان وهو النهاية، والاستفهام في بداية الآية هو" استفهام تعجب وإنكار واستبعاد "[1]والاستفهام من الأمور المهمة في الحوار الحجاجي، وذلك لما له من تأثير وتشويق، ففي أغلب صيغ الاستفهام معنى لطلب الفهم الذي قد يغيب عن السائل، لكنها أي صيغ الاستفهام قد تتدرج إلى معان أخرى حسب المتكلم، ففي الآية التي نحن بصددها الاستفهام ليس حقيقيا، لا يراد به الاستعلام عن شيء مجهول، بل هو إنكار واستبعاد أن يُبعث الإنسان بعد أن يصبح عظاما ورفاتا، فهذا الحوار الحجاجي الذي استخدمه الكفار قدموا فيه للرسول الكريم اعتقاداً بأن ليس ممكناً إعادتهم من جديد، وقدموا سبباً لذلك هو ظنهم بأن لا أحد يستطيع إعادة خلقهم من جديد بعد أن يُصبحوا تراباً وعظاماً، وقد يكون في الكلام حذف، وهذا الحذف يمكن تقديره " إذا كنا تراباً وعظاماً فما نبعث أو نعاد وحذف لدلالة ما بعده عليه "[(2)] والحذف في حوارات السور المسبِّحات حقق حضوراً كبيراً، ووصف

(1) أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، ج6، ص41.
(2) المصدر السابق، ج6، ص41.

الجرجاني الحذف بأنه: " باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ عجيب الأمر شبيه بالسحر، فإنك ترى به ترك الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تَنْطِق، وأتمَّ ما تكون بياناً إذا لم تُبِنْ "[1]، ثم ينتقل الحوار إلى خطاب الله عز وجل للكافرين بأن يصيروا حجارة أو حديدا بقوله تعالى:﴿ قُلْ كُونُوا۟ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ ﴾ ،والخطاب موجه إلى النبي (محمد صلى الله عليه وسلم)" أي قل لهم يا محمد كونوا على جهة التعجيز حجارة أو حديدا في الشدة والقوة "[2]، فاستخدم في هذا الحوار موجودات طبيعية كونية يتلمسها الكافرون، وهذه الموجودات هي الحجارة والحديد التي تكون في نظرهم من أقوى الأشياء والأجسام، ففي الحوار تقابل حجاجي لطيف إذ جيء بالفعل (كونوا) ليقابل الفعل (كنا)، وتقابُل الألفاظ (عظاما ورفاتا) مع (حجارة أو حديدا) ويكون المعنى في ذلك " إنكم مبعوثون سواء أكنتم عظاما ورفاتا أم كنتم حجارة أم حديدا، تنبيهاً على أن قدرة الله تعالى لا يتعاصى عليها شيء "[3] وقوله تعالى:﴿ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ ۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا ۖ قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ ۖ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾ ﴾ أي كونوا مما يُستبعد إحياؤه ويكبر في نظركم أن تعود الحياة إليه، أو أن يقبل الحياة، فهذا الحوار من قبيل تعجيز الكافرين أولاً، وبيان قدرة الله سبحانه وتعالى الذي لا يعجزه شيء ثانياً. ثم ينتقل الحوار بسؤال الكافرين للرسول صلى الله عليه وسلم، وكأن في كلامهم تسليماً بإحيائهم تارة أخرى، انتقلوا إلى حوار جدلي، وهذا الحوار يتضمن السؤال عن المُعِيد، فإذا أسلمنا وآمنا بأن هذه العظام بعد أن تتحول إلى تراب وتتلاشى يمكن أن تعود إليها الحياة، فمَنْ يستطيع إعادة الروح إليها ؟ ومَنْ له هذه القدرة العجيبة على خلقهم من جديد ؟ والاستفهام في قوله (من يعيدنا) استفهام تهكمي يُراد به التشكيك من قدرة

(1) الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص146.
(2) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج10، ص274.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج15، ص125.

الله، ثم يأتي الجواب حول شكهم في هذه القدرة فقال : ﴿ قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ وهذا يعني أن الله ألقى الحجة على الكافرين بأنهم كانوا من قبل تراباً، ومن هذا التراب خلقهم، فالذي يخلق من التراب مرة يستطيع أن يخلقكم منه مرة ثانية وثالثة، وبعد ذلك ينتقل الحوار إلى شك آخر الذي يظهره سؤالهم عن زمان هذا اليوم فلسان حالهم يقول : ﴿ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ ﴾ ، ففي سؤالهم هذا معنى التسليم بالشكين السابقين، فقد سلموا بقدرته سبحانه وتعالى على إعادتهم من جديد بعد أن صاروا تراباً ليتساءلوا عن زمن هذا اليوم الذي يُبعث فيه الإنسان من جديد فـ(متى) اسم استفهام يسأل عن الزمان، ويمكن أن يكون هذا الاستفهام تهكماً وتشكيكاً، فما كان الجواب إلا رداً على تهكمهم وشكهم، فجاء قوله تعالى: ﴿ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴾ أي أن يوم البعث والحساب قد يكون قريباً " فإن ما هو محقق إتيانه قريب، ولم يُعين زمانه لأنه من المغيّبات التي لا يَطّلِعُ عليها غيره تعالى ولا يُطْلِعُ عليها سبحانه أحدا "[1].

ويمكن توضيح الحوار الحجاجي بالنقاط الآتية:

1- إنكار واستبعاد الحياة بعد الموت من الكافرين.

2- فإذا صار الإنسان عظاما ورفاتاً لا يمكن العودة به من جديد.

3- الذي يقدر أن يخلق من الحجارة والحديد خلقاً جديداً، فهو قادر على إعادة العظام والرفات.

4- هذا معناه قدرة الله فوق كل شيء، فالأجسام الصلبة تتساوى مع الأجسام الضعيفة عنده.

5- نتيجة الحوار إبطال حجتهم في إنكار يوم البعث.

6- وإثبات بأن الإنسان سيبعث من جديد.

---

(1) الألوسي، روح المعاني، ج15، ص92.

- **خطاب الله عز وجل الحواري مع إبليس وجواب إبليس**

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾ ﴾ (الإسراء: 61 – 65).

فكرة الحوار : هي عدم سجود إبليس لآدم وعصيانه أمر الله عز وجل

طلب الله من الملائكة أن يسجدوا لآدم، وكان إبليس من الذين طُلِبَ منهم السجودُ لآدم تكريماً له وقيل " إن السجود من الملائكة لآدم إنما كان ذلك طاعة لله ومحبة منهم لآدم "[1] والواضح في هذا الحوار أن الله كرم آدم (عليه السلام) لعظمة هذا المخلوق عنده، أو أن هناك دوراً كبيراً أُعد له " لقد خلق الله سبحانه آدم، وكرمه وفضله على كثير ممن خلقه، وكانت بداية التكريم الإلهي له، أن أمر الله ملائكته وإبليس معهم أن يسجدوا له في جو احتفالي عظيم دليلاً على عظمة هذا المخلوق الجديد لخصائصه الذاتية، وللدور الكبير الذي أُعد له في خلافة الأرض، ولتسخير المخلوقات الطبيعية العظيمة له، ليستطيع القيام بدوره أعظم قيام"[2] لكن إبليس استكبر ورفض السجود وحجته في عدم السجود هو جوابه إلى الله ﴿ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴾ فالاستفهام في الآية دليل على إنكار إبليس في دعوة الله سبحانه، لكن ما السبب في امتناع إبليس عن السجود لآدم ؟ قد تكون كلمة (طينا) التي ذكرت في جواب إبليس هي التي

(1) الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج1، ص143.
(2) فضل الله، محمد حسين، الحوار في القرآن، قواعده، أساليبه، معطياته، دار الملاك للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط5، 1996، ص401.

يمكن الاستدلال بها عن سبب رفضه ، فالعنصر الذي خلق منه إبليس هو سبب تكبره وغـــروره لأنه يظن أن النار أشرف من الطين الذي خلق منه آدم عليه السلام، وإبليس مخلوق مـــن نـــار فكيف يسمو من خلق من طين إلى المخلوق من نار بحسب إعتقاد إبليس، وقد تكون هذه الفكـــرة سائدة عند بعض الشعراء الشعوبيين فقد فضلوا إبليس على آدم، والسبب في ذلك هـــو العنـــصر الذي خلق منه ، فهذا بشار بن بُرْد يقول[1]:

الأرض مظلمة والنار مشـــرقة والنار معبودة مذ كانت الـــنـــار

إبليس أشرف من أبيـــكم آدم فتنبهوا يا معـــشر الفـــجـــــار

النار عـــنصـــره وآدم طـــينة والطين لا يسمو سمو الـــنـــار

وبعد رفض إبليس وتكبره وعناده وغروره طرده الله عز وجل من الجنة، لكـــن إبلـــيس طلب من الله سبحانه أن يجعله من المُنْظَرِين ليحاول أن يُضِلّ النـــاس ويجـــرهم إلـــى الغوايـــة والضلال، وهنا موضع الحقد الذي أصابه من جراء طرده من الجنة، وقد تمت الموافقـــة علـــى طلبه بأن يبقى ويعطى إمكانية تحقيق الوسوسة لاختبار الجميع " ويكون وجوده ســـبباً لتمحـــيص واختبار المؤمنين الحقيقيين لأن الإنسان يشتد عزمه عندما تهاجمه الحوادث، ويقوى عوده فـــي مواجهة الأعداء "[2] وهذه الموافقة جاءت مقترنة بالوعيد بنار لإبليس وكل من تبعه، ثم بعد ذلك تذكر الآيات أساليب الشيطان في الوسوسة والإغواء، وهي تبليغ لإبليس بأن كل أساليبه وخططه مكشوفة لدى الله سبحانه، وهذه الوسوسة لا ينخدع بها الإنسان المؤمن.

---

(1) انظر، بشار بن برد، الديوان، تحقيق: محمد الطاهر بن عاشور، مطبعة لجنة التأليف والترجمـــة والنـــشر، القاهرة، 1996، ج4، ص 78.

(2) الشيرازي، تفسير الأمثل، ج، ص337.

وقد ذكرت في الآيات السابقة روابط حجاجية كثيرة منهـــا (إذ، إلا، إن، واو العطـــف، الاستفهام الإنكاري) وكل هذه الروابط استخدمت في توسيع الحوار وتقويتـــه وإعطائـــه صـــفة السهولة في إيصال المعنى للمخاطب.

ويمكن توضيح الحوار الحجاجي في الآيات السابقة بالنقاط الآتية :

1- رفض إبليس السجود لآدم.

2- إبليس مخلوق من نار.

3- آدم مخلوق من طين.

4- بحسب إبليس النار أفضل من الطين.

5- وهذا يعني أنّ إبليس لا يسجد لآدم لأنه أفضل منه بحسب ظنه.

- **حوار الكافرين مع الرسول الكريم(صلى الله عليه وسلم)**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِىَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ ۗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾ ﴾ (الإسراء: 90 - 93).

فكرة الحوار: مطالبة المشركين في قريش بأشياء غير معقولة مقابل دعـــوة الرســـول محمـــد (صلى الله عليه وسلم)

يجسد الحوار في هذه الآيات مدى عناد ومكابرة المشركين من قريش فهم يطلبون منـــه أشياء لا يقبلها العقل مقابل إيمانهم بدعوة الدين الإسلامي، وما هذه الطلبات إلا تعجيز للرســـول الكريم (صلى الله عليه وسلم)، أو أنهم كانوا يريدون من الرسول (صـــلى الله عليـــه وســـلم) أن

يكون مختلفاً عن البشر، ويتمتع بقدرات غير طبيعية تختلف عن تلك التي يتمتع بها سائر الناس، لكن " الأمر الطبيعي أن يكون بشراً، لتحقيق الانسجام بين الرسول وأتباعه، ولتكون العلاقة بينهما علاقة طبيعية، لأن مهمته ليست البلاغ فحسب؛ بل التجسيد الحي للفكرة في عمله "[1] وعليه لا بد أن يكون الرسول صلى الله عليه وسلم إنساناً طبيعياً مسؤوليته " هي إثبات ارتباطه بالخالق عن طريق المعجزة، وعندما يأتي بالقدر الكافي من المعاجز، فليست عليه أية مسؤولية أخرى "[2] لقد بدأ المشركون الحوار مع الرسول الكريم بنفي الإيمان نفياً لا رجعة فيه إلا بعد تنفيذ مطالبهم التي طلبوها، وكان الهدف من هذه الطلبات هو الاستمرار في دينهم، وعدم ترك عبادة الأوثان والأصنام التي كان يدعو إلى تركها الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، وكأنهم أعطوا علةً وسببَ عدمِ إيمانهم " والنفوس أبعث على قبول الأحكام المعللة من غيرها "[3] وقد استخدم في هذا الحوار أساليب حجاجية متنوعة منها، استخدام المشركين بعض الألفاظ التي تدل على الموجودات الكونية التي أشارت إليها الآيات السابقة، فقد ذكرت الأرض والسماء والينبوع والجنة والنخيل والعنب والأنهار والملائكة والبيت والزخرف، وهذه الموجودات والمحسوسات الكونية أراد بها المشركون تقريب المعاني إلى المخاطب بأن هذه الطلبات ما هي إلا تعجيز للرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم)، أما استخدام التوكيد بالمفعول المطلق فله أهمية في الحوار الحجاجي، وهذه الأهمية هي جعل المخاطَب يسلم بما قاله المتكلم " لأن إدخال المفعول المطلق على هذه الأقوال يجعل للأفعال فيها مقتضيات فات أوان نفيها والاعتراض عليها، فقد جاء المفعول المطلق يقي المقتضى من هذه الأفعال إمكان أن يُنْفى أو يدحض أو

(1) فضل الله، الحوار في القرآن، ص 125.
(2) الشيرازي، تفسير الأمثل، ج7، ص409.
(3) السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج2، ص873.

يعترض "[1] وقد يكون الأقرب في استخدام المفعول المطلق في هذه الآية هو للمبالغة والتكثير في عدد تفجير العيون، وكل هذه الطلبات التي ذكروها هي من قبيل الخوارق التي قد تنفعهم في حياتهم الدنيا، ثم ينتقل كلامهم " انتقال من تحديه بخوارق فيها منافع لهم إلى تحديه بخوارق فيها مضرتهم "[2] فتذكر الآية الكريمة : (أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا) أي أن تسقط علينا قطعة من القطع الموجودة في السماء " وتبدو طفولة الإدراك والتصور، كما يبدو التعنت في هذه المقترحات الساذجة، وهم يسوون بين البيت المزخرف والعروج إلى السماء، أو بين تفجير الينبوع من الأرض ومجيء الله سبحانه والملائكة قبيلا، والذي يجمع في تصورهم بين هذه المقترحات كلها أنها خوارق، فإذا جاءهم بها نظروا في الإيمان له والتصديق به "[3] وبما أن هذهِ الطلباتِ كلَّها خوارقُ والخوارق ليست من عمل الرسول(صلى الله عليه وسلم)، بل هي تقدير وصنع الله سبحانه وتعالى متى ما قدر الله لها يفعلها، وقد تبين مدى عناد المشركين وتذرعهم من الآيات السابقة؛ فبعض هذه الآيات فيها دلالات واضحة وصريحة ببقائهم على عبادة الأصنام، وأرادوا بهذه الطلبات نفي الإعجاز عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن يعجز الرسول الكريم عن تنفيذها، لأنهم كانوا يظنون أن المعجزات من صنع الرسول صلى الله عليه وسلم، لذلك فهم طلبوا منه مباشرة أن ينفذ لهم هذه المطالب، ولم يقولوا ادع لنا ربك أن يفعل كذا وكذا، لذا جاء الجواب (قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا) لتنزيه الله أولاً، ثم إزالة كل هذه المعتقدات والأوهام من عقولهم " ويثبت لهم بأنه ليس هو الله ولا هو شريكه، والمعجز من الله سبحانه وتعالى دون سواه ، فأنا بشر مثلكم "[4] ثم يستخدم القرآن أسلوبا حوارياً حجاجياً

(1) صولة، عبد الله، الحجاج في القرآن، من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ط2، 2007، ص312.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج15، ص209.
(3) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج15، ص2250.
(4) الشيرازي، تفسير الأمثل، ج7، ص412.

آخر، وهو أسلوب الحصر في قوله تعالى: (هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا) فالحصر هنا يؤكد نقطة مهمة جداً غفل عنها المشركون، وهي أن الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم بشر مثلهم لكنه كلف برسالة سماوية أي " ليس رباً متصرفاً يخلق ما يطلب منه، فكيف يأتي بالله والملائكة، وكيف يخلق في الأرض ما لم يُخْلَقْ فيها "[1] والاستفهام المسبوق بالتعجب في كلمة (سبحان) استفهام إنكاري توبيخي أنكر على المشركين هذه الطلبات الخارقة التعجيزية التي طلبوها من الرسول(صلى الله عليه وسلم) مقابل إيمانهم، ومن الروابط الحجاجية التي استخدمت في هذه الآية هي (حتى، والمفعول المطلق، وقبيلاً، والاستثناء المفرغ).

وسيوضح الباحث الحوار في النقاط الآتية:

1- رَفْضُ المشركين دعوة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم.

2- وَضَعَ المشركون شروطاً لإيمانهم بالدين الإسلامي وترك عبادة الأصنام.

3- هذه الشروط من الخوارق أغلبها لا يمكن أن يطلبها الرسول الكريم(صلى الله عليه وسلم) من الله سبحانه.

4- وبما أنها لا تتحقق فهذا يعني عدم إيمانهم بالدين الإسلامي، وهو الشيء الذي يريدونه.

- **الحوار بين فرعون وموسى عليه السلام**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾ ﴾ (الإسراء: 101 – 102).

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج15، ص211.

فكرة الحوار : عرض التخاصم بين موسى عليه السلام وفرعون في دعوته

إن الآيات التسع التي تتكلم عنها السورة المباركة التي آتاها الله سبحانه وتعالى إلى موسى عليه السلام هي " بياض يده كلما أدخلها في جيبه وأخرجها، وانقلاب العصا حية، والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، والرجز وهو الدمل، والقحط وهو السنون ونقص الثمرات"[1].

والخطاب موجه إلى الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم)، أمره الله أن يسأل المؤمنين من بني إسرائيل عن المعجزات التي جاء بها النبي موسى (عليه السلام) فبعد أن عرض البحث في آيات سابقة مطالب المشركين التي أرادوا بها التعجيز ووضع العراقيل أمام الرسول الكريم(صلى الله عليه وسلم) حتى لا يؤمنوا، فقد ذكرت الآيات إن الله استجاب لكل طلبات بني إسرائيل عندما طلبوها من النبي موسى عليه السلام، لكنهم استمروا في كفرهم وعصيانهم وعنادهم، بل أكثر من هذا فقد اتهم فرعون بأن الذي جاء به موسى عليه السلام إنما هو من السحر، وقد قيل في قوله تعالى: ﴿إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَىٰ مَسْحُورًا﴾ " فكلمة الحق وتوحيد الله والدعوة إلى ترك الظلم والطغيان والإيذاء لا تصدر في عرف الطاغية إلا من مسحور لا يدري ما يقول"[2] واتهام موسى بالسحر هو أسلوب تحريضي استخدمه فرعون وقومه ضد النبي موسى عليه السلام، وقد كثر هذا الأسلوب في التعبير القرآني، وهو أسلوب دعائي هدفه اتهام الرسل والأنبياء الذين يأتون بكتب سماوية وحركات إصلاحية تهدف إلى القضاء على الظلم والفساد؛ فلهذا يضطر الفاسدون والطغاة إلى وصفهم بالسحرة ،أو نعتهم بالجنون حتى يثيروا مشاعر الناس ضد الأنبياء والرسل ثم بعد ذلك لا يصدقون رسائلهم وتعليماتهم التي جاءوا بها،

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير ، ج15، ص225.
(2) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج15، ص2252.

أما اتهام فرعون موسى عليه السلام بالسحر فما هو إلا " عناد ومكابرة وكبرياء "[1] وبعد هذا جاء الرد من نبي الله موسى (عليه السلام) على اتهام فرعون له بالسحر بجملة مؤكدة بتوكيدين هما لام القسم، وحرف التحقيق، وهذه دلالة واضحة على علم ومعرفة فرعون بالأمر الذي جاء به موسى عليه السلام، لكن كبرياءه حال دون إيمانه فقوله تعالى ﴿ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ ﴾ يعني أن فرعون يعلم جيداً أن الذي جاء به موسى عليه السلام هو من عند الله، ولم يكن ساحراً لكن فرعون أنكر هذه الحقيقة واتهم موسى عليه السلام بالسحر، وأن هذه الجملة ليست جملة خبرية، بل هي جملة حجاجية لإنكار فرعون رسالة موسى (عليه السلام) والآيات التي جاء بها " وإنما أيقن موسى بأن فرعون قد علم بذلك: إما بوحي من الله أعلمه به، وإما برأي مصيب، لأن حصول العلم عند قيام البرهان الضروري حصول عقلي طبيعي لا يتخلف عن عقل سليم "[2] وقد جاء رد موسى (عليه السلام) مشابهاً لقول فرعون حيث قال: ﴿ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴾ إذ قيل (مثبورا) تعني (مسحورا)[3] وهذا يعني أن موسى رد على فرعون بالمثل مع اختلاف اللفظ بعد أن كان يستخدم اللين مع فرعون " وجاء في جواب موسى عليه السلام لفرعون بمثل ما شافهه فرعون به من قوله (إني لأظنك يا موسى مسحورا) مقارعة له وإظهاراً لعدم خوفه منه، وأنه يعامله معاملة المثل "[4]لأنه مكلف بتبليغ الرسالة له ولقومه، فبعد كل هذا يصور القرآن مدى حجاج فرعون المغالط إذ حصل له أي لفرعون علم اليقين بأن موسى عليه السلام إنما هو مرسل من الله، والذي جاء به من آيات مبصرات إنما هي معجزات أعطاها الله لنبيه موسى عليه السلام، لهذا اضطر فرعون إلى

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج15، ص226.
(2) المصدر السابق ج15، ص227.
(3) انظر، الضحاك، أبو القاسم بن مزاحم البلخي، تفسير الضحاك، تحقيق: محمد شكري أحمد، دار السلام، للطباعة والنشر، القاهرة، مصر ، ط1، 1999 ، ص538
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج15، ص228.

مغالطة الناس وهذه المغالطة في الحقيقة هي شكل من أشكال الحجاج، فبعد أن أظهر موسى عليه السلام لفرعون ما آتاه الله من الآيات البينات لم يجد فرعون حلاً إلا اتهام موسى عليه السلام بالسحر، وهذا دليل على هزيمة فرعون أمام حجج سيدنا موسى عليه السلام.

ويمكن توضيح الحوار الحجاجي بالنقاط الآتية:

1- لم يؤمن فرعون وقومه برسالة موسى عليه السلام.

2- طلب اليهودُ من موسى عليه السلام كثيراً من المعجزات.

3- لكن بعد أن آتى الله سبحانه وتعالى هذه الآيات والمعجزات استمر قوم موسى في كفرهم وإنكارهم.

4- لهذا لم يستجب الله سبحانه وتعالى إلى طلبات قوم الرسول محمد صلى الله عليه وسلم.

5- لأنه بما أن قوم موسى عليه السلام جاءتهم البينات والمعجزات ولم يؤمنوا؛ فإن هذا الشيء ينطبق على قوم النبي محمد صلى الله عليه وسلم.

وقد اعتمد فرعون في حواره مع موسى عليه السلام بعضَ العوامل الحجاجية التي من شأنها أن تقلب الكفة إليه فقد استخدم حرفي التوكيد (إن، اللام) لتقوية حجته، بينما جاء الرد عليه قويا من موسى عليه السلام وبالأسلوب نفسه، فقد استخدم التوكيد ب (اللام، وقد) الذي جعل من الحوار أكثر وقعاً في نفس فرعون وقومه.

- **حوار المنافقين مع المؤمنين يوم القيامة**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿١٤﴾ ﴾ (الحديد: 13 – 14).

فكرة الحوار : تحريم نور أصحاب الجنة على الكافرين

تبين لنا هاتان الآيتان مشهداً من مشاهد يوم القيامة، إذ يدور الحوار بين المنافقين والمؤمنين وتبدأ الآية بطلب المنافقين والمنافقات من المؤمنين السماح لهم بالاستضاءة من نورهم ليتخلصوا من الظلام الذي أحل بهم، لكن الجواب جاء بالرفض، فلا نور لكم أيها المنافقون والمنافقات ليزداد بهذا الرد عذابهم، وتسوء حالتهم النفسية، إضافة إلى العذاب الذي هم فيه، وإن هذا النور للمؤمنين، بل إن النور هو بسبب إيمانهم الحقيقي، لذلك قيل للكافرين إن هذا النور ليس لكم لكن ارجعوا إلى الوراء عسى أن تجدوا النور الذي تطلبونه وهذا القول هو من باب التهكم والسخرية بالمنافقين " وإنما أرادوا إطماعهم ثم تخييبهم بضرب السور بينهم وبين المؤمنين، لأن الخيبة بعد الطمع أشد حسرة. وهذا استهزاء كان جزاء على استهزائهم بالمؤمنين واستسخارهم بهم "[1].

أما الاستفهام الوارد في الآية فهو استفهام تقريري استعمله المنافقون لاستعطاف المؤمنين حتى يكونوا معهم كما كانوا في الدنيا سوية، وقد اعترف المؤمنون بهذا التواجد بجواب الاستفهام بكلمة (بلى) لكنهم ذكروا أربعة أسباب أدت إلى خسرانهم، وهي[2](فتنة أنفسهم، والتربص بالمؤمنين، والارتياب في صدق الرسول (صلى الله عليه وسلم)، والغرور بالأماني).

ويمكن توضيح الحوار الحجاجي بالنقاط الآتية:

1- معاناة المنافقين والمنافقات التي تتمثل بالظلمة التي يعيشونها.

2- يطلب المنافقون من المؤمنين أن ينتظروهم حتى يستنيروا بالضوء الذي أمامهم وخلفهم وبجانبهم.

3- يرفض المؤمنون طلب المنافقين والمنافقات لكن بطريقة ساخرة كما كانوا يسخرون منهم.

---

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج27 ، ص383.
(2) المصدر السابق ، ج27، ص385.

4- ثم يأتي السؤال من المنافقين عن سبب الرفض بعد أن كانوا في الدنيا سوية.

5- يأتي الرد من المؤمنين إنكم كنتم معنا لكن سلكتم طرقاً أدت إلى خسرانكم.

• حوار الشيطان مع الإنسان

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ كَمَثَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ إِذۡ قَالَ لِلۡإِنسَٰنِ ٱكۡفُرۡ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِي ٱلنَّارِ خَٰلِدَيۡنِ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ (الحشر: 16 – 17).

فكرة الحوار: انخداع الإنسان بمكر وحيل الشيطان

في بداية هذه الآية المباركة تشبيه بالشيطان، فقد شبه المنافقين بالشيطان " مثل المنافقين في إغرائهم اليهود على القتال ووعدهم إياهم النصر، ثم متاركتهم لهم وإخلافهم"[1] فالمشبه المنافقون، والمشبه به الشيطان الذي يعد الإنسان ويغويه ثم يتبرأ منه، ووجه الشبه هو إخلاف الوعد وعدم الوفاء به، ويعد التمثيل من أبرز الأساليب الحجاجية التي استخدمت في هذا الحوار وكان الهدف من هذا التمثيل هو تقريب المعنى إلى ذهن السامع والمخاطب والتشبيه " الدلالة على مشاركة أمر لآخر في معنى"[2].

فقد اشترك المنافقون والشيطان في صفة واحدة وهي التبرؤ من أنصارهم عند الحاجة إليهم، وقد بينت الآية المباركة سرعة الشيطان في وسوسته، حيث يقوم بتزيين الدنيا له، ومع سرعة وسوسة الشيطان يلحظ البحث سرعة استجابة الإنسان لهذه الوسوسة، فلذلك استخدم القرآن الفاء في قوله (فَلَمَّا كَفَرَ)" ودلت الفاء على إسراعه في متابعة تزيينه "[3] لكن خذلان الشيطان لأتباعه يمثل ضعف وهوان هذا المخلوق، وكل ما يقوم به هو من قبيل الزور والتضليل، فكل حباله قصيرة ومكائده ضعيفة بالنسبة للمؤمنين، فهو سرعان ما يتخلى عن

(1) الزمخشري، الكشاف، ج6، ص83.
(2) الخطيب القزويني، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن بن عمر، الإيضاح في علوم البلاغة، المعاني والبيان والبديع، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2003، ص164.
(3) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج19، ص455.

وعوده بمجرد ظهور الحق ويتبرأ من أتباعه، ثم يأتي العقاب لكليهما؛ أي للشيطان والإنسان الذي كفر بالله بعد أن وسوس له الشيطان فكانت العاقبة هي النار التي سيخلدان فيها جزاء أفعالهم وأعمالهم.

ويعد المثل من الأساليب الحجاجية التي استخدمت في هذا الحوار لما له من حجة تقوم على المشابهة بين حالتين[1]، ويعد التوكيد من الأساليب الحجاجية التي استعملها القرآن في الكثير من آياته وخصوصاً تلك الآيات التي تحمل طابع الجدل والخصومة لأن أسلوب التوكيد يجعل المعنى أكثر تثبيتاً في نفوس السامعين والمخاطبين " إن التأكيد تمكين الشيء في النفس وتقوية أمره، وفائدته إزالة الشكوك، وإماطة الشبهات عما أنت بصدده، وهو دقيق المأخذ كثير الفوائد"[2] وقد استخدم التوكيد في الآية السابقة وكانت من أدواته الحرف (إني) وهو حرف مشبه بالفعل يفيد التوكيد استخدمه الشيطان في هذه الآية في موضعين كان، الموضع الأول ليؤكد به براءته من الكافرين والموضع الثاني لتوكيد مخافته من الله.

- **حوار عيسى ابن مريم مع بني إسرائيل**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾ ﴾ (الصف: 6).

فكرة الحوار:- طرح نبوة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم

الحوار في الآية المباركة يبين أن عيسى عليه السلام قد جاء مرسلاً لبني إسرائيل، وهذا يعني محدودية رسالته، ومما يؤكد هذا الشيء ذكره أنه جاء لطائفة معينة من البشر، وهم بنو إسرائيل، ثم يبشر برسول يأتي بعده يذكر اسمه وهو أحمد، وفي هذه الحقائق دعوة من القرآن

(1) انظر العمري، محمد ، في بلاغة الخطاب الإقناعي، مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية، أفريقيا الشرق، المغرب، ط2، 2002، ص82.

(2) ابن العلوي، يحيى بن حمزة بن علي، الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، دار الكتب العلمية، بيروت، 1982، ج2، ص179.

الكريم إلى أهل الكتاب ليؤمنوا بهذا النبي المرسل خصوصاً بعد ذكر اسمه، وكأن من وظائف عيسى عليه السلام " الإخبار والتبشير بمجيء النبي الخاتم صلى الله عليه وسلم "[1].

وقد شكل النداء في هذه الآية الكريمة ركيزة مهمة في الحوار الذي دار بين عيسى عليه السلام وبني إسرائيل، أذ قام بندائهم (يا بني إسرائيل) ولم ينادهم ب (يا قوم) ويذكر ابن عاشور سبب مناداة عيسى قومه بهذا الاسم فيقول " ونادى عيسى قومه بعنوان (بني إسرائيل) دون (يا قوم) لأن بني إسرائيل بعد موسى اشتهروا بعنوان (بني إسرائيل) ولم يطلق عليهم عنوان قوم موسى إلا في مدة حياة موسى ... ولأن عيسى حين خاطبهم لم يكونوا قد اتبعوه ولا صدقوه، فلم يكونوا قوماً له خالصين "[2].

وللنداء وظيفة مهمة، ألا وهي التنبيه وطلب الإقبال " والإصغاء وإعداد النفس لتلقي الخطاب، ولا سيما أنه يصاحبه عادة أمر أو نهي أو استفهام "[3] والنداء في الآية المباركة للتنبيه فقد بدأ حوار عيسى عليه السلام مع بني إسرائيل ب (ياء) النداء لتنبيههم بأنه مرسل من الله إليهم وليؤكد لهم حقيقة مهمة وهي الرسالة التي جاء بها وينفي كل الأقاويل التي قيلت فيه من إدعائه الأُلوهية، أو أنه ابن الله ، وقد استخدم في الحوار (أن) الحرف المشبه بالفعل ليؤكد به أنه جاء برسالة سماوية، ولم يكن يدعي غير ذلك، لكن مع هذه الأخبار التي جاء بها الرسل والتي تحمل البشارة بأن هناك رسولاً " تعم رسالته جميع الأمم في جميع الأرض، وأنه الخاتم، وأن لشريعته ملكاً ... وأن تعاليمه تتعلق بجميع الأشياء العارضة للناس، أي شريعته تتعلق أحكامها بجميع الأحوال البشرية "[4] وبالرغم من كل هذه الحقائق التي كانت موجودة عند بني إسرائيل،

(1) عجك، الحوار الإسلامي المسيحي، ص77.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج28 ، ص.
(3) قادر، فخرية غريب، تجليات الدلالة الإيحائية في الخطاب القرآني، في ضوء اللسانيات المعاصرة ، سورة التوبة أنموذجا ، عالم الكتب الحديث ، إربد ، ط1، 2011، ص263.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج28، ص186.

والتي كانت تؤكد أن بني إسرائيل ينتظرون رسولاً يخلصهم من عذاب المتسلطين عليهم، أنكروا وجوده عندما جاء إليهم وقالوا عنه ساحر ومجنون وإلى غير ذلك من التسميات.

ويمكن توضيح الحوار الحجاجي بالنقاط الآتية :-

1- يخبر عيسى عليه السلام أنه رسول الله إلى بني إسرائيل.

2- وبهذا الخبر يتم نفي كل التهم التي اتهم بها عيسى عليه السلام من أنه ابن الله، أو أنه هو الرب.

3- يبشر عيسى عليه السلام بأن رسولاً سيأتي بعده اسمه أحمد.

4- وهذا يعني أن عيسى ليس هو الرسول الخاتم الذي ينتظره بنو إسرائيل.

- **حوار عيسى ابن مريم عليه السلام مع الحواريين**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ لِلۡحَوَارِيِّـۧنَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٞ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٞۖ فَأَيَّدۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمۡ فَأَصۡبَحُواْ ظَٰهِرِينَ ١٤ ﴾

(الصف:14)

فكرة الحوار : إعانة الرسول صلى الله عليه وسلم ونصرة مبادئه وعقيدته

الخطاب في بداية الآية موجه للذين آمنوا، وفي هذا الخطاب أمر لهم بنصرة الدين بل هو أمر بالدوام على هذه النصرة والثبات عليه ثم يأتي التشبيه " والتشبيه بدعوة عيسى ابن مريم للحواريين وجواب الحواريين تشبيه تمثيل، أي كونوا عند ما يدعوكم محمد (صلى الله عليه وسلم) إلى نصر الله كحالة قول عيسى ابن مريم للحواريين واستجابتهم له "[1] أي يجب عليكم أيها المؤمنون أن تنصروا محمداً (صلى الله عليه وسلم)، كما فعل الحواريون عندما نصروا عيسى (عليه السلام) وقد قيل في هذا التشبيه" إنه محمول على المعنى، فيقدر المصدر تبعاً لما

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج28، ص199.

يقتضيه هذا المعنى"[1] وهذا يعني أن هناك محذوفاً يمكن تقديره" لأن الشبه بين كونهم أنصاراً للنبي (صلى الله عليه وسلم) وكون الحواريين أنصاراً لعيسى عليه السلام، فوجب أن يكون التقدير: كونوا أنصار الله كما كان الحواريون أنصار الله حين قال لهم عيسى: من أنصاري إلى الله "[2] والحواريون هم الخواص من أنصار عيسى عليه السلام، وقيل هم تلاميذه ،وعددهم اثنا عشر شخصاً " واشتقاق الحواريين من الحَوَرِ، وهو البياض، وسموا بذلك لأنهم كانوا قصارين، وقيل: للبسهم البياض، وقيل لنقاء ظاهرهم وباطنهم "[3] والاستفهام في الآية المباركة ﴿مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾ هو استفهام حقيقي يراد به معرفة أنصار الله واختبارهم، وبعد هذا السؤال يأتي الجواب مباشرة وبدون تأخير من الحواريين ﴿نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِۖ﴾ " ففي حكاية جواب الحواريين هنا خصوصية صيغة القصر بتعريف المسند إليه والمسند. وخصوصية التعريف بالإضافة فكان إيجازاً في حكاية جوابهم بأنهم أجابوا بالانتداب إلى نصر الرسول وبجعل أنفسهم محقوقين بهذا النصر لأنهم محضوا أنفسهم لنصر الدين، وعُرفوا بذلك، وبحصر نصر الذين فيهم حصراً يفيد المبالغة في تمحضهم له حتى كأنه لا ناصر للدين غيرهم مع قلتهم، وإفادته التعريض بكفر بقية قومهم من بني إسرائيل "[4] ثم ينتهي الأمر بعد ذلك إلى انقسام الناس طائفتين؛ طائفة تؤمن بما جاء به سيدنا عيسى عليه السلام، وأخرى تكفر به والله أيد الذين آمنوا ونصرهم على عدوهم بعد أن كانوا مضطهدين " وفيه تلويح إلى أمة النبي صلى الله عليه وسلم يجري فيهم ما جرى في أمة عيسى عليه السلام، تؤمن منهم طائفة وتكفر طائفة، فإن أجاب

(1) حمدان، محمود موسى، أدوات التشبيه، دلالاتها واستعمالاتها في القرآن الكريم، مطبعة الأمانة، مصر، ط1، 1992، ص135.

(2) المرجع السابق، ص136.

(3) الألوسي، روح المعاني، ج28، ص91.

(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج28، ص202.

المؤمنون استنصاره وقد قام هو تعالى مقامه في الاستنصار إعظاماً لأمره وإعزازاً له – أيــدهم الله على عدوهم فيصبحون ظاهرين كما ظهر أنصار عيسى والمؤمنون به"[1].

ويجد الباحث في هذا الحوار استخدام القرآن للتشبيه لتقريب المعاني وإيــضاح الفكــرة وأخذ العبر منها، واستخدم أيضاً أسلوب التقابل في الآية السابقة؛ والتقابل يعني أن هناك تركيبين أو لفظتين يجتمعان في شيء واحد " فقد استخدم التقابل في قوله تعالى ﴿فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ﴾ ﴿وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ﴾ وهنا يفصح النص عن اشتراك عبارتين متقابلتين في موضوع الكفر والإيمان، فالإنسان واحد، مرة يكون مؤمناً، وأخرى يكون كافراً. فالتشبيه والتقابل والمستخدم في الآية المباركة هما من العوامل الحجاجية التي استخدمت في هذا الحوار.

(1) الطباطبائي، الميزان، ج19، ص271.

المبحث الرابع: الاستلزام الحواري: (conversational implicature)

يعد الاستلزام الحواري من أهم المفاهيم التداولية، بل إنه مفهوم لصيق بلسانيات الخطاب والتحاور، وبعيد عن الالتباس بمجالات الدرس الدلالي، وقد ظهر مفهوم الاستلزام الحواري مع المحاضرات التي ألقاها جرايس (Paul Grice) في جامعة هارفارد سنة 1967م، ثم بعد ذلك أصبح من أهم النظريات التداولية، وكانت البداية في هذا المفهوم عند جرايس هي حوارات الناس، وقد وضع جرايس حالات ثلاث لحوارات الناس وهي[1]:

1- الناس يقولون ما يقصدون.

2- الناس يقصدون أكثر مما يقولون.

3- الناس يقصدون عكس ما يقولون.

والذي يخص البحث هو (الناس يقصدون أكثر مما يقولون) فهذه النقطة هي التي تعبر عن مضمون الاستلزام الحواري والتي تعني مقصود المتكلم، أو ما يريد المتكلم إيصاله للسامع أو المخاطب، لكن مقصود المتكلم ليس كافياً بل على السامع أن يفهم ما يقصد المتكلم من كلامه؛ فقد يكون المتكلم يقول شيئاً وهو يريد شيئاً آخر، وهذا الذي كان يشغل جرايس، فلهذا اضطر إلى اللجوء إلى مبدأ التعاون بين المتكلم والمخاطب، وهذا المبدأ " يقصد به ذلك المبدأ الذي يرتكز عليه المرسل للتعبير عن قصده، مع ضمانه قدرة المرسل إليه على تأويله وفهمه "[2] ومبدأ التعاون هو مبدأ حواري يقوم على مبادئ حوارية فرعية هي[3]:

1- مبدأ الكم : (Quantity)

اجعل إسهامك في الحوار بالقدر المطلوب من دون أن تزيد عليه أو تنقص منه.

---

(1) انظر، نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص33.
(2) الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص96 .
(3) انظر، نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص34.

2- مبدأ الكيف : (Quality)

لا تقل ما تعتقد أنه غير صحيح ، ولا تقل ما ليس عندك دليل عليه .

3- مبدأ المناسبة : (Relevance)

اجعل كلامك ذا علاقة مناسبة بالموضوع .

4- مبدأ الطريقة : (Manner)

كن واضحاً ومحدداً، فتجنب الغموض، وتجنب اللبس، وأوجز ، ورتب كلامك .

هذه هي المبادئ التي يتم بها تحقيق التعاون بين المتكلم والمخاطب لكي نصل إلى حوار مفيد ومفهوم، ويحصل الاستلزام الحواري " عندما يخل المتكلم عن قصد وعقلانية بحكم التخاطب وقواعده "[1] ومن خلال هذه المبادئ التي طرحها جرايس يتبين بوضوح هذه العلاقة التي تجمع المتكلم والمخاطب ودورها في تطبيق هذه القواعد أو خرقها عندما يريد المتكلم أن يحاور المخاطب، وهنا يتم التركيز على المعنى الذي يريده المتكلم، وبالتالي تنتج عن فهم المعاني خطابات كثيرة ومتنوعة.

وهناك أنواع أخرى للاستلزام غير الحواري فقد جعل جرايس الاستلزام نوعين، هما : استلزام عرفي، وآخر حواري ولهذا وضع جرايس مميزات للاستلزام الحواري تميزه عن الأنواع الأخرى وهذه المميزات أو الخواص هي[2]:

1- الاستلزام ممكن إلغاؤه :(defeasible) : وهذه الخاصية تعني أن قولاً قد تمت إضافته سد الطريق أمام الاستلزام، فمثلاً : تقول قارئة لكاتب معين (لم أقرأ كل كتبك) وهذا يستلزم أنها قرأت بعضاً من كتبه، فإذا استدركت وقالت، (الحق أني لم أقرأ أيَّ كتاب منها " فهذا يعني أنها ألغت الاستلزام.

---

(1) فاخوري، عادل، الاقتضاء في التداول اللساني، مجلة عالم الفكر، العدد 3، 1989، ص148.
(2) نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص38.

2- الاستلزام لا يقبل الانفصال عن المحتوى الدلالي : (Non- Detachable)

وهذه الخاصية تعني عند جرايس أن الاستلزام الحواري متصل ولا ينقطع عن المعنى الدلالي لما يقال وليس بالصيغة اللغوية التي قيل فيها، حتى لو استبدل بمفردات أو عبارات مرادفة،ولتوضيح ذلك نورد الحوار الذي دار بين أختين:

تقول الأخت لأختها لا أريدك أن تتسللي إلى غرفتي بهذا الشكل، فتجيب الأخت أنا لا أتسلل، ولكن أمشي على أطراف أصابعي خشية أن أحدث ضوضاء، فبعد أن غيرت الأخت صياغة التعبير في كيفية الدخول إلى الغرفة، فإن ما يستلزمه القول من عدم الرضا عن هذا السلوك لا يزال قائماً.

3- الاستلزام متغير: وهذه الخاصية تعني أن التعبير الواحد يستطيع أن يؤدي إلى استلزامات مختلفة في سياقات مختلفة، فمثلاً لو سُئل طفل يحتفل بعيد ميلاده كم عمرك؟ فهذا السؤال حقيقي يراد به معرفة عمر الطفل، أما إذا سألت السؤال نفسه لصبي عمره خمسة عشر عاماً فقد يستلزم هذا السؤال مؤاخذة على بعض تصرفات هذا الصبي غير اللائقة والتي لا تتناسب مع عمره،ونفس السؤال يُسأل لفتى قد مُنع من اتخاذ قرار يخص تعاليم الدين أو المستقبل أو الأخلاق، فهذا يستلزم أنه من النضج والبلوغ يستطيع أن يقرر ويتحمل مسؤولية قراره.

4- الاستلزام يمكن تقديره:Calculability هذه الخاصية تعني أن المخاطب يقوم بخطوات مدروسة ومحسوبة يتجه بها خطوة خطوة إلى الوصول إلى ما يستلزمه الكلام، فمثلاً إذا قيل: الملكة فكتوريا صنعت من حديد، فإن القرينة تبعد السامع عن تصديق وقبول المعنى اللفظي لهذا الخبر، لهذا يستلزم البحث عما وراء هذا الخبر، ويجب أن يكون مُلقي هذا الخبر ملتزماً بمبدأ التعاون، أي أنه لا يريد التضليل أو الخداع أو المزاح، وهذا يعني أن المتكلم كان يريد أن يقول

أن الملكة تمتلك بعض صفات الحديد مثل الصلابة وقوة التحمل، والمتكلم يعلم جيداً أن السامع أو المخاطب يستطيع فهم المعنى غير الحرفي الذي أراده المتكلم .

سيتناول الباحث في هذا المبحث نماذج من الحوار التي تكون فيها ملامح الالتزام بمبدأ التعاون واضحة.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقٗا جَدِيدٗا ﴿٤٩﴾ قُلۡ كُونُواْ حِجَارَةً أَوۡ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوۡ خَلۡقٗا مِّمَّا يَكۡبُرُ فِي صُدُورِكُمۡۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَاۖ قُلِ ٱلَّذِي فَطَرَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖۚ فَسَيُنۡغِضُونَ إِلَيۡكَ رُءُوسَهُمۡ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَۖ قُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبٗا ﴿٥١﴾ ﴾ (الإسراء: 49 – 51).

في الآيات السابقة يجد الباحث أن للاستلزام الحواري دوراً كبيراً في فهم المعاني التي تولدت منه، أي أن هناك معان مضمرة غير المعاني الصريحة التي دل عليها الحوار " المعنى الثاني الذي يتولد عن المعنى الأول، بحيث تكون الألفاظ مولداً لدلالة غير مباشرة، يقصدها المتكلم ولا يعقلها المخاطَب إلا عن طريق الاستدلال "[1] فإذا ما أردنا أن نفهم قول الكافرين حول البعث بعد موتهم وبعد أن يصبحوا تراباً يجب أن نفهم أولاً عن معنى الاستفهام في قولهم ﴿ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقٗا جَدِيدٗا ﴾ هل هو استفهام حقيقي يراد به طلب الفهم ؟ أم أنه استفهام إنكاري يراد به إنكار هذا اليوم ؟ ليأتي الجواب من الله سبحانه وتعالى على لسان نبيه محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿ قُلۡ كُونُواْ حِجَارَةً أَوۡ حَدِيدًا ﴾ ليرد عليهم إنكارهم واستبعادهم ليوم البعث بعد موتهم وبعد أن يصبحوا عظاماً ورفاتاً، وفي هذا الرد معنى " أن وهن الجسم مساو لصلابته بالنسبة لقدرة الله تعالى على تكييفه كيف يشاء "[2] وقد جاء هذا الرد خرقاً لقاعدة المناسبة، حيث لا مناسبة بين قول الكافرين والرد عليهم؛ فهم يتساءلون عن إمكانية بعثهم وإعادة

(1) السعدني، مصطفى، إستاطيقيا الإشارة، دراسة بلاغية سيميوطيقية، دار المعارف، الإسكندرية، مصر، دط، 1994، ص78–79.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج15، ص124.

خلقهم من جديد بعد أن يصبحوا عظاما وترابا، وإن كان هذا الاستفهام إنكارياً، فما علاقة الجواب ﴿قُلْ كُونُواْ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا﴾ بالسؤال ؟ إن الإجابة التي كان ينتظرها الكافرون قد تكون (نعم إنكم مبعوثون) أو (لا تبعثون). فكانت الإجابة من الله على لسان نبيه محمد (صلى الله عليه وسلم) إجابة غير مباشرة لكن هذه الإجابة مفهومة جيداً من قبل الكافرين، وهذا هو مبدأ التعاون. وكل ما قلناه ينطبق على بقية الحوار الموجود في الآيات السابقة.

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾ (الإسراء:85)، يسأل اليهود الرسول محمداً (صلى الله عليه وسلم) عن ماهية الروح، فجاء الأمر بالإجابة على لسان الرسول الكريم محمد (صلى الله عليه وسلم) بأن يخبرهم بما يمكن فهمه ومعرفته ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾ لأن " أسرار هذا الوجود أوسع من أن يحيط بها العقل البشري المحدود "[1]

ويجد الباحث أنَّ في هذه الإجابة انتهاك مبدأ الكم، فالإجابة ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾ قصيرة جداً، لكن مع هذا القصر في الإجابة يفهم اليهود أو المسلمون أن السؤال عن الروح هو أكبر من فهمهم وإدراكهم، لذلك كانت الإجابة بمعنى صرف عن مثل هكذا أسئلة ، وكذلك في هذه الإجابة هناك انتهاك لمبدأ المناسبة ، فلا يجد الباحث أية مناسبة بين السؤال والجواب.

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَـٰرَ خِلَـٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِىَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَـٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ ۗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾﴾(الإسراء: 90 – 93).

(1) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج15، ص2249.

في الآيات المباركة السابقة يطلب المعاندون من الرسول الأكرم (محمد صلى الله عليه وسلم) أمراً معجزاً، وقد أنكروا أن يكون الأنبياء والرسل بشراً يأكلون ويشربون مثلهم، فأخذوا يطلبون منه طلبات تعجيزية منها الصعود إلى السماء وتنزيل كتاب من السماء يقرؤونه وتفجير العيون، وغيرها من الطلبات، وكل هذه الطلبات تبين مدى عناد المشركين وكذلك تبين رغبتهم في بيان عجز النبي محمد(صلى الله عليه وسلم) من هذه الطلبات.

ويرى الباحث أن في هذا الحوار الذي حصل بين المشركين والمعاندين وبين الرسول الأكرم محمد (صلى الله عليه وسلم) انتهاكا لمبدأ الكم؛ وذلك من الكم من الطلبات التي طلبها المشركون من النبي الكريم يقابلها عبارة وجيزة وهي ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴾ وفي هذه الإجابة تنزيه لله، وعدم قدرة الإنسان على الإتيان بالمعجزات.

الفصل الثالث

القرينة السياقية في السور المسبحات

قبل الدخول في موضوع القرينة السياقية في السور المسبِّحات يود الباحث أن يسلط الضوء على مصطلح السياق في اللغة والاصطلاح.

المبحث الأول: السياق : لغة واصطلاحاً

السياق: لغة

السياق: من (س،و، ق)، قال ابن فارس " السين والواو والقاف أصل واحد، وهو حَدْوُ الشيءيقال ساقه يسوقه سوقاً، والسَّيِّقَة: ما استيق من الدواب، ويقال سقت إلى امرأتي صداقها،وأسقته، والسوق مشتقة من هذا، لما يساق إليها من كل شيء، والجمع أسواق، والساق للإنسان وغيره، والجمع سوق، وإنما سميت بذلك لأن الماشي ينساق إليها "[1] وذكر الأزهري " تساوقت الإبل تساوقاً، إذا تتابعت وكذلك تقاودت فهي متقاودة ومتساوقة"[2] وقد انتقل معنى هذه اللفظة إلى معنى مجازي بينه الزمخشري حيث قال: " وهو يسوق الحديث أحسن سياق، وإليك يساق الحديث، وهذا الكلام مساقه كذا، وجئتك بالحديث على سوقه : على سرده "[3] وذكر الجوهري – رحمه الله – بعضاً من معاني السياق اللغوية :" ويقال ولدت فلانة ثلاثة بنين على ساق واحدة أي بعضهم على إثر بعض، ليست بينهم جارية ... والسياق نزع الروح "[4].

---

(1) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مادة (سوق)، ج3، ص117.
(2) الأزهري، أبو منصور، محمد بن أحمد، تهذيب اللغة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 2001، مادة (سوق)، ج9، ص234، وانظر، ابن منظور، لسان العرب، مادة (سوق).
(3) الزمخشري، أساس البلاغة، مادة (سوق) ص316.
(4) الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية، دار العلم، ط4، 1990، مادة (سوق) ج2، ص1138.

ومن هذه المعطيات يمكن القول أن السياق يدور معناه اللغوي حول التتابع والاتصال، فسياق الكلام هو اتصاله وتتابعه.

السياق: اصطلاحاً :

أما في الاصطلاح فإن السياق يعني " النظم اللفظي للكلمة وموقعها من ذلك النظم؛بأوسع معاني هذه العبارة"[1]، أو هو " الخلفية المعرفية التي يفترض أن يشترك فيها كل من المتكلم والسامع أو المتلقي والتي تسهم في جعل المتلقي يفسر ما يقدمه المتكلم من كلامه "[2] وقيل في تعريف السياق بأنه " بناء كامل من فقرات مترابطة، في علاقته بأي جزء من أجزائه، أو تلك الأجزاء التي تسبق أو تتلو مباشرة فقرة أو كلمة معينة، ودائما ما يكون سياق مجموعة من الكلمات وثيق الترابط بحيث يلقي ضوءاً ، لا على معاني الكلمات المفردة فحسب، بل على معنى وغاية الفقرة بأكملها "[3] ويرى فيرث " بأن المعنى لا ينكشف إلا بتسييق الوحدة اللغوية، أي وضعها في سياقات مختلفة "[4] وقد شبه جون لاينز علاقات السياق بنسيج العنكبوت فقال " إنها تشبه نسيج العنكبوت الواسع المتعدد الأبعاد ، يمثل كل خيط فيه إحدى هذه العلاقات وتمثل كل عقدة فيه وحدة معجمية مختلفة "[5].

ومن هنا يمكن القول إن القرينة السياقية مجموعة من الأفكار التي يمكن من خلالها فهم وتنظيم المعنى، لذلك تعتبر هذه القرينة من أهم القرائن، لأن العناصر اللغوية التي تكون أجزاء الجملة العربية وتنظمها وتكون لها دلالات مركزية، وتحتاج إلى قرينة تكشف عن المعنى المراد، مثل فهم النصوص فهماً سليماً، لذلك اهتم العلماء بالقرينة وأصبحت محط أنظارهم من خلال اهتمامهم في معرفة فهم النصوص وإيضاح المعاني المتعددة حيث إن القرينة السياقية هي

---

(1) أولمان، ستيفن، دور الكلمة في اللغة، ترجمه وقدم له وعلق عليه الدكتور: كمال بشر، دار غريب، القاهرة، ط1، 1997، ص54 –55.

(2) حسنين، صلاح الدين صالح، الدلالة والنحو، مكتبة الآداب ، ط1 ، دت ، ص191.

(3) فتحي، إبراهيم، معجم المصطلحات الأدبية، التعاضدية العمالية للطباعة والنشر، تونس، ط1، 1986، ص201.

(4) عمر، أحمد مختار، علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة، ط5، 1998، ص68.

(5) لاينز، جون، اللغة والمعنى والسياق، ترجمة: عباس صادق الوهاب، دار الشؤون الثقافية العامة، آفاق عربية، بغداد، ط1،1987،ص83.

التي تكشف المعنى المراد، فنجد " علماء العربية لم يكونوا بعيدين عن إدراك وظيفة السياق ودلالته، فقد استعان علماء لغة القرآن الكريم والأصوليون بشقي السياق في دلالة النصوص الشرعية، كما ربط عبد القاهر الجرجاني فصاحة الكلمة بسياقها اللغوي والتركيب الذي قيلت فيه عند حديثه عن نظرية النظم، وربط الكلام بمقام استعماله ... وإن الخليل وتلميذه قد اعتمدا السياق اللغوي في بيان معنى التركيب ودلالته واستعانا بطرق الأداء اللغوي المصاحبة للنطق بالعبارة، كالوقف والنبر والتنغيم "[1] وتعدّ دراسة السياق في الوصول إلى الدلالة النحوية من الأمور التي اهتم بها علماء العربية، بل يعد منشؤها عربيا في بعض الأحيان ، وهذا ما بينه العلماء قديماً وحديثاً في دور السياق وأثره في التفاعل بين أجزاء الجملة فقد اهتم علماء اللغة العربية القدامى في السياق وأقسامه كافة بحيث " يمكن عد صنيع المعجميين العرب القدامى في أكثر أوجهه وصفاً للاستعمال الفعلي للغة، وهذا الوصف مستند أساساً إلى ملاحظتهم السياق أو المقام الذي تجري فيه اللغة نشاطاً تواصلياً، ولا يمكن الوقوف على دلالة بعض نصوصه الإبداعية من غير الإحاطة بالظروف التاريخية أو الاجتماعية، أو السياسية، أو الدينية، أو الأعراف والتقاليد والأذواق التي أحاطت به، والحيز الزماني والمكاني الذي أُنتج فيه ، أو اكتنف لحظات إبداعه، وهو حيز مقامي حالي أساسا"[2].

ومن هنا يجد الباحث أن معاني السياق تدور في محورين: الأول: ما يقصده المتكلم في حديثه، والثاني هو التتابع والتواصل في الكلام والتراكيب والنظم لأن في بعض الأحيان لا يمكن الوصول إلى فهم العبارات والجمل إلا من الرجوع إلى السابق أو اللاحق منها، وأن الترابط بين التعريف الاصطلاحي واللغوي واضح، فهما يتحدان في تتابع الكلام واتصاله بين السابق واللاحق، وهذا التتابع يفيد في البيان والتوضيح بين الآيات والسور، وهذا من شأنه يساعد في تفسير القرآن ويبين معانيه ودلالاته، وما ذكره الزركشي في باب معرفة المناسبات بين الآيات يؤكد هذا الكلام " والذي ينبغي في كل آية أن يبحث أول كل شيء عن كونها مكملة لما قبلها، أو مستقلة ثم المستقلة؛ ما وجه مناسبتها لما قبلها ؟ ففي ذلك علم جم؛ وهكذا في السور يطلب وجه اتصالها بما قبلها وما سيقت له"[3].

---

(1) صالح، محمد سالم، أصول النظرية السياقية عند علماء العربية ودور هذه النظرية في التوصل إلى المعنى ، بحث، ص27.

(2) نهر، هادي، علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي، دار الأمل للنشر والتوزيع، إربد ، الأردن ، ط1 ، 2007، ص284-285.

(3) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج1، ص37.

المبحث الثاني : أركان السياق وأنواعه

أولاً: أركان السياق

قال الرازي – رحمه الله – :" وَرُكْنُ الشيء جانبه الأقوى . وهو يأوي إلى (ركن) شديد أي إلى عزٍّ وَمَنَعَة. وجبل ركين له أركان عالية "[1] والركن اصطلاحاً " ما يقوم به ذلك الشيء من التقوم إذ قِوام الشيء ركنه لا من القيام وإلا لزم أن يكون الفاعل ركناً للفعل والجسم ركناً للعرض والموصوف للصفة "[2] لذا يمكن عد الركن ما لا يتم الشيء إلا به

الركن الأول:الخطاب

" وهو كل ملفوظ مشترط بمتكلم ومستمع، وعند الأول فيه التأثير على الثاني بكيفية ما وكل ملفوظ ينتمي إلى الخطاب يتمتع باستقلال ذاتي عال"[3].

وقيل في الخطاب أيضاً بأنه " نص مكتوب يُنقل من مُرسِل إلى مُرسَل إليه يتضمن عادة أنباء لا تخص سواهما"[4] وقد يعرف الخطاب بأنه " النص اللغوي بعد استعماله، وهو وسيلة المتخاطبين في توصيل الغرض الإبلاغي من المخاطب إلى المخاطب ... وهذا الخطاب يرتبط في داخله ترابطاً تعلقياً وعضوياً ... وكما يرتبط الخطاب في تركيبه بالواقع الخارجي من حيث المطابقة وعدمها ... ويرتبط الخطاب كذلك بالمتخاطبين"[5] ومعنى هذا أن الخطاب يعتمد عدة عناصر متفاهمة فيما بينها ، ومتواصلة حتى يحقق الخطاب أهدافه من هذه العناصر معنى الكلمة حين استعمالها أو المعنى الذي اكتسبته هذه اللفظة داخل الخطاب وقد وضح فندريس هذه العلاقة بقوله " تزود كل كلمة في لحظة استعمالها تزويداً تاماً بقيمة وقتية تبعد عنها جميع القيم الناتجة من الاستعمالات الأخرى التي تصلح لها الكلمة "[6].

---

(1) الرازي، مختار الصحاح، مادة (ر ك ن).

(2) المناوي، التوقيف على مهمات التعاريف، ص124 .

(3) انظر، تودوروف وآخرون ، في أصول الخطاب النقدي الجديد، ترجمة : أحمد المديني، عيون المقالات، الدار البيضاء – دار شؤون الثقافة، بغداد ط2، 1989، ص 38.

(4) وهبة، مجدي، والمهندس، كامل ، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، بيروت، ط2، 1984، ص159.

(5) محمد محمد يونس علي، المعنى وظلال المعنى، أنظمة الدلالة في العربية، دار المدار الإسلامي، لبنان، بيروت، ط2 ، 2007، 157–159.

(6) فندريس، اللغة، تعريب، عبد الحميد الدواخلي، محمد القصاص، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، دط، دت ، ص252.

الركن الثاني: مصدر الخطاب

عندما يكون هناك مثير يحفز المخاطِب إلى الكلام كأن ترد إلى ذهنه فكرة أو خاطرة أو يستمع إلى سؤال يدعوه إلى الإجابة فإن هذا المخاطِب يشرع عادة في الحديث معتمداً في كلامه على اللغة باعتبارها علامات متواضعاً عليها من قبل المجتمع تحقق له رغبته في توصيل كلامه للآخرين، فيختار منها عن وعي، أو عن غير وعي ما يحتاج إليه في عملية التخاطب مراعياً في ذلك القواعد الصرفية والنحوية التي تسمح بها اللغة[1] إذن المخاطِب هو مصدر الخطاب،وعليه أن يختار الألفاظ التي تساعده في إيصال الهدف المرتجى من الخطاب ولتوضيح الهدف من اختيار المخاطِب لفظة دون غيرها نذكر المثال الآتي: ففي قوله تعالى : ﴿إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ﴿٨٠﴾﴾ (التوبة: 80) " فلفظة (سبعين) لا يرجع اختيارها هنا لكونها مقابلة للستين والثمانين والواحد والسبعين ، ونحو ذلك من سائر الأعداد ... وإنما أُريد به معنى آخر كالكثرة "[2].

الركن الثالث: متلقي الخطاب

يقوم المخاطَب في عملية التخاطب بتلقي الخطاب ثم تحليله وتفكيكه وهذا التحليل يعتمد على ما يمتلكه المتلقي من ثقافة ومعلومات وتساعده أيضاً تجاربه الخاصة ، فإطالة الخطاب وحذف بعض أجزاء الكلام ما هي إلا نتيجة علم المخاطِب بأن المتلقي لا يمكن له الوصول إلى المعنى إلا من خلال هذه الأساليب ، وما قاله الزركشي في بيان حكمة ضرب الأمثال في القرآن الكريم يبين ذلك " ومن حكمته تعليم البيان؛ وهو من خصائص هذه الشريعة، والمثلُ أعون شيء على البيان. فإن قلت: لماذا كان المثل عوناً على البيان، وحاصله قياس معنى بشيء، من عرف ذلك المقيس فحقه الاستغناء عن شبيهه، ومن لم يعرفه لم يُحدث التشبيه عنده معرفة، والجواب أن الحكم والأمثال تصوّر المعاني تَصور الأشخاص؛ فإن الأشخاص والأعيان أثبت في

(1) انظر، محمد محمد يونس علي، المعنى وظلال المعنى، ص 153.
(2) المرجع السابق، ص153.

الأذهان،لاستعانة الذهن فيها بالحواس: بخلاف المعاني المعقولة؛ فإنها مجردة من الحس ولـذلك دقت؛ ولا ينتظم مقصود التشبيه والتمثيل إلا بأن يكون المثل المضروب مجربـاً مـسلَّماً عنـد السامع"[1] .

الركن الرابع:المساق

عملية التخاطب تحيط بها مجموعة من الملابسات والظروف والأحوال تتكاتف فيما بينها لتؤثر على الدلالة الحرفية والمعجمية للخطاب، وهذه الظروف والملابسات تتمثـل بالإشـارات والإيماءات المساعدة ، والتي قد يميل إليها المتكلم أحياناً فـي إيـضاح فكرتـه وتبليغهـا إلـى السامع،كما أن هناك عوامل أخرى تتدخل في عملية التخاطب، هذه العوامل منهـا مـا يتعلـق بشخصيات المتخاطبين وحياتهم الخاصة والاجتماعية مثل ثقافة المتخاطبين وتاريخهم الاجتماعي والعلاقة بينهم، كذلك هناك علاقات منها ما هو وليد الموقف بحيث تحكمهـا ظـروف الزمـان والمكان التي يقع فيها الكلام[2] ويدخل ضمن هذا الركن من أركان السياق أسباب نزول الـسورة أو الآية، وكذلك معرفة المكي والمدني من هذه السور، ومعرفة الرسول (صلى الله عليه وسلم)، والوقوف على أحول الصحابة الكرام " ومن فوائد معرفة الرسول (صلى الله عليه وسلم) معرفـة الآيات القرآنية المنزلة عليه وفهم المعنـى والمـراد منهـا موقـوف علـى معرفـة أحـوال الرسول،وسيرته مع قومه وأصحابه وغيرهم من الناس، فإن الأزمنـة والأمكنـة والأشـخاص تختلف اختلافاً كثيراً، فلو أراد إنسان أن يصرف همه لمعرفة معاني القرآن من دون معرفة منه لذلك، لحصل من الغلط على الله وعلى رسوله وعلى مراد الله من كلامه ، شيء كثير"[3] وفـي كتاب الإتقان ذكر الواحدي أهمية أسباب نزول الآية في فهمها وتفسيرها ، فقال" لا يمكن معرفة تفسير الآية دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها ، وقال ابن دقيق العيد بيان سـبب النـزول طريق قوي في فهم معاني القرآن "[4].

---

(1) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج1، ص 487–488.

(2) انظر، محمد محمد يونس علي، المعنى وظلال المعنى، ص 160.

(3) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الـرحمن بـن معلا اللويحق، دار السلام للنشر والتوزيع السعودية، ط2، 2002 ، ج1، ص 23–24.

(4) السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج1، ص 190.

الركن الخامس: ألفاظ الخطاب ودلالات تراكيبه

يقوم هذا الركن على أمور ثلاثة ، هي:

الأمر الأول: المفردات

اهتم العلماء بالمفردة اهتماماً واسعاً حيث بلغ اهتمامهم أن اهتموا بالحروف التي تتركب منها هذه الكلمة وهذا الاهتمام جاء بسبب تأثر هذه المفردة بالسياق الذي تأتي معه، وقد أفرد ابن جني باباً خاصاً بالمفردة أسماه (إمساس الألفاظ أشباه المعاني) يذكر فيه ما لهذه اللفظة من أهمية فيقول " اعلم أن هذا موضع شريف لطيف، وقد نبه عليه الخليل، وسيبويه، وتلقته الجماعة بالقبول له والاعتراف بصحته. قال الخليل: كأنهم توهموا في صوت الجندب استطالة ومدا فقالوا: صر، وتوهموا في صوت البازي تقطيعاً فقالوا: صرصر. وقال سيبويه في المصادر التي جاءت على الفَعَلان : إنها تأتي للاضطراب والحركة، نحو النقزان والغليان والغثيان، فقابلوا بتوالي حركات المثال توالي حركات الأفعال "[1] فالمفردة هي مفتاح النص وعليه يجب على المفسر النظر كثيراً في معنى هذه المفردة أو تلك " والنظر في مفردات النص الأدبي من أوجب ما يجب على مفسره ودارسه ، لأنها مفتاح النص وزمام ما فيه من دقيق المعاني وخفي الإشارات"[2].

الأمر الثاني: هيئة الكلمة

تعني هيئة الكلمة اشتقاقها و تصاريفها، فلابد من معرفة هذه الأمور لأن الكثير من المعاني تتغير بتغير التصريف والاشتقاق، ولأن التصريف " علم بأصول أحوال أبنية الكلم التي ليست بإعراب "[3] فالتصريف تغيير قد يطرأ على بعض حروف الكلمة الأصلية من زيادة أو

(1) ابن جني، الخصائص، ج2، ص152.

(2) أبو موسى، محمد حسنين ، البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية ، دار الفكر العربي، القاهرة، دط، دت، ص213.

(3) الأستراباذي، رضي الدين، محمد بن الحسن، شرح شافية ابن الحاجب، دار الكتب العلمية، لبنان بيروت، دط ،1982، ج1، ص1.

نقصان أو غير ذلك وهذا يساعد بدوره على فهم المعاني، فمثلاً: كلمة (ضرب) يختلف معناها باختلاف صيغها نحو: ضرَّب، تضرَّب، تضارب، واضطرب، وعن فائدة التصريف قال أبو البقاء العكبري " وأما فائدة التصريف فحصول المعاني المختلفة المتشعبة عن معنى واحد،والعلم به أهم من معرفة النحو في تعرّف اللغة، لأن التصريف نظر في ذات الكلمة ، والنحو نظر في عوارض الكلمة "[1].

الأمر الثالث: النظر في نظم الجملة الواحدة، ثم في نظم الجمل وعلاقاتها ببعض

" إن دراسة الجملة قد استنفدت جهداً كبيراً من علماء النحو والبلاغة، وقد امتزجت الدراسات النحوية بمسائل بلاغية، كما قامت الدراسات البلاغية في كثير من الحالات على دراسات نحوية بصيرة واعية، لذلك كان من الصعب على من يتصدى لدراسة الجملة دراسة أدبية بلاغية أن يفصل بحثه عن الدراسة النحوية أو يحدد بين اللونين تحديداً كاملاً أو تاماً "[2].

وقد عقد الزركشي فصلاً بهذا الصدد أسماه (فيما يجب على المفسر البداءة به) قال فيه " الذي يجب على المفسر البداءة به العلوم اللفظية، وأول ما يجب البداءة به منها تحقيق الألفاظ المفردة، فتحصيل معاني المفردات من ألفاظ القرآن من أوائل المعادن، لمن يريد أن يدرك معانيه؛ وهو كتحصيل اللبن من أوائل المعادن في بناء ما يريد أن يبنيه. وقالوا : وليس ذلك في علم القرآن فقط؛ بل هو نافع في كل علم من علوم الشرع وغيره؛ وهو كما قالوا: إن المركب لا يُعلم إلا بعد العلم بمفرداته، لأن الجزء سابق على الكل في الوجود الذهني والخارجي، فنقول النظر في التفسير هو بحسب أفراد الألفاظ وتراكيبها "[3].

---

(1) العكبري، أبو البقاء، عبد الله بن الحسين، اللباب في علل البناء والإعراب، تحقيق: عبد الإله نبهان، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، دار الفكر، دمشق، سورية، ط1، 1995، ج2، ص219.

(2) أبو موسى، البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري، ص269.

(3) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج2، ص173.

ثانياً:أنواع السياق

ما يزال السياق يشغل حيزاً كبيراً في مجال البحث اللغوي المعاصر، ويأخذ دوره في تحديد الدلالة، حيث يجد الباحث هذا واضحاً من خلال اهتمام علماء اللغة والبلاغة والأصول والفقه في هذا العلم، ولا يمكن لأحد أن ينكر أن جذور هذه النظرية متأصلة عند علمائنا القدامى أمثال سيبويه والجرجاني والسكاكي والجاحظ وابن قتيبة وغيرهم ، فقد اهتم هؤلاء العلماء بالسياق اللغوي وسياق الحال وما عباراتهم (لكل مقام مقال) و (مطابقة الكلام لمقتضى الحال) إلا شاهد على أنهم عرفوا هذا العلم وأهميته في فهم النصوص وتحليليها ، أما المحدثون فقد جعلوا للسياق أنواعاً كثيرة منها السياق العاطفي، والسياق النفسي، وسياق الحال، وسياق الموقف،والسياق الاجتماعي، والسياق الداخلي والخارجي، لكن الباحث فضل أن يكون تقسيم السياق على نوعين: هما السياق الداخلي والسياق الخارجي، ومن هذين النوعين تتفرع بقية أنواع السياق.

أولاً : السياق الداخلي:- ويطلق عليه أيضاً السياق اللغوي، وتنطوي تحت هذا النوع من السياق أنواع منها: السياق الصوتي، والسياق الصرفي، والسياق النحوي، والسياق المعجمي، والسياق القصصي.

ثانياً: السياق الخارجي: ويطلق على هذا النوع من السياق بالسياق غير اللغوي وتنطوي تحته أنواع منها: سياق الحال وسياق المقام والسياق الاجتماعي وسياق الموقف والسياق التاريخي. وسيتناول الباحث هذه الأنواع بشيء من الإيجاز لمعرفة مجال كل نوع من هذه الأنواع.

1- السياق النحوي: سياق يدخل ضمن أنواع السياق الداخلي ويهتم هذا السياق بالبنية النحوية وعلاقات الكلمات فيما بينها ووظيفة هذه الكلمات في مواقعها كعلاقة المسند والمسند إليه بين المبتدأ والخبر والفعل والفاعل " فعلاقة الإسناد مثلاً وهي العلاقة الرابطة بين المبتدأ والخبر،ثم بين الفعل والفاعل أو نائبه تصبح عند فهمها وتصورها قرينة معنوية على أن الأول مبتدأ والثاني، خبر أو على أن الأول فعل والثاني فاعل أو نائب فاعل، ويصل المعرب إلى قراره أن

ذلك كذلك عندما يفهم العلاقة الرابطة بين الجزءين "[1] وهناك قرائن لفظية يمكن أن تدخل ضمن السياق النحوي منها العلامة الإعرابية والرتبة والصيغة والمطابقة والربط والتضام والأداة والنغمة [2].

2- السياق الصوتي : ويمكن أن نستدل على هذا النوع من السياق من الارتفاع والانخفاض في درجة الجهر والهمس في الكلام، فطبيعة الأصوات الانفجارية تختلف عن طبيعة الأصوات المهموسة وقد ذكر تمام حسان أن للنبر نوعين: نبر السياق ونبر الصيغة وقد ميز بينهما بقوله " ونبر السياق مستقل عن نبر الصيغة الصرفية ... والفرق بين الدلالي والصرفي،أو نبر السياق ونبر الصيغة، أن نبر السياق يمكن وصفه، على عكس نبر الصيغة، بأنه إما أن يكون تأكيداً، وإما أن يكون تقريراً"[3].

3- **السياق الإيقاعي:** يعتمد في هذا السياق اعتماداً كبيراً فواصلَ الآيات فمن خلال النبر والتنغيم والإيقاع تتسق الآيات اتساقاً صوتياً، وهذا يحدث بتكرار الفاصلة بشكل يشبه السجع في نهاية كل آية، وتكون الفاصلة في أغلب السور " مستقرة في قرارها، مطمئنة في موضعها، غير نافرة ولا قلقة، يتعلق معناها بمعنى الآية كلها، تعلقاً تاماً، بحيث لو طرحت لاختل المعنى واضطرب الفهم، فهي تؤدي في مكانها جزءاً من معنى الآية، ينقص ويختل بنقصانها "[4] وقد تلحق الفاصلة في بعض الآيات (الهاء) وتسمى هذه الهاء هاء السكت ، كما في قوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ ﴾ (القارعة: 8 – 10) وهذه الهاء " عدلت مقاطع الفواصل في السورة ، وكان للحاقها في هذا الموضع تأثير عظيم في الفصاحة "[5].

---

(1) حسان، تمام، اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1994 ، ص191-192.
(2) انظر، المرجع السابق ، ص205.
(3) حسان، تمام، مناهج البحث في اللغة، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 1974، ص163.
(4) بدوي، أحمد أحمد، من بلاغة القرآن، نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، دط، 2005، ص65.
(5) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج1، ص61.

4- السياق الصرفي: يدرس السياق الصرفي اللواحق والسوابق والزوائد، وكما قيل فكل زيادة في المبنى تقابلها زيادة في المعنى، وقد يقترن في أغلب الأحيان السياق الصرفي بالسياق النحوي، وذلك لتفاعل الصرف والنحو في سياق واحد، فالمبنى الصرفي الواحد " متعدد المعنى ومحتمل كل معنى مما نسب إليه وهو خارج السياق، أما إذا تحقق المبنى بعلامة في السياق ، فإن العلامة لا تفيد إلا معنى واحداً تحدده القرائن اللفظية والمعنوية والحالية "[1] وقد وردت أمثلة كثيرة في النصوص القرآنية تمثل هذا السياق فمثلاً استعمال (أفعل) و (فعَّل) في السياق القرآني في قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ ﴿٥٠﴾ ﴾ (العنكبوت:50) وقوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ ﴿٣٧﴾ ﴾ (الأنعام:**37**) حيث استخدم القرآن الكريم لفظة (أُنزل) و (نُزِّل) بصيغتين مختلفتين فاستخدم في سورة الأنعام التضعيف بينما لم يستخدم ذلك في سورة العنكبوت " والذي يبدو أن استعمال (نُزِّل) قد يكون للتدرج والتكثير، وقد يكون للاهتمام والمبالغة كما في أوصى ووصى، فالتنزيل قد يستعمل فيما هو أهم وأبلغ من الإنزال ... ف (نزّل) يمكن أن يستعمل لأكثر من معنى ، فإن هذا الفعل قد يكون للتدرج والتكثير وقد يكون للمبالغة والاهتمام ، فما استعمل فيه (نزّل) يكون أهم وآكد مما استعمل فيه (أنزل) "[2].

5- السياق القصصي: يرى الدكتور السامرائي أن القصة في القرآن لا تتكرر فيقول في باب الحشد الفني في القصص القرآني " إن القصة الواحدة قد يكون فيها أكثر من موطن عبرة وأكثر من جانب استشهاد، فلا غرو إذن أن تذكر المناسبة التي يراد الاستشهاد لها أو الموطن الذي يراد الاتعاظ به، وأن يبرز منها ما يراد الاعتبار أو الاستشهاد به ويسلط الضوء عليه، وهذا شأن القصص القرآني، فأنت ترى أن القصة في القرآن كأنها تتكرر في أكثر من موطن، والحقيقة أنها لا تتكرر ولكن يعرض في كل موطن جانب منها بحسب ما يقتضيه السياق،

---

(1) حسان، تمام، اللغة العربية معناها ومبناها، ص165.

(2) السامرائي، فاضل صالح، بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، شركة العاتك لصناعة الكتاب ، للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط2، 2006، ص60 -61.

وبحسب ما يراد من موطن العبرة والاستشهاد "[1] وقد ورد السياق القصصي في كثير من سور القرآن ، فما قصص الأنبياء إلا نماذج متنوعة من هذا اللون من السياق ، فالتعبير القرآني يختار الجو المناسب لسياق هذه الآية أو تلك ، فمثلاً في قوله تعالى :﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾ ﴾ (مريم:4) " ومما حسن ذلك ذكر شيخوخته وضعفه، وهما أشبه شيء بالليل وما فيه من سبات وسكون وقلة حركة ... فإن الشباب والعافية أشبه شيء بالنهار وما فيه من حركة ، وإن الشيخوخة والضعف أشبه شيء بالليل وما فيه من سكون "[2].

6- السياق المعجمي: يمثل السياق المعجمي مستوى آخر من مستويات البنية اللغوية، وهذه المستويات تقوم عادة على العبارة بين المفردات بوصف الأخيرة وحدات معجمية دلالية، لا بوصفها وحدات نحوية أو أقساماً كلامية عامة [3] لكن لا يستطيع المعجم اللغوي العربي أن يغطي جميع معاني العبارات ؛ وذلك " لأن المعنى القاموسي أو المعنى المعجمي ليس كل شيء في إدراك معنى الكلام ... فلجأوا إلى السياق لكي يفسروا ما اهتموا بتفسيره من اللغة ... وقد جعلوا توضيح السياق جزءاً من تفسير الآيات القرآنية، وذلك واضح في دراستهم لأسباب النزول "[4].

ثانياً :- أنواع السياق الخارجي: تختلف أنواع السياق الخارجي عن تلك الأنواع التي تناولها البحث في صفحاته السابقة، فأنواع السياق الخارجي لا تتعلق باللفظة نفسها أو التركيب أو الصوت، بل تهتم هذه الأنواع بما يحيط بالنص من ظواهر اجتماعية أو تاريخية أو غير ذلك، ويسمى هذا السياق أيضاً بالسياق غير اللغوي وهو على أنواع منها: السياق الاجتماعي، والسياق التاريخي، وسياق الحال، وسياق الموقف.

---

(1) السامرائي، فاضل صالح، التعبير القرآني، دار عمار، عمان، ط4، 2006، ص283.
(2) السامرائي، بلاغة الكلمة في التعبير القرآني ، ص117.
(3) أبو عودة، عودة خليل، التطور الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن الكريم ، دراسة دلالية مقارنة، مكتبة المنار، الأردن، الزرقاء ، ط1، 1985، ص 76.
(4) أبو الفرج، محمد أحمد، المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1966، ص95-96.

1- السياق الاجتماعي: تتأثر اللغة في أغلب الأحيان بالعادات والتقاليد وكذلك تتأثر أيضاً بالنظام الاجتماعي، لأن المتأمل في اللغة يرى أن هناك علاقاتٍ واضحةً بين الظواهر اللغوية والظواهر الاجتماعية، وقيل إن الطريقة المثلى لتعلم اللغة هي أن يوضع الطالب الذي يروم تعلم لغة معينة في المجتمع الذي يتحدث هذه اللغة، والسبب في ذلك هو " أن اللغة مرتبطة بالمجتمع ارتباطاً وثيقاً حتى أن اللغويين أصبحوا متفقين على أن اللغة نشاط اجتماعي للإنسان، وليست مجرد معبر عن الفكر كما كانت تعرَّف قديماً ... وهكذا ترى أن السياق الاجتماعي متمم للمعنى لا يمكن الاستغناء عنه في تفسير اللغة "[1] ولقد اهتم القرآن الكريم اهتماماً بالغاً في هذا السياق وهذا نلاحظه جيداً من خلال تشريعاته السمحاء، والتي تتعلق بأمور الزواج والطلاق والميراث وغير ذلك، لأن في مثل هذه الآيات المباركات لا يمكن الاعتماد فقط على الجانب اللغوي في فهم وتفسير هذه الآيات ، بل يلجأ المفسرون إلى السياق الاجتماعي في فهمها وتفسيرها.

2- السياق التاريخي: تحدثت النصوص القرآنية في أكثر من موضع عن الحقائق التاريخية التي كانت ترتبط ارتباطاً وثيقاً بحياة العرب، فأسفارهم ورحلاتهم وتجاراتهم التي خاطبهم القرآن بها ماهي إلا جزء من حياتهم التي كانوا يعيشونها ويعرفونها جيداً، فالقرآن لا يخاطبهم إلا بما يعرفونه ويفهمونه ، ففي قوله تعالى:﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمۡ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ ۝٢﴾(قريش: 1 – 2) إشارة إلى قوافلهم وتجارتهم ، حيث كانت مكة مركزاً لقوافلهم التجارية وقد عد الدكتور هادي نهر التاريخ جزءاً من فعل السياق في تحديد الدلالة[2].

3- سياق الحال: أُطلق على سياق الحال أكثر من تسمية فقيل عنه إنه سياق المقام وسياق الموقف ومقتضى الحال، وسياق الحال يعني " جملة العناصر للموقف الكلامي أو الحال الكلامية "[3] "والسياق هو الذي يفرض قيمة واحدة بعينها على الكلمة بالرغم من المعاني المتنوعة التي

(1) أبو الفرج، المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث ، 119–120.
(2) انظر، نهر، هادي، علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي، ص265.
(3) نهر، هادي، اللسانيات الاجتماعية عند العرب، دار الأمل للنشر والتوزيع، إربد، الأردن، دط، 2010، ص162.

في وسعها أن تدل عليها؛ والسياق أيضاً هو الذي يخلص الكلمة من الـدلالات الماضـية التـي تدعها الذاكرة تتراكم عليها، وهو الذي يخلق لها قيمة حضورية"[1] ولقد اهتم القدماء وخـصوصاً البلاغيين بسياق الحال أو سياق الموقف وكانت مقولاتهم المشهورة كما أسلف الباحث أكبر دليل على هذه العناية والاهتمام.

وقد حدد فيرث العناصر المتصلة بسياق الكلام بما يلي[2]:

1- شخصية المتكلم أو السامع، وتكوينهما الثقافي وانتماؤهما الاجتماعي أو المهني.

2- موضوع الخطاب أو ما يدور حوله الكلام.

3- هدف النص الكلامي وغايته المتوخاة في المشتركين في الكلام.

4- العوامل والظواهر الاجتماعية ذات العلاقة باللغة والسلوك اللغوي لمن يشارك في الموقـف الكلامي.

5- موقع الكلمات من التركيب اللغوي ومستوى ذلك التركيب من حيـث قربـه أو بعـده مـن القواعد المقررة في النظام اللغوي المعين.

(1) فندريس، اللغة، ص231.
(2) انظر، نهر، هادي، اللسانيات الاجتماعية عند العرب، ص162.

المبحث الثالث : القرينة السياقية في السور المسبِّحات

أولاً : أثر القرينة السياقية في تحديد دلالة اللفظ

قد يعجز الإنسان أحياناً عن فهم بعض الكلمات التي تتألف منها الآيات القرآنية الكريمة عند النظر إليها بشكل منفرد دون النظر إلى الكلمات السابقة واللاحقة إليها، فعند ملاحظة هذه السوابق واللواحق لتلك الكلمة يمكن أن يزول هذا الغموض، والسبب في ذلك يعود إلى التناسب والترابط بين كلمات الآيات، وهذا من الجمال الذي اتسم به القرآن الكريم ، لهذا يعد فهم كتاب الله أمراً في غاية الأهمية، لذا نجد أصحاب إعراب القرآن الكريم يؤمنون جيداً بأهمية السياق في فهم المعاني، فنجد مثلاً في تحليلهم قوله تعالى: ﴿ سُبْحَانَ ٱلَّذِيٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَـٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾ ﴾ (الإسراء:1) فالقرينة السياقية وأثرها في تنسيق المقاصد وتآلف الدلالات يمكن النظر إليها من خلال معنى كلمة (عبد)، والتي تنتمي إلى الله سبحانه وتعالى ، وكلمة (سبحانه) التي تدل على التنزيه للخالق عز وجل فقد جاء السياق القرآني بكلمة (سبحانه) مقابل كلمة (عبده) وهذه المقابلة تعني أن الله سيَّر عبده ليلاً وفي ذلك تنزيه عن المماثلة في القدرة أو غير ذلك، فالسياق في الآية المباركة بين قدرة الخالق عز وجل مقابل عبودية الإنسان، وذكر الشنقيطي أن " التعبير بلفظ العبد في هذا المقام العظيم يدل دلالة واضحة على أن مقام العبودية هي أشرف صفات المخلوقين وأعظمها وأجلها، إذ لو كان هناك وصف أعظم منه لعبر به في هذا المقام العظيم، الذي اخترق العبد فيه السبع الطباق، ورأى من آيات ربه الكبرى "[1]، وقد اختلف في كون هذا الإسراء بالبدن والروح معاً أم كان فقط بروحه (صلى الله عليه وسلم) ؟ لكن القرينة السياقية في لفظة (سبحان) تبين أن

(1) الشنقيطي، محمد الأمين، بن محمد المختار، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفضيلة، السعودية ودار الهدي النبوي، مصر، ط1، 2005، ص417 .

الإسراء كان بالروح والبدن وذلك لأن التسبيح هنا جاء لأمر عظيم يستحق التسبيح ، أما إذا كان هذا الإسراء هو في المنام فما هو الشيء المستعظم الذي يستوجب التسبيح ؟ وكذلك مما يؤكد أن الإسراء حدث بالروح والبدن معاً لفظة (عبده) هذه اللفظة التي تعني أن العبد هو ما اجتمعت روحه بجسده وإلا لا يكون عبداً أما في قوله تعالى :﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾ ﴾ (الصف: 6).

فقد آثر النص القرآني كلمة (مصدقاً) على غيرها من الأسماء مثل مؤمن أو غير ذلك من الأسماء وقد قال السيوطي في هذا الإيثار " فإن قلت لِمَ جاء قول عيسى عليه السلام فيما يرجع إلى التوراة بلفظ التصديق، وفيما يرجع إلى النبي عليه السلام بلفظ البشارة، ولِمَ قال مصدقاً بالتوراة ولم يقل بموسى ؟ قلت: المراد أن يخبر عليه السلام بأنه مصدق بمن تقدم وتأخر من رسله وكتبه، فجاء لفظ التصديق بالتوراة على الأمر المقصود، والتصديق بالتوراة يستلزم التصديق بمن جاء بها، وكأنه نزّه الرسول الذي جاء بها عن أن يُستَرابَ برسالته، حتى يحتاج إلى من يصدقه ممن هو مثله"[1].

ومما سبق يمكن القول أن لفظ الإيمان أعم من التصديق، وفي الوقت نفسه هو أدق منه، ولهذا كان لفظ (مصدقاً) ملائماً مع سياق الآية السابقة ؛ لأن سيدنا عيسى عليه السلام هو مبلّغ ومشرّع لأمته آنذاك، فكان لفظ التصديق بنبوة (محمد صلى الله عليه وسلم) أنسب في المقام وأكثر ملاءمة من أي كلمة أُخرى، ولأن المصدّق هو الذي يصدقك في كلامك وهذا يتناسب مع قول نبي الله عيسى (عليه السلام)، فإن قوله يقتضي التصديق بما جاء به، والله أعلم.

(1) السيوطي، معترك الأقران في إعجاز القرآن، ج3، ص428.

ومن هذا المنطلق يجد الباحث أن السيوطي قد فرق في كثير من الأحيان بين العديد من الصيغ وبين الفرق بينها، بل إنه فرق أيضاً بين صيغ المبالغة بعضها مع بعض ، ففي قوله تعالى:﴿ نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ ﴾ (الحجر: 49 –50)، يقول السيوطي في الفرق بين الغفار والغافر" فإن قلت : هل بين هذين الاسمين فرق ؟ وهل الغفار والغافر بمعنى الغفور؟ ولِمَ لمْ يقل (في العذاب) أنا المعذِّب، بل قال: ﴿ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴾ ؟ فالجواب إن الغفور للعصاة يغفر لهم جميع معاصيهم، والرحيم للمطيعين يقبل جميع طاعاتهم مع التقصير، والغافر للذنب والغفار مبالغة للذنوب الكبيرة؛ قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ ﴿٨٢﴾ ﴾ (طه: 82) والغفور لتعجيل المغفرة، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾ ﴾(الإسراء:25)"[1].

وقد تعرض السيوطي أيضاً لثلاث آيات اختلفت فيها الصيغة ما بين الإدغام والفك، وهذه الآيات هي:

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ ﴾ (النساء: 115).

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٣﴾ ﴾ (الأنفال: 13).

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤﴾ ﴾ (الحشر: 4).

يميز السيوطي اللفظة الواردة في الآيات السابقات (يشاقق) والتي وردت بالإدغام في سورة الحشر، وبالفك في سورتي النساء والأنفال فيقول" وجاء يشاقق بالفك هنا وفي الأنفال،والإدغام في الحشر، استعمالاً للفئتين، وجاءت اللغة الفصحى مقدمة، وفي سورتين، وفي

(1) السيوطي، معترك الأقران في إعجاز القرآن، ج2، ص399.

الإدغام في الحشر مناسبة لماضي المبدوء به الآية، فإنه مدغم لا محالة "[1] والشقاق هو " الخلاف والعداوة بين فريقين، وسمي شقاقاً، لأن كل فريق من فرقتي العداوة قصد شقاً أي ناحية غير شقّ صاحبه، يقال : فلان شق العصا، إذا فارق الجماعة "[2] والذي يلاحظ الآيات السابقة يجد أن حيثما ذكر الله والرسول(صلى الله عليه وسلم) فك الإدغام ، وإذا ذكر الله وحده أُدغم " ولعله وحد الحرفين وأدغمهما في حرف واحد لأنه ذكر الله وحده وفكّهما وأظهرهما لأنه ذكر الله والرسول فكانا اثنين "[3] ويمكن القول إن السياق الذي جاءت به هذه الكلمة في حالة الإدغام يعطي مدلولاً بتفشي العداوة وقوتها.

ثانياً : أثر القرينة السياقية في توجيه دلالة العلاقات التركيبية

للسياق دور كبير في فهم وتحديد دلالات التراكيب داخل النص، والدلالة التركيبية (structural meaning) " هي الدلالة الناشئة عن العلاقة بين وحدات التركيب ، أو المستمدة من ترتيب وحداته على نحو ما "[4] وهذه الدلالة في كثير من الأحيان لا تفهم ولا تضبط إلا من خلال السياق، ولذلك قال الدكتور تمام حسان " إذا صح أن يتعدد المعنى للحرف والأداة والصيغة واللفظ المفرد والوقف والابتداء فإن المعنى يتعدد أيضاً لتركيب الجملة في بعض الحالات .ولقد رأينا كيف يعتمد المفسرون والفقهاء في فهم معنى فعل الأمر على القرائن ؛ فيرونه مفيداً للإباحة حيناً وللوجوب حيناً آخر. وليس تعدد المعنى مقصوراً على صيغة الأمر، ولكن له مظاهر أخرى في تراكيب العربية سجلها النحاة تحت عنوان (إشراب التركيب معنى غير معناه الأصلي) وأوضحوا ذلك في باب الإخبار بالذي والألف واللام، إذ يصادفون خبر المبتدأ في بعض الحالات مقترناً بالفاء فيفهمون بذلك أن الجملة الخبرية قد أشربت معنى

(1) السيوطي، قطف الأزهار في كشف الأسرار، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، قطر، ط1، 1994، ج2 ، ص750.
(2) ابن منظور، لسان العرب، مادة (شقق).
(3) السامرائي، فاضل صالح، ص16.
(4) حبلص، محمد يوسف، أثر الوقف على الدلالة التركيبية، دار الثقافة العربية، القاهرة ، ط1، 1993، 67-68.

الشرط"[1] ومما لاريب فيه أن السياق النحوي يلعب دوراً مهماً في تحديد معنى المفردة ودلالتها، والسياق النحوي هو السياق الذي يهتم بالبنية النحوية التي ترد فيها الكلمة بوصفها وحدة نحوية " وأن الكلمات لا تتوالى في الجملة على نحو عشوائي، بل يخضع ترتيبها لأنساق تركيبية مضطردة وعلاقات شكلية داخلية معقدة تشكل في مجموعها قواعد التركيب النحوي في لغة ما"[2] ومن هنا تتبين أهمية ما يؤكّده اللغويون من ترتيب الكلمات داخل السياق، مما يؤدي إلى فهم المعنى فهماً دقيقاً " ولا ينكر أن دلالة السياق تجعل الجملة ذات الهيئة التركيبية الواحدة بمفرداتها نفسها إذا قيلت بنصها في مواقف مختلفة ، تختلف باختلاف السياق الذي ترد فيه مهما كانت بساطة هذه الجملة وسذاجتها "[3] لذلك كان ومايزال السياق هو حلقة الوصل بين الألفاظ ومعانيها، ولذلك يورد الدكتور تمام حسان بعض الأمثلة في أهمية السياق ، فمن هذه الأمثلة :

1- تعدد المعنى الأداة ذات الصدارة في الجملة في قوله تعالى:﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا هِيَهۡ ﴿١٠﴾ ﴾ (القارعة: 10) إذ تصلح (ما) للاستفهام كما تصلح للتعجب.

2- تعدد معنى الصيغة كما في قوله تعالى:﴿ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن يَرۡتَدَّ إِلَيۡكَ طَرۡفُكَۚ ﴿٣٩﴾ ﴾ (النمل: 39) إذ يصلح لفظ (آتيك) أن يكون مضارعاً ناصباً لمحل الكاف ، وأن يكون اسم فاعل مضافاً إلى الكاف.

3- تعدد احتمالات العلاقة النحوية ؛ كأن يصلح المعطوف أن يعطف على هذا اللفظ أو ذاك وكاحتمال تعلق الظرف أو الجار والمجرور، كما في قوله تعالى:﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٞ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ ﴿١١﴾ ﴾ (الرعد: 11) إذ يصلح الجار والمجرور (مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ) أن يكون صفة للمعقبات أو أن يتعلق بالفعل (يَحۡفَظُونَهُۥ).

---

(1) حسان، تمام، اجتهادات لغوية ، عالم الكتب، القاهرة ، ط1، 2007، ص222.
(2) انظر، أبو عودة ، التطور الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن، ص75 .
(3) حماسة، محمد، النحو والدلالة، مدخل لدراسة المعنى النحوي – الدلالي، دار الشروق، القاهرة ، ط1، 2000، ص113.

4- تعدد احتمالات المعنى الوظيفي للكلمة المقررة كما في قوله تعالى:﴿ وَٱلَّذِينَ يَبۡتَغُونَ ٱلۡكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ فَكَاتِبُوهُمۡ إِنۡ عَلِمۡتُمۡ فِيهِمۡ خَيۡرٗاۖ ٣٣ ﴾ (النور: 33) إذ يصلح (الكتاب) أن يكون بمعنى الصحيفة ، وأن يكون مصدراً بمعنى المكاتبة.

5- تعدد احتمالات الذكر والحذف كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدۡوَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖۗ ١٠٨ ﴾ (الأنعام:108) إذ يحتمل التركيب أن يكون فيه الحذف وألا يكون، أي أن المنهي عن سبهم هل هم (الذين يدعون) أو (الذين يدعونهم) أي هل هم المشركون أم الشركاء؟

6- تعدد احتمالات تمام الجملة أو افتقارها إلى ما بعدها كما في قوله تعالى :﴿ وَلَا يَحۡزُنكَ قَوۡلُهُمۡۘ إِنَّ ٱلۡعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًاۚ ٦٥ ﴾(يونس: 65) فهل تمت الجملة عند لفظ (قولهم) أو يكون ما بعد ذلك مقولاً للقول . وذلك ما نجده أيضاً في تعانق الوقف في نحو :﴿ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ٢ ﴾ (البقرة:2)[1].

ومن هنا ومن خلال الأمثلة السابقة يتبين أن القرينة السياقية هي القرينة القادرة على تحديد المعاني بشكل دقيق ، وسيتناول الباحث بعضاً من النماذج في السور المسبِّحات والتي تبين أهمية القرينة السياقية في توجيه المعاني وتحديد دلالة التركيب.

يعد الحذف من عوارض التركيب في الكلام، وهو في الوقت نفسه أحد العوامل التي تساعد في تماسك النص فالحذف يقع في الصوت والحرف والكلمة والجملة، وهذا الحذف يحدث وفقاً لمقتضيات المقام، وقد وصف عبد القاهر الجرجاني الحذف بأنه " لطيف المأخذ عجيب

(1) حسان، تمام، البيان في روائع القرآن، دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1993، ص 211–212 .

الأمر، شبيه بالسحر"[1] لكن الحذف لا يمكن أن يؤدي غرضه البلاغي مالم تتوفر أحدى قرائنه ، ومن هذه القرائن القرينة السياقية ، لأن " ما سقط من الكلام يتكفل بإظهاره السياق "[2] ومن تجليات الحذف في السور المسبِّحات قوله تعالى: ﴿ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿١٨﴾ ﴾ في الآية المباركة حذف للمبتدأ والتقدير، (هو عالم الغيب والشهادة)، وفي هذا الحذف استغناء عن ذكر المسند إليه والمقدر بالضمير المنفصل (هو) الذي تعود دلالته على الله سبحانه وتعالى، ومع كون المبتدأ من الأركان الرئيسية في الجملة لكنه يمكن الاستغناء عنه كما في النص القرآني وذلك لوجود قرينة تدل عليه وهي قرينة السياق " ويحذف المبتدأ عندما يكون ذكر الخبر المتصف بصفة، كأنه يشير إلى هذا المبتدأ، وكأنما بلغ من الشهرة بهذا الوصف مبلغاً يغني عن ذكره "[3] وما علم الغيب والشهادة إلا من الصفات التي يختص بها سبحانه وتعالى، ولا يمكن وصف أحد غيره بهذه الصفات.

وقد يحذف الخبر من النصوص القرآنية في السور المسبِّحات ، وذلك لأغراض يقتضيها سياق الآية ، ففي قوله تعالى: ﴿ وَأُخۡرَىٰ تُحِبُّونَهَاۖ نَصۡرٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتۡحٞ قَرِيبٞۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ (الصف:13) فقد حذف الخبر في هذه الآية المباركة ف" (أخرى) مبتدأ خبره محذوف دل عليه قوله (لكم) من قوله (يغفر لكم) والتقدير: أخرى لكم "[4] ولعل سبب الحذف هو معرفته من السياق المذكور، فلا حاجة لذكره " وجيء به وصفاً مؤنثاً بتأويل نعمة، أو فضيلة، أو خصلة "[5].

ويعد الفعل أيضاً من الأركان الرئيسية للجملة، بل يعد من أهم أركانها كما عده المخزومي " الفعل من أهم أجزاء الجملة، بل هو أهمها، فهو لا يقتصر على الدلالة على الحدث حسب، ولكنه

(1) الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص146.
(2) كنوش، عواطف، الدلالة السياقية عند اللغويين، دار السياب، لندن، ط1، 2007، ص107.
(3) بدوي، من بلاغة القرآن، ص96.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج28، ص 195–196.
(5) المصدر السابق، ج28، ص196.

يحدثنا عما فعل الشخص، أو الشيء، وعما يفعلان، وعما سيفعلان "[1] ومع هذه الأهمية فإنه يحذف أيضاً لوجود قرينة تدل عليه، فمن القرائن التي تدل على الفعل المحذوف وجود فعل في سياق الآية يفسر الفعل المحذوف ، كقوله تعالى:﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾ ﴾ (الحشر: 7) ف " (ما) اسم موصول في محل نصب مفعول به لفعل محذوف دل عليه خذوه "[2] وقد يحذف الفعل لدلالة المصدر عليه كما في قوله تعالى: ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾ ﴾ (الإسراء:1) فقد حذف الفعل (سبح) لدلالة المصدر (سبحان) عليه، وسبحان مصدر سماعي يكون منصوباً بفعل محذوف تقديره (سبح) وقد ينوب المصدر عنه،وفي هذا الحذف نجد السياق قد تضمن دلالة معجمية ، وذلك من الاشتقاق الذي يدلنا على الفعل المحذوف، وقد يكون في هذا العدول من الفعل إلى المصدر معنى التوكيد " وكثيراً ما يستعمل للتعجب لكن سياق الآيات إنما يلائم التنزيه لكونه الغرض من البيان "[3].

ولا تخلو السور المسبِّحات من ظاهرة التقديم والتأخير بين تراكيب جملها، حيث إن هذه الظاهرة إنما هي من الفصاحة ، والتي كان العرب يجيدون استخدامها في نصوصهم، وما التقديم والتأخير إلا " دلالة على تمكنهم في الفصاحة، وملكتهم في الكلام وانقياده لهم، وله في القلوب أحسن موقع، وأعذب مذاق"[4] وهذا التقديم أو التأخير في بعض المفردات في عامة القرآن أو بالخصوص في السور المسبِّحات إنما يحدث لأغراض بلاغية تضفي على النص جمالاً، وباب

(1) المخزومي، مهدي، في النحو العربي، نقد وتوجيه، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، ط2، 1986، ص207.
(2) الدرويش، محيي الدين، إعراب القرآن الكريم وبيانه، مطبعة سليمان زاده، منشورات، كمال الملك، العراق، النجف، ط1 ، 1425هـ ، ج28، ص473.
(3) الطباطبائي، الميزان، ج13، ص7.
(4) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج3، ص233.

التقديم والتأخير قال عنه عبد القاهر الجرجاني " هو باب كثير الفوائد، جم المحاسن، واسع التصرف، بعيد الغاية، لا يزال يفتر لك عن بديعة، ويفضي بك عن لطيفة، ولا تزال ترى شعراً يروقك مسمعه، ويلطف لديك موقعه، ثم تنظر فتجد من راقك ولطُف عندك أنه قُدِّم فيه شيء وحوِّل اللفظ من مكان إلى مكان "[1] وقد تعددت أشكال التقديم والتأخير في السور المسبحات، فقد وجد الباحث تقديم المفعول به على فعله ، وكذلك تقديم الخبر على المبتدأ ، وتقديم شبه الجملة على الفاعل والمفعول، فمن هذه الأشكال تقديم الخبر على المبتدأ في قوله تعالى:﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخۡرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمۡ لِأَوَّلِ ٱلۡحَشۡرِۚ مَا ظَنَنتُمۡ أَن يَخۡرُجُواْۖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمۡ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنۡ حَيۡثُ لَمۡ يَحۡتَسِبُواْۖ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعۡبَ يُخۡرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيۡدِيهِمۡ وَأَيۡدِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴿٢﴾ ﴾ (الحشر:2) في الآية المباركة تقدم الخبر (مانعتهم) على المبتدأ (حصونهم) وهذا التقديم جاء لفائدة ، وهي التخصيص ولأن السياق في هذه الآية المباركة هو سياق تخصيص للحصون التي كان يتخذها اليهود ، والتي كان اليهود يظن أنها من أسباب الأمان ، ولفرط وثوقهم بهذه الحصون أصيبوا بهذه العزة والقوة، ولشدة هذه الثقة واليقين بمنعة هذه الحصون جاء التقديم للمنع على الحصون.

وفي قوله تعالى:﴿ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ ﴿١٠﴾ ﴾(الحديد: 10) يتقدم الخبر شبه الجملة لفظ الجلالة (لله) على المبتدأ (ميراث) وفي هذا التقديم فائدة وهي الحصر " وتقديم الجار والمجرور يفيد الحصر ، أي إليه وحده يؤول ميراث السماوات والأرض لا إلى غيره ولا إلى شريك معه"[2] ولا يمكن أن نكتفي بالقول إن هذا التقديم أو ذاك جاء من أجل العناية أو الاهتمام أو

(1) الجرجاني، دلائل الاعجاز، ص106.
(2) السامرائي، فاضل صالح، على طريق التفسير البياني، جامعة الشارقة، الإمارات، دط، 2002، ج1 ،ص252.

الحصر أو غير ذلك من الأسباب، بل إن هناك أسباب سياقية وجمالية ودلالية أدت إلى هذا التقديم، حتى إن عبد القاهر الجرجاني تنبه إلى هذا الأمر فقال " وقع في ظنون الناس إنه يكفي أن يُقال: إنه قُدِّم للعناية؛ ولأن ذكره أهم من عدم الذكر، من أين كانت تلك العناية ؟ ولمَ كان أهم ؟ ولتخيلهم ذلك ، قد صغر أمر (التقديم والتأخير) في نفوسهم، وهونوا الخَطبَ فيه، حتى إنك لترى أكثرهم يرى تتبعه والنظر فيه ضرباً من التكلف"[1] فالتماسك الذي يحدثه هذا التقديم هو أحد الأسباب التي من أجلها قُدمت هذه اللفظة أو تلك إضافة إلى الحفاظ على نسق بعض الآيات.

وكما كان الأصل في المبتدأ أن يتقدم على الخبر، كذلك الأصل في الجملة العربية أن يتقدم الفعل والفاعل على المفعول به، لكن هذا الأصل ليس ثابتاً في اللغة العربية ف" الجملة العربية لا تتميز بحتمية في ترتيب أجزائها "[2] وفي تقديم المفعول به يقول سيبويه " وهو عربي جيد كثير، كأنهم إنما يقدّمون الذي بيانه أهم لهم وهم ببيانه أعنى، وإن كانا جميعاً يُهمّانهم ويعنيانهم"[3] ومن مظاهر تقديم المفعول به في السور المسبِّحات قوله تعالى:﴿ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمٗاۖ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٞ شَدِيدٞ وَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٞۚ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ﴿٢٠﴾ ﴾ (الحديد: 20) في هذه الآية المباركة تقدم المفعول به (الكفار) على الفاعل (نباته)، وذلك لأن سياق الآية أراد بيان مدى إعجاب الكفار بزينة هذه الحياة، وهو أيضاً تخصيص للكفار بهذا الإعجاب ، ولو كان سياق الآية دون تقديم لكان احتمال أن يدخل المؤمنين في الحكم ، لكن التقديم أبعدهم عن ذلك، وتقدم المفعول به على الفاعل أيضاً في قوله تعالى:﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ﴿٧٩﴾ ﴾ (الإسراء:79) ففي هذه الآية المباركة تقدم

(1) الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص108.
(2) عبد المطلب، محمد، البلاغة والأسلوبية، مكتبة لبنان، بيروت، ط1، 1994، ص329.
(3) سيبويه، الكتاب، ج1، ص34.

المفعول به، وهو الضمير المتصل (الكاف) في قوله (يبعثك) على الفاعل (ربك)، فسياق الكلام كان يدور حول الرسول الكريم محمد (صلى الله عليه وسلم) لأنه هو المقصود بالخطاب، لذلك قُدِّم المفعول به (الكاف) الذي يعود على شخص الرسول الأكرم(صلى الله عليه وسلم)، وهو سياق تشريف وتكريم " لهذا أعقب بوعد أن يبعثه الله مقاماً محموداً "[1].

ومن أشكال التقديم في السور المسبِّحات تقديم شبه الجملة (الجار والمجرور) على الفاعل، ففي قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ (الحديد: 16) تقدم الجار والمجرور (عليهم) على الفاعل (الأمد)، ولو جاء السياق (طال الأمد عليهم) لكانت الفترة أقل خصوصاً أن الأمد " هو الوقت الطويل"[2] وكأن السياق في هذا التقديم كان لإطالة الزمن زمن أعمارهم وربما هو " إشارة إلى الفاصلة الزمنية بينهم وبين أنبيائهم، ويحتمل أن يكون المقصود بها طول العمر أو طول الأماني، أو عدم نزول العذاب الإلهي منذ مدة طويلة، أو كل ذلك"[3] وقد يتوسط الجار والمجرور بين الفعل والفاعل كما في قوله تعالى:﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾ ﴾ (الإسراء:101) فقد تقدم الجار والمجرور (له) على الفاعل (فرعون) وذلك لأن سياق الكلام هو تخصيص موسى عليه السلام بالخطاب ويمكن، أن يكون سياق الآية هو تكريم لسيدنا موسى عليه السلام وتشريف وتفضيل له على فرعون، ويمكن أن نستدل على هذا التكريم من بداية الآية، والتي تتمثل بقوله تعالى :(وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ).

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير،ج5، ص 185.
(2) البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد، عبد الله بن عمر، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق: محمد صبحي و محمود الأطرش، ط1 ، 2000، ج27، ص374.
(3) الشيرازي، الأمثل، ج18، ص31–32.

وما زلنا في موضوع التقديم والتأخير ، فقد تتقدم لفظة دون أخرى وذلك لدواعٍ سياقية،ففي السور المسبِّحات نماذج كثيرة لهذه النوع من التقديم ، ففي قوله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِن تَعْفُواْ وَتَصْفَحُواْ وَتَغْفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ ﴾ (التغابن: 14) فقد تقدمت لفظة (أزواجكم) على لفظة (أولادكم)، لأن سياق الآية يريد التنبيه إلى أن " العداوة في الأزواج أكثر منها في الأولاد "[1] بينما تقدمت لفظة (الأموال) على لفظة (الأولاد) في قوله تعالى:﴿ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ ﴾ (التغابن: 15). والسبب في هذا التقديم هو سياق الآية المباركة الذي يبين أن فتنة الأموال هي أخطر من فتنة الأولاد ، بل" لأن الأموال أكثر فتنة من الأولاد"[2] وقد يكون التقديم على نمط مختلف مما ذكر الباحث في الآيات السابقة، فقد يكون تقديم لفظة في آية وتأخيرها في آية أُخرى كما في قوله تعالى:﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾ ﴾ (الإسراء: 31) وقوله تعالى:﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ ﴿١٥١﴾ ﴾ (الأنعام: 151) فقد قدم في سورة الأنعام رزق الآباء ، على رزق الأبناء بينما في سورة الإسراء فقد قدم رزق الأبناء على رزق الآباء ، وذلك لأن سياق الآية الأولى يتحدث عن قتل الأولاد بسبب خشية الفقر ، بينما سياق الآية الثانية يتحدث عن قتل الأولاد بسبب الفقر نفسه لا خشية منه ، فالفقر في الآية الثانية متحقق قبل القتل.

ثالثاً : أثر القرينة السياقية في دلالة التكرار

جاء في لسان العرب أن الكر" الرجوع. والكرُّ: مصدر كرّ عليه يكر كرّاً وكرورا وتكراراً، وكر عنه: رجع، وكرر الشيء وكرره: أعاده مرة بعد أُخرى. وكررت عليه الحديث: رددته عليه، والكرُّ الرجوع على الشيء"[3] وجاء في القاموس المحيط " التكرار مأخوذ من كلمة

(1) بدوي، من بلاغة القرآن، ص93.
(2) المرجع السابق، ص93.
(3) ابن منظور، لسان العرب، مادة (كرر).

كرر تكريراً وتكراراً وتَكِرَّة، أعاده مرة بعد أخرى"[1] وقد جاء في تصريف آخر هو التكرير،حيث يقول عنه الرازي " الكر الرجوع، يقال كررت الشيء تكريراً وتكراراً"[2] فالتكرار هو الرجوع والإعادة وهو أيضاً التجديد " وحقيقته إعادة اللفظ أو مرادفه لتقرير معنى؛ خشية تناسي الأول، لطول العهد به"[3].

والتكرار ظاهرة بلاغية معروفة لدى العرب قديماً، وهي من الأساليب البلاغية التي اتخذها القرآن في إيصال تعاليمه وتشريعاته إلى الناس، وقد يكون التكرار في كلمة تعاد أكثر من مرة داخل النص، ويمكن أن يكون التكرار في جملة واحدة، لكن هذا التكرار يجب أن يكون ضمن سياقات محددة، فإذا اختلف السياق وتغير الموضوع فلا تكرار حينئذ، ويعد التكرار " من محاسن الفصاحة "[4] ولما كان التكرار من محاسن الفصاحة ومن الأساليب البلاغية لذا نجد آيات القرآن الكريم تزخر بهذا اللون البلاغي ، فقد تنوع التكرار في القرآن الكريم ومن أشكاله تكرار الصوت وتكرار اللفظة وتكرار الجملة، ويجد الباحث أن ظاهرة التكرار في السور المسبِّحات قد تعددت أشكالها ، فقد تكررت اللفظة المفردة وتكررت التراكيب، بل إن الأصوات الواحدة قد تكررت في الآية الواحدة، وكل هذا التكرار جاء في سياق انسجام المفردة أو الجملة أو الصوت بالمعنى، وسيتناول البحث بعضاً من مظاهر التكرار في السور المسبِّحات لنبين أثر القرينة السياقية بالألفاظ المكررة.

أولاً : تكرار الصوت في الآية الواحدة

تنسجم أصوات اللغة العربية مع بعضها انسجاماً معبراً وذلك لأن هذه الأصوات لها جرسٌ خاصٌّ، فكل صوت يمتلك جرساً يختلف، أو ربما يقترب من جرس الصوت الآخر، وهذه

---

(1) الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط4، 1994، مادة (كرر).

(2) الرازي، مختار الصحاح ، مادة :(كرر).

(3) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج3، ص10.

(4) السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج5، ص1648.

الأصوات تكون منسجمة مع بعضها بعضاً في النصوص القرآنية، وهذا ما يطلق عليه تلاؤم النسيج الصوتي في القرآن " هو تساوق هذه الحروف على أصول مضبوطة من بلاغة النغم؛ بالهمس، والجهر، والقلقلة، والصفير، والمد، والغنة، ونحوها"[1] وهذا النوع من التكرار يكون أكثر أثراً لانتشاره في وحدات السياق، فمثلاً صوت النون هو صوت ذلقي لثوي أسناني أنفي" مجهور متوسط بين الشدة والرخاوة ففي النطق به يندفع الهواء من الرئتين محركاً الوترين الصوتيين"[2] وبهذا الوصف يعد (النون) " وحدة صوتية لها وظيفة مستقلة في البناء الصوتي للكلمة، ولكن هذه النون من أكثر الأصوات العربية الصامتة قابلة للتغير في الأداء النطقي الفعلي، إن سماتها الأصلية قد يشوبها شيء من التغيير بحسب السياق الذي تقع فيه، فتظهر لها صور فرعية أو تنوعات مختلفة "[3] ومن سهولة ووضوح هذا الصوت في النطق والسمع فقد كثر في كلمات اللغة العربية، ويمكن أن يجد الباحث هذه الكثرة في تكرار استعمال حرف (النون) في قوله تعالى:﴿ لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَـٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٢﴾ ﴾(الحشر: 12) في الآية المباركة تكرر صوت (النون) إحدى عشرة مرة، وهذا التكرار يضفي جواً في وضوح دلالة ألفاظ الآية المباركة، ولأن السياق في الآية هو سياق تنبيه إلى خطر المنافقين وفضحهم أمام المؤمنين وبيان صفاتهم، فكان لتكرار حرف (النون) أثر في وضوح ما سمعه المؤمنون وانتباههم للكلام الذي قيل.

ومن الأصوات التي تكررت في السور المسبِّحات صوت (السين، الزاي، الصاد) وهي الأصوات التي يسمونها أصوات الصفير، أو الأصوات الأسلية، وسبب تسميتها بأصوات الصفير " لأن مجرى هذه الأصوات يضيق جداً عند مخرجها فتحدث عند النطق صفيراً عالياً لا

(1) عمر، أحمد مختار، لغة القرآن، دراسة توثيقية فنية، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، الكويت، ط2، 1997، ص130.
(2) أنيس، إبراهيم، الأصوات اللغوية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط4، 2013، ص58.
(3) بشر كمال، علم الأصوات، دار غريب، القاهرة، دط، 2000، ص 349.

يشركها في نسبة علو هذا الصفير غيرها من الأصوات "[1] وتختلف هذه الأصوات في الجهر والهمس فصوت (السين) " صوت رخو مهموس، يختلف بعض الاختلاف في مخرجه باختلاف اللهجات العربية، بل باختلاف الأفراد أحياناً ... والزاي صوت رخو مجهور يناظر صوت السين، فلا فرق بين الزاي والسين إلا أن الزاي صوت مجهور نظيره المهموس هو السين ... والصاد صوت رخو مهموس، يشبه السين في كل شيء سوى أن الصاد أحد أصوات الإطباق"[2] ففي قوله تعالى :﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ (الحشر:19) تكرر صوت السين في الآية المباركة أربع مرات وكان سياق الآية سياق توبيخ وقسوة فلهذا استخدم صوت (السين) " وهو بذلك تعبير عن الشدة ... مما يشكل نغماً صارماً في الصوت، وأزيزاً مشدداً لدى السمع "[3] وقد تكرر صوت (الميم) في قوله تعالى:﴿ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿١٤﴾ ﴾ (الحديد: 14) والميم " صوت مجهور لا هو بالشديد ولا الرخو؛ بل مما يسمى بالأصوات المتوسطة، ويتكون هذا الصوت بأن يمر الهواء بالحنجرة أولاً ، فيتذبذب الوتران الصوتيان ... ولقلة ما يسمع للميم من حفيف اعتبرت في درجة وسطى بين الشدة والرخاوة "[4] فتكرار صوت (الميم) وما يحدثه من إيقاع شديد في إغلاق الشفتين وشد عضلات الفم يوحي بأن سياق الآية هو سياق احتقار للمنافقين ووضع السور بين المؤمنين والمنافقين دليل على هذا الاحتقار.

---

(1) أنيس، إبراهيم، الأصوات اللغوية، ص66.

(2) المرجع السابق، ص67–69.

(3) الصغير، محمد حسين علي، الصوت اللغوي في القرآن، دار المؤرخ العربي، بيروت، لبنان، ط1، 2000، ص179.

(4) أنيس إبراهيم، الأصوات اللغوية، ص48.

ثانياً: تكرار اللفظة المفردة

تتكرر الكلمة الواحدة في النص القرآني ويكون تكرارها بنفس المعنى، وقد يختلف المعنى، ولا يوجد تكرار في المعنى دون اللفظ[1]، ويمكن أن يراد بهذا التكرار التركيز على مفردة معينة، وذلك من خلال إعادتها في سياق الجملة حاملاً بذلك معاني يقصدها المتكلم في تكراره، والقرينة السياقية للتكرار في السور المسبِّحات تظهر وظيفتها بإيجاد نوع من الربط يقوم على أساس التشابه والتماثل بين اللفظتين المتشابهتين أو المكررتين.

قال تعالى:﴿ وَبِٱلۡحَقِّ أَنزَلۡنَٰهُ وَبِٱلۡحَقِّ نَزَلَۗ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ١٠٥ ﴾ (الإسراء: 105) في الآية المباركة تكرر لفظ (أنزل) و (نزل) وهو تكرار لصيغتي الفعل الماضي، ولأن سياق الجملة الأولى (بالحق أنزلناه) يختلف عن سياق الجملة الثانية (بالحق نزل) " ذكر فعل النزول مرتين ، وذكر له في كل مرة متعلق متماثل اللفظ لكنه مختلف المعنى "[2] فسياق الجملة الأولى هو تقدير الله سبحانه وتعالى لنزول القرآن بالحق، بينما سياق الجملة الثانية هو تحقق أمر نزول القرآن " لذا فإن التعبير الأول يشير إلى التقدير، بينما يشير الثاني إلى مرحلة الفعل والتحقق "[3]

قال تعالى: ﴿ وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ لِمَ تُؤۡذُونَنِي وَقَد تَّعۡلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡۖ فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ٥ ﴾ (الصف: 5).

تكررت في الآية المباركة لفظة (قوم) ثلاث مرات، وهذا التكرار يبرز الاهتمام بالمنادى بل هو تخصيص له فأسلوب النداء جاء في سياق رحمة وشفقة على قومه عسى أن يهديهم، وقد يكون " تعريض بأن شأن (قوم) الرسول أن يطيعوه بَلْهَ ألا يؤذوه، ففي النداء بوصف (قوم)

(1) انظر، ابن الأثير، ضياء الدين، نصر الله بن محمد، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق : أحمد الحوفي و بدوي طبانه، دار نهضة مصر، القاهرة، دط ، دت، ج3، ص3.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج15، ص229.
(3) الشيرازي، الأمثل، ج7، ص430، وانظر: سيد قطب، في ظلال القرآن، ج15، ص2253.

تمهيداً للإنكار في قوله (لم تؤذونني) "[1] فالتكرار الحاصل في لفظة (قوم) في الآية المباركة سياقه توجيه ودعوة لقوم سيدنا موسى عليه السلام أن يتجنبوا إيذاء الرسول بالقول والفعل، ويتجنبوا ماهم عليه من الزيغ والضلال. ولم يكن التكرار بلفظة (قوم) فقط بل عمدت الآية إلى زيادة وتكثيف التكرار فكررت لفظة (زاغ) حيث تكررت مرتين (زاغوا، أزاغ) والزيغ : "الميل عن الاستقامة والانحراف عن جهة الصواب والتزايغ التمايل "[2] وبتكرار لفظة (زاغ) يتشكل وصفاً دقيقاً للحدث ولحالة اليهود النفسية وسلوكهم المنحرف، فالتكرار سياق يثير السامع، بل يشد انتباهه للألفاظ المكررة.

ومن النصوص المكررة في السور المسبِّحات قوله تعالى :﴿ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِۚ وَهُوَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ٦ ﴾ (الحديد: 6) فقد تكرر الفعل المضارع (يولج) مرتين وكان بالإمكان الاستغناء عن الثاني بدلالة الأول عليه، لكن السياق سياق تنبيه وتأكيد على ظاهرة علمية دقيقة وهي ظاهرة التداخل بين الليل والنهار، وفضلاً على هذا التنبيه والتأكيد فإن التكرار في الآية المباركة أعطى فائدة أخرى؛ ألا وهي التأمل والتفكر في قدرة الله التي لاحدود لها والتفكر في هذا العالم العجيب، وما يصاحبه من إدخال الليل في النهار والنهار في الليل،بحيث إذا طال النهار قصر الليل وإذا قصر النهار طال الليل وقد تتساوى ساعاتهما وهذا كله في نظام إلهي دقيق ليس فيه خلل.

ومن تكرار فعل الأمر في السور المسبِّحات قوله تعالى :﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۚ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ١٢ ﴾ (التغابن:12) فقد تكرر فعل الأمر(أطيعوا)

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج28، ص178.
(2) المناوي، التوقيف على مهمات التعاريف، ص130.

مرتين وفائدة هذا التكرار" للتأكيد والإيذان بالفرق بين الطاعتين في الكيفية "[1] وقد كرر لفظ (الطاعة) لأن السياق يقتضي طاعة الله وطاعة الرسول و " لا يخفى أن طاعة الرسول فرع من إطاعة الله تعالى ، وطاعة الرسول تقع في طول طاعة الله، فهما في خط واحد، وهذا ما جعله يكرر كلمة إطاعة "[2].

ثالثاً :التكرار التركيبي

استخدم القرآن الكريم أسلوب التكرار ، حيث يعد التكرار من الظواهر التقنية الخطابية التي من خلالها يمكن الوصول وبسهولة إلى عقل السامع أو المخاطَب بل وحتى قلبه، ويعد التكرار من أساليب التوكيد المستخدمة في القرآن، وقد وجد الباحث هذا الأسلوب يتكرر في السور المسبِّحات وهو على نوعين: نوع يكون بتكرار التركيب داخل السورة الواحدة ، والنوع الآخر يجده الباحث في سور متعددة ، فمن النوع الأول قوله تعالى:﴿ قُلْ ءَامِنُواْ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓاْ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ ﴾ (الإسراء: 107) وقوله تعالى: ﴿ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴿١٠٩﴾ ﴾ (الإسراء: 109) تكرر تركيب (يخرون للأذقان) في السورة نفسها لكن في آيتين مختلفتين وتكرار هذه الكلمات " تجعل المعنى مصوراً تكاد تراه بعينك، وتلمسه بيدك "[3] وقد جاء التكرار في سياقين مختلفين ، لهذا تكرر التركيب والسبب في التكرار " لاختلاف الحالين ؛ وهما خرورهم في حال كونهم ساجدين ، وخرورهم في حال كونهم باكين "[4].

(1) أبو السعود، بن محمد العمادي، الحنفي، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، مكتبة الرياض الحديثة ، الرياض، دط، دت، ج5، ص340.
(2) الشيرازي، الأمثل، ج18، ص246.
(3) بدوي، أحمد، من بلاغة القرآن، ص57.
(4) الزمخشري، الكشاف، ج3، ص 560.

قال تعالى :﴿ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾ ﴾ (الحديد: 2) وقوله تعالى: ﴿ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥﴾ ﴾(الحديد: 5) تكررت الجملة الاسمية (له ملك السماوات والأرض) في سورة الحديد وفي آيتين مختلفتين وفي هذا التكرار وظيفة سياقية متميزة فالتركيب في الآية الأولى يختلف سياقه عن التركيب المذكور في الآية الثانية حيث كان " ذكره في أول السورة مبنياً على التصرف في الموجودات القابلة للحياة والموت في الدنيا، وكان ذكره هنا مبنياً عليه أمور الموجودات كلها ترجع إلى تصرفه "[1] ويمكن القول عن هذا التكرار أنه جاء في الموضع المناسب لذلك " يحسن استعماله في الأمور المهمة التي قد تعظم العناية بها "[2] وقد استخدم لفظ (السماوات) بصيغة الجمع ، بينما استخدم لفظ (الأرض) بصيغة المفرد ، وذلك لأن المقام هو مقام تعظيم، وجملة (إلى الله ترجع الأمور) تعني الهيمنة الكاملة على جميع الأمور، أي "إليه تعالى وحده لا إلى غيره سبحانه استقلالاً أو اشتراكاً ترجع جميع الأمور أعراضها وجواهرها "[3] ولقد كان في إظهار لفظ الجلالة معنى لطيف ودلالة " لتكون الجملة مستقلة بما دلت عليه فتكون كالمثل صالحة للتسيير"[4] وجمع كلمة الأمور هنا جاءت لتبين أن كل الموجودات بما فيها الإنسان تتحرك بقدرة الله سبحانه وتعالى.

ومنه قوله تعالى:﴿ وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾ ﴾ (الإسراء: 49) فقد تكرر هذا القول في السورة نفسها، حيث قال سبحانه وتعالى:﴿ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾ ﴾ (الإسراء: 98) اختلف موضع الآيتين،ففي الآية الأولى كان كلامهم في الدنيا، وهذا ما يؤكده السياق الذي جاءت فيه، بينما جاءت الثانية

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج27، ص365.
(2) الرماني، والخطابي، وعبد القاهر الجرجاني، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق: محمد خلف الله، و محمد زغلول، دار المعارف، مصر، ط3، دت، ص52.
(3) الألوسي، روح المعاني،ج27، ص168.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج27، ص366.

تتكلم بعد يوم البعث والنشور، وذلك لأن السياق الذي جاءت فيه يبين عقوبة وجزاء من أنكر يوم الحساب" هذا الذي وصفنا من فعلنا يوم القيامة بهؤلاء المشركين، ما ذكرت أنا نفعل بهم من حشرهم على وجوههم عمياً وبكماً وصماً، وإصلائناهم النار"[1] وقال الكرماني: (رحمه الله) في تكرار هذين الآيتين فقال " الأول من كلامهم في الدنيا، حين جادلوا الرسول (صلى الله عليه وسلم) وأنكروا البعث، والثاني من كلام الله تعالى، حين جازاهم على كفرهم، وقولهم وإنكارهم البعث "[2].

وقد يتكرر التركيب في الآية الواحدة كما في قوله تعالى :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨ ﴾(الحشر:18) فقد تكرر قوله تعالى (اتقوا الله) مرتين في نفس الآية " وذلك لتثبيت المكرر في النفس"[3] أو أنه " كرر الأمر بالتقوى تأكيداً"[4] وهذا يعني أن سياق الآية هو سياق تأكيد وتثبيت للألفاظ المكررة في نفس المخاطَب، ويمكن أن يكون السياق في الآية المباركة هو سياق وعيد إذا لم يتقوا الله ولم يتركوا المعاصي.

وهناك تكرار تركيبي في سور متعددة ، حيث نجد أن تراكيبَ معينة تتكرر في السور المسبِّحات، ومع سور أخرى من القرآن الكريم ، وبحسب السياق الذي وردت فيه، ففي قوله تعالى: ﴿ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ٩ ﴾(التغابن9).

---

(1) الطبري، أبو جعفر، محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، المعروف بتفسير الطبري، تحقيق :عبدالله بن عبد المحسن التركي، مركز البحوث والدراسات العربية الاسلامية، بدار هجر ، القاهرة ، ط1 ، 2001، ج15، ص96-97.

(2) الكرماني، محمود بن حمزة، أسرار التكرار في القرآن، المسمى: البرهان في توجيه متشابه القرآن، تحقيق : عبد القادر أحمد عطا، دار الفضيلة، دط ، دت، ج2، ص66.

(3) بدوي، أحمد، من بلاغة القرآن، ص120.

(4) الزمخشري، الكشاف، ج6، ص84.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا ﴿١١﴾ ﴾ (الطلاق: 11) تكرر قوله تعالى :(ومن يؤمن بالله ويعمل صالحاً) في السورتين السابقتين لكن في سورة (التغابن) زاد جملة (ويكفر عن سيئاته)، ولم يذكرها في سورة (الطلاق) فقد اختلف سياق الآيتين لأن " آية التغابن خطاب للكافرين وقد دعاهم للإيمان ... أما آية الطلاق فهي خطاب للمؤمنين، وقد دعاهم إلى التقوى"[1] ففي سورة (التغابن) تقدم الحديث عن الكافرين وإنكارهم أن يكون الرسول بشراً مثلهم، وزعمهم بعدم بعثهم " فهذه سيئات تحتاج إلى تكفير إذا آمن بالله بعدها "[2] لذا جيء بجملة (ويكفر عن سيئاته) بينما في سورة (الطلاق) لم يتقدم الحديث عن الكفار أو عن سيئاتهم " فكان ذكر تكفير السيئات مع الكافرين الذين هم في معصية مستديمة وسيئاتهم غير منقطعة أولى من ذكرها مع المؤمنين"[3].

ومن تكرار الجمل المتباعدة في أكثر من سورة أن يكون التكرار بالمعنى مع اختلاف يسير في اللفظ، لكن هذا الاختلاف وهذا التكرار له دلالاته البلاغية وأسبابه السياقية، فقد تتكرر لفظة في أكثر من موضع من القرآن " إذا أورد الحكيم – تقدست أسماؤه – آية على لفظة مخصوصة ثم أعادها في موضع آخر من القرآن، وقد غير فيها لفظة عما كانت عليه في الأولى، فلا بد من حكمة هناك تطلب، وإن أدركتموها فقد ظفرتم، وإن لم تدركوها فليس لأنه لا حكمة هناك، بل جهلتم"[4] ومن هذا اللون من التكرار ما ورد في قوله تعالى :﴿ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ﴾(آل عمران:133) وقوله

(1) السامرائي، فاضل صالح، التعبير القرآني، ص108.
(2) الطيب الإسكافي، محمد بن عبد الله، درة التنزيل وغرة التأويل ، دراسة وتحقيق : محمد مصطفى آيدين ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، ط1 ، 2001 ، ج3، ص299.
(3) السامرائي، فاضل صالح، التعبير القرآني، ص108.
(4) الطيب الإسكافي، درة التنزيل وغرة التأويل، ج1، ص250–251.

تعالى : ﴿ سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٢١﴾ ﴾ (الحديد: 21).

اختلف لفظ الأمر في الآيتين السابقتين ، فقال سبحانه وتعالى في سورة آل عمران (سارعوا) بينما في سورة الحديد (سابقوا) وكان للسياق أثر كبير في توجيه هذا التكرار لأنه " لما ذكر الجنة بأوسع صفة لها ، وذكر كثرة الخلق الداخلين فيها ، وذكر فضله العظيم على عباده قال: (سابقوا) وفي الآية الأخرى قال: (سارعوا) وذلك لكثرة الخلق المتوجهين إلى مكان ما تستدعي المسابقة إليه لا مجرد المسارعة "[1] وقد ذكر لفظ (السماوات) في سورة آل عمران حيث ذكر معها (أعدت للمتقين)، بينما في سورة الحديد ذكر لفظ (السماء) وذكر معها (أعدت للذين آمنوا) ولأن المتقين أقل عدداً من المؤمنين كان مناسبة هذا القول لدلالة السياق لفظ (السماء) يقابل المؤمنين لأن لفظ (السماء) أكبر من لفظ السماوات، وما هذا التناسب في الألفاظ إلا دلالة وحكمة يقتضيها النص" فانظر كيف ذكر في آية الحديد (المسابقة) وهي تشمل المسارعة وزيادة، وذكر (السماء) وهي تشمل السماوات وزيادة، وذكر المؤمنين بالله ورسله وهم يشملون المتقين وزيادة، وزاد فيها ذكر الفضل على المغفرة والجنة، فجعل في كل موضع ما يناسبه من الألفاظ فجلت حكمة الله "[2].

(1) السامرائي، فاضل صالح، التعبير القرآني، ص44.
(2) المرجع السابق، ص44.

الخاتمة

بعد رحلة في رحاب سور من القرآن الكريم، ألا وهي السور المسبِّحات للكشف عن الأبعاد التداولية في هذه السور، إذ تمثلت هذه الأبعاد بالأفعال الكلامية وأقسامها ، وطريقة عرضها ومدى تأثيرها في تحقيق التبليغ والإقناع والحوار والحجاج والاستلزام الحواري والقرينة السياقية، فقد تبين من هذه الأبعاد وغيرها من القضايا العديد من وجوه الإعجاز القرآني.

سعى البحث، بتحليلٍ تداولي إلى توضيح مفهوم التداول من ناحية المفهوم والنشأة والتطور، فوجده في المعاجم العربية حيث ينحصر معناه في التحول والتبدل والانتقال من حال إلى حال، وهذا التداول هو تفاعل يحتاج إلى طرفين أو أكثر، وتتبع البحث ورود جذر(دول) وتمثلاته في القرآن الكريم فوجدها قد ذكرت في سورة البقرة وسورة الحشر وسورة آل عمران، ووجد البحث أيضاً أن معنى التداول تركز على معنى التحول والانتقال والدوران وعدم الاستقرار

وبعد تتبع تعريفات التداولية وجد البحث أنها تجتمع على معنى واحد تقريباً، وهو أن التداولية تعني دراسة اللغة في الاستعمال، أو هي فكرة استعمال اللغة في السياق.

والأرض التي نبتت عليها التداولية هي الفلسفة التحليلية وهي الينبوع المعرفي لأول مفهوم تداولي، وما بين (فريجه وأوستين) تقع أعمال (لودفيغ فيتغنشتاين) التي ستقود إلى نشأة التداولية، فضلاً عن أعمال (فريجه) التي ستؤدي إلى الفصل بين اللغة العملية واللغة العادية، لذا يمكن القول إن (فريجه) هو الذي وضع حجر الأساس للتداولية.

ووظيفة التداولية الإجابة عن أسئلة محورية مثل:

من يتكلم؟

إلى من يوجه الكلام؟

ماذا يريد أن يقول بالضبط عندما يتكلم؟

كيف يتكلم المتكلم بشيء ويريد قول شيء مخالف؟

ما مصدر غموض الكلام، وما مصدر وضوحه؟

ترتبط التداولية بالعلوم الأخرى ارتباطا وثيقاً، فهي أي التداولية ترتبط مع علم النحو،ففي بعض الجمل لا يمكن أن نصل إلى المعنى المراد بمجرد النظرة إلى الدلالة المعجمية، بل لا بد من النظر إلى التفكير التداولي في تحليل تركيب هذه الجملة أو تلك حتى نصل إلى معان واضحة، وأما صلتها بعلم الدلالة فهناك تقارب كبير بين العلمين، ولا يوجد فروق جوهرية بينهما، بل يمكن القول إن التداولية ابتدأت من حيث انتهت الدلالة، أما عن علاقة التداولية بالأسلوبية فتتلخص بأن الأسلوبية تركز على لغة النص ومواطن الجمال فيه، من غير النظر إلى كل مؤثر خارجي على النص، بينما تدرس التداولية اللغة أثناء الاستعمال فهي تدرس النص والخطاب في علاقته بالسياق الخارجي، ووجد البحث أيضاً أن ثمة تداخلاً وتقابلاً بين النحو الوظيفي والتداولية، بل أكثر من ذلك، ففي كثير من الأحيان يطلق على النحو الوظيفي بالتداولية.

وتوصل البحث إلى أن العرب قد عرفوا ممارسة على نحوٍ ما للنظرية التداولية مما مرَّ عند النحاة والبلاغيين من ممارسات تداولية، وما تقسيم سيبويه للكلام من حيث كونه مستقيماً حسناً، ومحالاً، ومستقيماً كذباً وقبيحاً، ومحالاً كذباً، وتعليله للحذف في كثير من المواضع بكثرة الاستعمال إلا دليل على اهتمام سيبويه، ومن جاء بعده من النحاة بالسياق الخارجي وتأثيراته في فهم النصوص، وهذا هو مفهوم التداولية.

وعند النظر في المقولات القديمة مثل (لكل مقام مقال) أو (مطابقة الكلام لمقتضى الحال) نجد أن البلاغيين العرب ومنذ القدم قد عرفوا ظاهرتي السياق والمقام

حملت فواتح السور المسبِّحات معاني عديدة ، لكن المعنى الأقرب هو التنزيه، تنزيه الله عن أي نقص أو عيب، أما السور المسبِّحات فهي سبعة سور، هي: (الإسراء، والحديد، والحشر، والصف، والجمعة، والتغابن، والأعلى) وقد وجد البحث تناسباً بين فواتح السور المسبِّحات وخواتيمها.

تبين أن نظرية الأفعال الكلامية الحديثة التي نواتها الأولى علماء الفلسفة التحليلية أمثال فتجنشتاين، وأوستين، وسيرل، تتعالق مع ما ابتدأ به علماء النحو والبلاغة القدماء.

أما الأفعال الكلامية غير المباشرة فقد كثر استعمالها في السور المسبِّحات ويمكن عدها الأكثر استعمالاً في هذه السور، وهذا دليل على البعد التداولي الذي يحمله كل من المرسِل والمتلقي في فهم معنى النص وتأويله.

اعتمد البحث تقسيم (أوستين) و (سيرل) للأفعال الكلامية إلى خمسة أصناف هي : الإخباريات، والتوجيهات، والوعديات، والتعبيريات، والإيقاعيات، وكانت الأفعال الكلامية الإخبارية دالة على قوة إنجازية مباشرة وأخرى غير مباشرة تمثلت القوة الإنجازية المباشرة بالوصف والإخبار والتقرير، بينما تمثلت القوة الإنجازية غير المباشرة بالنفي والتأكيد والمدح والذم والتحقير والدعاء والنهي والأمر والترغيب والترهيب .

أما التوجيهيات التي تسمى أيضاً (الأمريات) أو (الطلبيات)، فتمثلت بالأمر، والنهي، والاستفهام، والنداء.

أما الوعديات فتمثلت: بالوعد، والوعيد، والتهديد.

أما التعبيريات فتمثلت: بالامتنان، والاعتذار، والمدح، والذم، والغضب، والتوبيخ، والمواساة.

ولقد تنوعت الأفعال الكلامية في السور المسبحات، وكانت المرتبة الأولى من حصة الإخباريات، بينما جاءت في المرتبة الثانية الأفعال التوجيهية.

وحاول الباحث أن يكشف عن بعد تداولي آخر في السور المسبحات، وهو الحوار الحجاجي لما يمتلكه الحوار من أهمية كبيرة فهو وسيلة من وسائل التبليغ والإقناع وهدفه الوصول إلى الحقيقة.

وقد اتسم في هذه السور في تأثيره بالعقل بالأدلة والحجج الدامغة التي يستخدمها المحاورون، واتسم الحوار في السور المسبِّحات – إضافة لغرضه البلاغي– بأن له أهدافاً أخرى منها الهدف الديني التوجيهي الذي يريد تغيير الحياة التي كان يعيشها الناس في ذلك الزمان التي تتصف بالجهل والظلال، وقد اتخذ الحوار في هذه السور أشكالا متنوعة فمنها ما قام على الجدل ومنها ما قام على تقديم الأدلة والبراهين، ومنها ما قام على الاحتجاج في إقناع المخاطب بالفكرة المطروحة بتقديم الحجج القوية التي بدورها تجعل من المخاطب قليل الحجة، أو لا حجة له، فالحوار لا يمكن أن يستغني عن الحجاج؛ لأن الحجاج يعدّ حواراً وتفاعلاً، وتعددت أطراف الحوار في السور المسبحات، فمنها ما كان خطاباً حوارياً من الله موجهاً للرسول (صلى الله عليه وسلم)، ومنها ما كان بين الكافرين والرسل، وخطاب الله سبحانه وتعالى إلى إبليس، وجواب إبليس لله عز وجل، وحوار فرعون مع موسى (عليه السلام)، وحوار المنافقين مع المؤمنين يوم القيامة، وغيرها من الحوار، وكل هذه الحوارات اعتمدت العوامل الحجاجية التي من شأنها أن تؤثر بالطرف الآخر من الحوار، فالتوكيد، والمثل، وحروف الشرط، والتشبيه،

وغيرها من الأساليب الحجاجية التي استخدمت في الحوار في هذه السور والتي كان لهـــا الأثـــر الأكبر في الإقناع والتأثير.

دارت معاني السياق في محورين اثنين كان الأول منهما يدور حول ما يقـــصده المـــتكلم في حديثه، أما الثاني فهو التتابع والتواصل في الكلام والتراكيب والنظم، وتعددت أنواع الـــسياق في السور المسبحات، فمنها ما كان داخلياً ومنها ما كان خارجياً، وقد كان للقرينة السياقية أثـــر واضح في تحديد دلالة اللفظ، وفي توجيه دلالة العلاقات التركيبية، وفي دلالة تكـــرار الـــصوت واللفظة والجملة.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

آن روبول، جاك موشلا، **التداولية اليوم، علم جديد في التواصل**، ترجمة: سيف الدين دغفوس ، محمد الشيباني، دار الطليعة للطباعة للنشر، بيروت، لبنان ، ط1، 2003.

ابن الأثير، ضياء الدين، نصر الله بن محمد، **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**، تحقيق: أحمد الحوفي و بدوي طبانة، دار نهضة مصر، القاهرة، د ط، د ت .

الأزهري، أبو منصور، محمد بن أحمد، **تهذيب اللغة**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 2001.

الأستراباذي، رضي الدين، محمد بن الحسن، **شرح شافية ابن الحاجب**، تحقيق: محمد نور الحسن، محمد الزَّفراف، محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، لبنان بيروت، د ط، 1982.

الألوسي، شهاب الدين، السيد محمود، **روح المعاني ، في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، دار إحياء التراث العربي، بيروت ، لبنان، ط1 ، دت.

أنيس، إبراهيم، **الأصوات اللغوية**، مكتبة الأنجلوالمصرية، القاهرة، مصر، ط4، 2013.

أولمان، ستيفن، **دور الكلمة في اللغة**، ترجمة: كمال بشر، مكتبة الشباب.

بدوي، أحمد أحمد، **من بلاغة القرآن**، نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، د ط ، 2005.

بشار بن برد، **الديوان**، تحقيق: محمد الطاهر بن عاشور، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1996.

بشر، كمال، **علم الأصوات**، دار غريب، القاهرة، د ط، 2000.

البقاعي، برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط3، 2006.

أبو بكر العزاوي، **الحجاج في اللغة**، بحث منشور ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته، إشراف: حافظ إسماعيل علوي، عالم الكتب الحديث، إربد، 2010م .

بلانشيه، فيليب، **التداولية من أوستين إلى غوفمان**، ترجمة صابر الحباشة، دار الحوار، سوريا، ط1، 2007 .

البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد، عبد الله بن عمر، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، تحقيق : محمد صبحي و محمود الأطرش، ط1، 2000.

تودوروف وآخرون ، **في أصول الخطاب النقدي الجديد**، ترجمة : أحمد المديني، عيون المقالات، الدار البيضاء – دار شؤون الثقافة، بغداد ط2، 1989.

الجاحظ، أبو عثمان، عمرو بن بحر، **البيان والتبيين**، تحقيق : عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط7، 1998.

جاك موشلر، آن روبول، **القاموس الموسوعي للتداولية**، ترجمة : مجموعة من الأساتذة والباحثين، إشراف: عز الدين المجدوب، دار سيناترا، تونس، 2010.

الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد، **دلائل الإعجاز**، مكتبة المدني، القاهرة، ط3 ، 1993.

ابن جني، أبو الفتح عثمان، **الخصائص**، تحقيق محمد علي النجار، دار الهدى للطباعة، بيروت ، ط2، 1952م.

الجوهري، إسماعيل بن حماد، **الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية**، دار العلم، ط1، 1990.

حبلص، محمد يوسف، **أثر الوقف على الدلالة التركيبية**، دار الثقافة العربية، القاهرة، ط1، 1993.

حسان، تمام، **اجتهادات لغوية**، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 2007.

حسان، تمام، **البيان في روائع القرآن، دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني**، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1993.

حسان، تمام، **اللغة العربية معناها ومبناها**، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1994.

حسان، تمام، **مناهج البحث في اللغة**، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 1974.

حسنين، صلاح الدين صالح، **الدلالة والنحو**، مكتبة الآداب، ط1، د ت.

حماسة، محمد، **النحو والدلالة، مدخل لدراسة المعنى النحوي – الدلالي**، دار الشروق، القاهرة، ط1، 2000.

حمدان، محمود موسى، **أدوات التشبيه، دلالاتها واستعمالاتها في القرآن الكريم**، مطبعة الأمانة، مصر، ط1، 1992.

أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف، **تفسير البحر المحيط**، تحقيق: الشيخ: عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ: علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1993م.

الخالدي، كريم حسين ناصح، **الخطاب النفسي في القرآن الكريم**، دراسة دلالية أسلوبية، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، د ط، 2007.

الخطيب القزويني، جلال الدين، محمد بن عبد الرحمن بن عمر بن أحمد بن محمد، **الإيضاح في علوم البلاغة**، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2003.

خليفة (بوجادي)، **في اللسانيات التداولية، مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم**، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1 ،2009 .

الدرويش، محيي الدين، **إعراب القرآن الكريم وبيانه**، مطبعة سليمان زاده، منشورات، كمال الملك ، العراق، النجف ، ط1 ، 1425 هـ .

ديوان لبيد بن ربيعة، دار الكتاب العربي، بيروت، ط 1، 1993.

الرازي، محمد فخر الدين، ابن العلامة ضياء الدين عمر، **تفسير الفخر الرازي، المشتهر : بالتفسير الكبير**، دار الفكر، لبنان، بيروت، ط1، 1981.

الراغب الأصفهاني، **مفردات ألفاظ القرآن**، تحقيق : صفوان عدنان داوود، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت،ط4، 2009.

الرماني، والخطابي، وعبد القاهر الجرجاني، **ثلاث رسائل في إعجاز القرآن**، تحقيق : محمد خلف الله ، و محمد زغلول، دار المعارف، مصر، ط3، د ت.

الريفي، هشام، **الحجاج عند أرسطو**، بحث منشور ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف : حمادي صمود، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، كلية الآداب، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، تونس، 1998.

الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق المرتضى، **تاج العروس من جواهر القاموس**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2007.

الزرقاني، الشيخ، محمد عبد العظيم، **مناهل العرفان في علوم القرآن**، تحقيق: فواز أحمد زمرلي، دار الكتاب العربي، بيروت، 1995.

الزمخشري: جار الله أبو القاسم محمود بن عمر، **أساس البلاغة**، دار صادر، بيروت، ط1، 2009 م.

الزمخشري، جار الله، أبو القاسم محمود بن عمر، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، تحقيق: الشيخ، عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ، علي محمد معوض، مكتبة العبيكان، الرياض، ط1، 1998.

زمزمي، يحيى بن محمد حسن بن أحمد، **الحوار، آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة**، دار التربية والتراث، مكة المكرمة، رمادي للنشر، الدمام، ط1، 1994.

زيدان، محمود فهمي، **في فلسفة اللغة**، دار النهضة العربية، بيروت، د ط، 1985.

السامرائي، فاضل صالح، **التعبير القرآني**، دار عمار، عمان، ط4، 2006.

السامرائي، فاضل صالح، **بلاغة الكلمة في التعبير القرآني**، شركة العاتك لصناعة الكتاب، للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط2، 2006.

السامرائي، فاضل صالح، **على طريق التفسير البياني**، جامعة الشارقة، الإمارات، د ط، 2002.

السخاوي، علي بن محمد، **جمال القراء وكمال الإقراء**، تحقيق علي حسين البواب، مكتبة التراث، مكة المكرمة، ط1، 1987.

السعدني، مصطفى، **إستاطيقيا الإشارة ، دراسة بلاغية سيميوطيقية** ، دار المعارف ، الإسكندرية ، مصر، د ط ، 1994.

السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق ، دار السلام للنشر والتوزيع السعودية، ط2، 2002.

أبو سعود، بن محمد العمادي، الحنفي، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، تحقيق : عبد القادر أحمد عطا، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، د ط ، د ت.

السكاكي، أبو يعقوب، يوسف بن محمد بن علي، **مفتاح العلوم**، تحقيق : عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2000.

سليمان، فتح الله أحمد، **الأسلوبية، مدخل نظري ودراسة تطبيقية**، مكتبة الآداب، القاهرة، دط ، 2004.

سيبويه،أبو بشر، عمرو بن عثمان بن قنبر، **الكتاب**، تحقيق وشرح، عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1988.

سيد قطب، **في ظلال القرآن**، دار الشروق، بيروت، ط2، 2003.

السيد، عبد الحميد، **دراسات في اللسانيات العربية، بنية الجملة العربية، التراكيب النحوية والتداولية**، دار حامد، عمان، الأردن، ط1، 2004.

سيرل، جون، **العقل واللغة والمجتمع، الفلسفة في العالم الواقعي**، ترجمة: سعيد الغانمي، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2006.

السيوطي، جلال الدين، عبد الرحمن ابن أبي بكر ، **الإتقان في علوم القرآن**، مؤسسة الرسالة، ناشطون، ط1، 2008م .

السيوطي، جلال الدين، عبد الرحمن ابن أبي بكر، **معترك الإقران في إعجاز القرآن**، ضبط وتصحيح: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1988م.

السيوطي، جلال الدين، عبد الرحمن ابن أبي بكر، **قطف الأزهار في كشف الأسرار**، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، قطر،ط1، 1994.

شارودو، باتريك و منغنو، دومينيك، **معجم تحليل الخطاب**، ترجمة: عبد القادر المهيري، حمادي صمود، دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة، د ط ، تونس، 2008 .

شاهين، أحمد فهد صالح، **النظرية التداولية وأثرها في الدراسات النحوية المعاصرة**، عالم الكتب الحديث، إربد ، الأردن، 2015م .

الشريف الجرجاني،علي بن محمد، **التعريفات**، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1983.

الشنقيطي، محمد الأمين، بن محمد المختار، **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، دار الفضيلة، السعودية ودار الهدي النبوي ، مصر، ط1، 2005 .

الشهري، عبد الهادي بن ظافر، **استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية**، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط1، 2004.

الشيرازي، ناصر مكارم، **الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل**، الأميرة، للطباعة والنشر، بيروت ، لبنان، ط2، 2009.

الصبيحي، محمد الأخضر، **مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه**، منشورات الاختلاف،الدار العربية للعلوم، ط1، 2008م.

صحراوي، مسعود، **التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي**، دار الطليعة، بيروت، ط1، 2005 م.

الصراف، علي محمود، **في البراجماتية، الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة، دراسة دلالية ومعجم سياقي**، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2009.

الصغير، محمد حسين علي، **الصوت اللغوي في القرآن**، دار المؤرخ العربي، بيروت، لبنان، ط1، 2000.

صولة، عبد الله، **الحجاج في القرآن**، من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ط2، 2007.

الضحاك، أبو القاسم بن مزاحم البلخي، **تفسير الضحاك**، تحقيق: محمد شكري أحمد، دار السلام، للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، ط1، 1999.

الطباطبائي، محمد حسين، **الميزان في تفسير القرآن**، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط1، 1997.

طبانة، بدوي، **معجم البلاغة العربية**، دار المنارة، جدة، دار الرفاعي، الرياض، ط3، 1988.

الطبري، أبو جعفر، محمد بن جرير، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن، المعروف بتفسير الطبري**، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مركز البحوث والدراسات العربية الإسلامية، بدار هجر، القاهرة، ط1، 2001.

الطيب الإسكافي، محمد بن عبد الله، **درة التنزيل وغرة التأويل**، دراسة وتحقيق: محمد مصطفى آيدين، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط1، 2001.

ابن عاشور، محمد الطاهر، **تفسير التحرير والتنوير**، الدار التونسية للنشر، تونس، دط،1984.

عبد الجليل، عبد القادر، **علم اللسانيات الحديث، نظم التحكم وقواعد البيانات**، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2002.

عبد الحق، صلاح إسماعيل، **التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد**، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1993.

عبد الفتاح، أحمد يوسف، **لسانيات الخطاب وانساق الثقافة، فلسفة المعنى بين نظام الخطاب وشروط الثقافة**، الدار العربية للعلوم، الجزائر، ط1، 2010.

عبد المطلب، محمد، **البلاغة والأسلوبية**، مكتبة لبنان، بيروت، ط1، 1994.

العزاوي، أبو بكر، **اللغة والحجاج** ، دار الأحمدية ، المغرب، ط1، 2006.

ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2001.

العكبري، أبو البقاء، عبد الله بن الحسين، **اللباب في علل البناء والإعراب**، تحقيق: عبد الإله نبهان، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، دار الفكر، دمشق، سورية، ط1، 1995.

ابن العلوي، يحيى بن حمزة بن علي، **الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز**، دار الكتب العلمية، بيروت، دط، 1982م.

علوي، حافظ إسماعيلي، **التداوليات علم استعمال اللغة**، مجموعة باحثين، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2011.

علي، محمد محمد يونس، **مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب**، دار الكتاب الجديدة المتحدة ، بيروت، ط1، 2004.

عمر، أحمد مختار، **علم الدلالة**، عالم الكتب، القاهرة، ط5، 1998.

عمر، أحمد مختار، لغة القرآن، دراسة توثيقية فنية، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، الكويت، ط2، 1997 .

العمري، محمد، **في بلاغة الخطاب الإقناعي**، مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية، أفريقيا الشرق، المغرب، ط2، 2002.

أبو عودة، عودة خليل، **التطور الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن الكريم، دراسة دلالية مقارنة**، مكتبة المنار، الأردن، الزرقاء، ط1، 1985م .

فاخوري، عادل، **الاقتضاء في التداول اللساني**، مجلة عالم الفكر، العدد 3، 1989.

ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، **معجم مقاييس اللغة**، اعتنى به، محمد عوض مرعب، فاطمة محمد أصلان، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 2000م.

فان دايك، النص والسياق، **استقصاء البحث في الخطاب الدلالي التداولي**، ترجمة، عبد القادر قنيني، أفريقا الشرق، المغرب دط، 2000.

فتحي، إبراهيم، **معجم المصطلحات الأدبية**، التعاضدية العمالية للطباعة والنشر، تونس، ط1، 1986.

الفراء، أبو زكريا ، يحيى بن زياد ، **معاني القرآن**، عالم الكتب، بيروت، ط3، 1983 .

فرانسواز، أرمينكو، **المقاربة التداولية**، ترجمة، سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، الرباط، 1986م.

أبو الفرج، محمد أحمد، **المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث**، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1966.

فضل الله ،محمد حسين، **الحوار في القرآن**، قواعده– أساليبه – معطياته، دار الملاك للطباعة والنشر، بيروت، لبنان،ط5، 1996.

فندريس، **اللغة**، تعريب، عبد الحميد الدواخلي، محمد القصاص، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، دط ، د ت .

الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، **القاموس المحيط**، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط4، 1994.

قادر، فخرية غريب، **تجليات الدلالة الإيحائية في الخطاب القرآني**، في ضوء اللسانيات المعاصرة ، سورة التوبة أنموذجا، عالم الكتب الحديث، إربد، ط1، 2011.

القرطبي، أبو عبد الله، محمد بن أحمد، الأنصاري، **الجامع لأحكام القرآن**، تصحيح: الشيخ هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، ط2، 2003.

الكرماني، محمود بن حمزة، **أسرار التكرار في القرآن، المسمى: البرهان في توجيه متشابه القرآن**، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، دار الفضيلة، د ط، د ت .

الكلبي، أبو القاسم محمد بن أحمد، **التسهيل لعلوم التنزيل**، ضبطه وصححه وخرج آياته: محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1995.

كنوش، عواطف، **الدلالة السياقية عند اللغويين**، دار السياب، لندن، ط1، 2007.

لاينز، جون، **اللغة والمعنى والسياق**، ترجمة: عباس صادق الوهاب، دار الشؤون الثقافية العامة، آفاق عربية، بغداد،ط1، 1987.

الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب، **النكت والعيون، تفسير الماوردي**، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت لبنان، دط، دت.

مجمع اللغة العربية، **المعجم الوسيط**، مكتبة الشروق ،مصر،ط 3، 2004م.

محمد محمد يونس علي، **المعنى وظلال المعنى**، أنظمة الدلالة في العربية، دار المدار الإسلامي، لبنان، بيروت، ط2، 2007.

محمود طلحة، **مبادئ تداولية، في تحليل الخطاب الشرعي عند الأصوليين**، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2014.

المخزومي، مهدي ، **في النحو العربي، نقد وتوجيه**، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، ط2 ، 1986 .

مزيد، بهاء الدين محمد، **تبسيط التداولية من أفعال اللغة إلى بلاغة الخطاب السياسي**، دار شمس للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2010.

المسدي، عبد السلام، **الأسلوبية والأسلوب**، الدار العربية للكتاب، ليبيا، ط3، 1982.

مغنية، محمد جواد، **مذاهب فلسفية وقاموس مصطلحات**، دار ومكتبة الهلال، بيروت،دط، دت .

الملخ، حسن خميس، **التداولية ظلال المفهوم وآفاقه**، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1 ، 2015.

الملخ، حسن خميس، **الحجاج، رؤى نظرية ودراسات تطبيقية**، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، 2015.

المناوي، محمد عبد الرؤوف، **التوقيف على مهمات التعاريف**،عالم الكتب، القاهرة، ط1990،1.

ابن منظور: محمد بن مكرم بن علي، **لسان العرب**، دار صادر، بيروت، ط3، 1414هـ.

أبو موسى، محمد حسنين، **البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية**، دار الفكر العربي، القاهرة ، د ط ، د ت.

النحاس، أبو جعفر، **معاني القرآن الكريم**، تحقيق ، محمد علي الصأبوني، مركز إحياء التراث الإسلامي، مكة المكرمة، ط1، 1988.

النحلاوي، عبد الرحمن، **أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع**، دار الفكر، دمشق، ط 25، 2007.

نحلة، محمود أحمد، **آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2002.

نهر، هادي، **اللسانيات الاجتماعية عند العرب**، دار الأمل للنشر والتوزيع، إربد، الأردن، د ط، 2010.

نهر، هادي، **علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي**، دار الأمل للنشر والتوزيع، إربد، الأردن، ط1، 2007.

وهبة، مجدي، والمهندس، كامل، **معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب**، مكتبة لبنان، بيروت، ط2، 1984.

الرسائل الجامعية :

بعيطيش، يحيى، **نحو نظرية وظيفية للنحو العربي**،أطروحة دكتوراه،جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر، 2006 .

خيار، نور الدين، **الخطاب القصصي القرآني، دراسة أسلوبية تداولية، قصة يوسف عليه السلام** نموذجا، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، الجزائر، 2004.

عجك، بسام داود، **الحوار الإسلامي المسيحي، المبادئ، التاريخ، الموضوعات، الأهداف** ، رسالة ماجستير، دار قتيبة للطباعة والنش، ط1، 1998.

لعور، آمنة، **الأفعال الكلامية في سورة الكهف، دراسة تداولية**، رسالة ماجستير، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر،2011 . .

يوسف بن عبد الله بن العلوي، **رعاية حال المخاطب في أحاديث الصحيحين، دراسة بلاغية تحليلية**، أطروحة دكتوراه، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، السعودية، 1429.

الدوريات :

أحمد يحيى، **الاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة**، مجلة عالم الفكر، مجلد 20، العدد، 34.

سويرتي، محمد، **اللغة ودلالاتها تقريب تداولي للمصطلح البلاغي**، مقال، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 2000، العدد 34 .

صالح، محمد سالم، **أصول النظرية السياقية عند علماء العربية ودور هذه النظرية في التوصل إلى المعنى**، بحث منشور، كلية المعلمين، محافظة جدة، جامعة الملك عبد العزيز.

عبد الحليم بن عيسى، **البيان الحجاجي في إعجاز القرآن الكريم، سورة الأنبياء نموذجا**، مجلة التراث العربي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، العدد 102، نيسان، 2006.

كروم، أحمد، **مقاربات نظرية في مظاهر الربط الحجاجي لبنية الاقتضاء**، مجلة عالم الفكر، العدد 3، 2004 .

لهويمل، باديس، **التداولية والبلاغة العربية**، مجلة المخبر، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري ، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، العدد السابع، 2011.

مقبول، إدريس، **البعد التداولي عند سيبويه**، مجلة عالم الفكر، العدد1، مجلد33، 2004 .

Abstract

The Praise suras a Pragmatics Study

prepared by:

Mohammed Shamkhi Jebur

Supervised by:

Prof. Dr.Hassan Khamis Almalkh

The pragmatics concept of my tongue interview appeared in the last three decades, has this concept appeared in the United States, is interested in this science to study how people understand each other, and in a manner of their production to do my communicative and through the position of my tangible understood by understanding the meanings ,pragmatics of modern lessons which has as a major in the subjects they are not well-defined, have differed in determining the nature, type and cause of this difference is due to the beginnings of this science, where she was deliberative in its infancy draws of all science,It is for this it was not relevant specialized in nature, and the second reason is due to the deliberative overlap other sciences, but with this difference it could be argued that the pragmatics is the science of studying the language in contexts not realistic in its borders lexical or grammatical their structures.

As the deliberative science studying the language in the contexts in which we studied previously contexts, this study was to clarify this modern science and its dimensions.

The fence rosaries are the subject of study by which they can reach the most important dimensions of pragmatics.

The researcher stood on the most importantpragmatics dimensions contained in the fence rosaries marked by the words and deeds of pilgrims and Implication conversational context and contextual.

The research was required to be in a boot and three chapters.

Boot: Try researcher in it that defines Pragmatics of deliberative and origins and roots, evolution and its relationship to other sciences and knowledge of the most important deliberative ideas when grammarians old Arabs andrhetorical, and also touched on research in the boot to the meaning of praise and rosaries, and what are the fence rosaries and why so named and how much and where it landed.

The first chapter: it was entitled verbal acts in the fence rosaries, in this chapter have been identified actions speak in terms of origination and development researcher has relied on the division of Austin and Searle to learn verbal reaction sections and through this division have been identified verbal acts in the fence rosaries.

Chapter II: The dialogue was entitled Argumentative i, it has been allocated by the researcher to study the orbital dialogue in the fence after knowing what rosaries and pilgrims dialogue.

Chapter III was entitled in the context contextual fence rosaries, and in this chapter, the researcher to define the context, types and his staff and then touched on the impact of words in the context contextual fence rosaries.

The study concluded that the most important conclusion included the findings of the researcher.

key words:Pragmatics،Wall rosaries،Dialogue،speech act theory.